مجلة إسلامية شهرية جامعة

البيان

AL BAYAN

السنة الخامسة والعشرون . العدد ٢٧٣ . جمادى الأولى ١٤٣١ هـ . أبريل/مايو ٢٠١٠ م

النموذج العراقي ... من التالي ؟

الحداثة بين الاستيعاب والاستلاب

كسوف العقل

رئاسة الدولة بين الأنظمة الوضعية والأحكام الشرعة

الصومال ... والمخرج من ورطة الدماء

الكُنُس اليهودية تطوِّق الأقصى



سعر العدد:السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . مصر ٥ جنيهات . المغرب ١٢ درهماً . قطر ١٠ ريالات . اليمن ٢٠٠ ريالاً . السودان ١٥٠ دينار . سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة . الأردن ٧٥ فلسً . الإمارات العربية ١٠ دراهم . البحرين دينار واحد . فلسطين نصف دولار أمريكي

مستشفى أبها الخاص
ABHA PRIVATE HOSPITAL

توفير عناء السفر إلى الخارج

وحدات متخصصة في خدمتكم

- وحدة طب وجراحة المخ والأعصاب
- وحدة جراحة العظام والعمود الفقري
- وحدة جراحة التجميل وشفط الدهون
- وحدة جراحة الكلى والمسالك البولية
- وحدة الجراحة العامة والمناظير
- وحدة الأنف والأذن والحنجرة
- وحدة الأمراض الباطنية والمناظير
- وحدة طب وجراحة العيون
- وحدة النساء والولادة
- وحدة الأطفال وحديثي الولادة
- وحدة جراحة الأطفال
- وحدة الجلدية والتناسلية
- وحدة الأمراض الصدرية
- وحدة العلاج الطبيعي والتأهيل
- وحدة أمراض الكلى
- وحدة السمنة والسكري
- وحدة الطب النفسي
- وحدة أمراض القلب والشرايين
- وحدة علاج الروماتيزم والمفاصل
- وحدة طب وجراحة الأسنان
- وحدة العناية المركزة
- وحدة أمراض الشرج والمستقيم



جهاز الليزر الأخضر KTP
لإستئصال تضخم البروستاتا


جهاز ديناميكية التبول


جهاز الموجات الصوتية
رباعي الأبعاد


جهاز ديكسا DEXA لقياس هشاشة العظام


أحدث أجهزة الأمراض الجلدية


جهاز قياس جهد القلب


جهاز الأشعه تحت الحمراء لعلاج البواسير

وحدة الطوارئ واستقبال الحوادث والأشعة التشخيصية والمختبرات الطبية

على مدار ٢٤ ساعة



www.aph.med.sa



أبها – شمال الخطوط السعودية هاتف : ٢٢٩٢٢٢٢ فاكس : ٢٢٤٤٨٠١ ص ب : ١٧٩٤



مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

الافتتاحية

٤ **الصومال... والمخرج من ورطة الدماء** — التحرير

العقيدة والشريعة

٨ **القواعد والضوابط الفقهية المؤثرة في أحكام العمل الخيري** — د. هاني بن عبد الله الجبير

السياسة الشرعية

١٦ **رئاسة الدولة بين الأنظمة الوضعية والأحكام الشرعية** — محمد بن شاكر الشريف

الغرب: قراءة عقدية

٢٤ **اليسوعية وإمبراطورية الروم الخفية** — فيصل بن علي الكاملي

قضايا دعوية

٢٨ **خطبة الجمعة بين الإطالة والإقصار** — إبراهيم بن محمد الحقيل

قضايا تربوية

٣٤ **أهمية المشاعر في العمل التربوي** — محمد عادل

تأملات تربوية

٣٨ **لا تكونوا من المتكلفين** — د. محمد بن عبد الله الدويش

الإسلام لعصرنا

٤٠ **يا عباد الله فاثبتوا!** — أ. د. جعفر شيخ إدريس

معركة النَّص

٤٢ **في الطريق إلى العَلمانية** — فهد بن صالح العجلان

خدمة العملاء

السعودية
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
هاتف خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk

المـوزعـــون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٢٧٧٣٣.
الإمارات العربية المتحدة : شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩
هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع:
هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
قطـر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
المغـرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
اليمـن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص.ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
خالد حسن عمارة

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan-magazine.com

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آي بان: SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج	١٢٠	ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧	يورو
أوروبا	٥٥	يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥	يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥	يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠	يورو

ملف العدد

٤٥ الكُنس اليهودية تطوّق المسجد الأقصى
ندوة

٥٦ المسجد الأقصى ومخططات التخريب والتهويد والسياسة: قراءة توثيقية
د. مصطفى عطية جمعة

٦٢ حقيقة زيف الخلاف الأمريكي الصهيوني حول القدس
د. عدنان أبو عامر

نص شعري

٦٤ أفيقي أمتي
مَروان كُجُك

المسلمون والعالم

٦٨ النموذج العراقي... من التالي؟
أحمد فهمي

٧٤ ربيع ساخن في باكستان
د. محمد علي غوري

٧٦ كيفية الخروج من المستنقع الأفغاني
خواجة محمد العصامي

٨٠ مرصد الأحداث
جلال الشايب

قصة قصيرة

٨٦ فارس الفجر
جميلة بحر

فكرية

٨٨ أهمية إدراك الواقع في قيام النهضة
د.غازي التوبة

منتدى القرّاء

٩٠ عدَّة كتَّاب

الورقة الأخيرة

٩٢ كسوف العقل
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف



[كلمة صغيرة]

من أخلاق المترفين

الترف لون من ألوان الفتنة التي قد يبتلى بها بعض الناس؛ فهو يجعل القلب عرضة للتقلُّب والفساد، ويدفعه إلى الدَّعة والركون إلى الدنيا والاغترار بزخارفها وأهوائها، ويصرفه عن الذكر وطاعة الله عز وجل.

وعندما يتسلل الترف أو بعض أنواعه ومظاهره إلى الأوساط الدعوية، فإنه يُقعِدها عن المعالي، ويشدها عن المكارم، ويجعلها تتعلق بالصغائر وتوافه الأمور، وتُستَهلَك طاقات الدعاة في البحث عن المباحات والتوسع في الملهيات والصوارف.

ومن أخلاق المترفين: ضَعْف الجدِّية والالتزام في الأعمال الدعوية، والميل إلى الاتكالية، والاعتماد على الآخرين؛ ولهذا ليس غريباً أن تشيع البطالة الدعوية في محاضن المترفين؛ فالترف بيئة خصبة لنمو الفتور والعجز.

ونحسب أن التربية الربانية الجادة المتوازنة من أعظم ما يهذِّب السلوكَ الإنسانيَّ، ويجعله يسمو بقلبه وفكره بعيداً عن تلك الصوارف والعوارض.

إنَّها مهمة شاقة تتطلب جهداً كبيراً ونَفَساً طويلاً؛ فالدنيا كما وصفها النبي ﷺ: «خَضِرَة حلوة»؛ لكننا عندما نضع التربية في أعلى الأولويات ستكون الثمرةُ يانعةً مباركةً، وعندها نستطيع أن نرى إنساناً جديداً؛ زَكَت نفسه وسَمَت مشاعره، وأصبحت الدنيا في يده لا في قلبه، وكان له نصيب وافر من قول النبي ﷺ: «نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح».

الصومال...
والمخرج من ورطة الدماء

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد التزمت مجلة البيان ـ بحمد الله وفضله ـ منذ تأسيسها منهجاً وسطاً في الخلافات والاجتهادات التي قد تحدث بين الإسلاميين في مختلف بلدانهم وأقاليمهم، وحَرَصت أن تكون منبراً للائتلاف والتعاون لا للاختلاف والتنازع، وللتوحيد والإخاء لا للتفريق والتدابر، ونأت بنفسها عن الصراعات الحزبية والمعارك الجانبية ديانةً واتباعاً للمصلحة الشرعية.

ومن المسائل التي نوقشت كثيراً في هيئة التحرير: الموقف من الصراع المحتدم بين الإسلاميين في الصومال، واتفقت الكلمة على أنه يجب أن تتورع المجلة عن الانتصار فيها لطرف على حساب الأطراف الأخرى، لسببين رئيسين، هما:

السبب الأول: أن الواقع الصومالي غاية في التعقيد والالتباس، وكثير من الآراء والأخبار والمواقف تحتاج إلى تثبُّت وتبيُّن، ولن تبرأ الذمَّة إلا بمزيد من التحري والتدقيق، امتثالاً لقول الحق ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾. [الحجرات: ٦]

السبب الثاني: أن الساحة الصومالية الداخلية، تشتعل بما فيه الكفاية، وليست في حاجة إلى من يزيد من جراحاتها وآلامها وخلافاتها؛ بل هي أحوج ما تكون للناصح الأمين، والمشفق الرحيم الذي يضمد جراحها، ويخرجها من أتون المحرقة التي يتلظى بشررها جميع الأطراف.

واللافت للنظر في المشهد الصومالي: أن بعض الإسلاميين وقعوا في أمرين متلازمين جديرين بالتأمل والدراسة:

أحدهما: تغييب لغة الحوار والتفاهم، وتغليب مبدأ التهمة وإساءة الظن.

والآخر: استخدام لغة السلاح والعنف في مناقشة الخلافات وتصفية الخصومات!

ولم نكن نستغرب ضجيج هذه اللغة عندما كان أمراء الحرب يُذْكُون الصراعات القبلية، ويستثيرون الحميَّات الجاهلية، أما وقد سقط هؤلاء وأفلست شعاراتهم النفعية، فإن الغريب كل الغرابة أن تبقى هذه اللغة سائدة في المشهد الصومالي بعد أن تقدَّم بعض الإسلاميين وأمسكوا بزمام الأمور ومقاليدها!

ومن قرأ بيقين قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣] أدرك أن الأمر جدٌّ خطير، وأن المعترك يبدأ في الحياة الدنيا،

لكن سيُفصَل بين الخصوم بين يدي حَكَم عَدْل لا تخفى عليه خافية، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

إننا لا نطالب الدعاة بالانكفاء والنكوص والإعراض عن الحقوق والمطالب المشروعة، ولا نطالبهم بالتخلي عن دورهم الريادي في قيادة المجتمع؛ لكننا نتألم كثيراً من الاستهانة بجراحات المسلمين وأموالهم المصانة ودمائهم المعصومة، ونعدُّها ورطة تحتاج إلى توبة عاجلة، ومراجعة شاملة. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]،

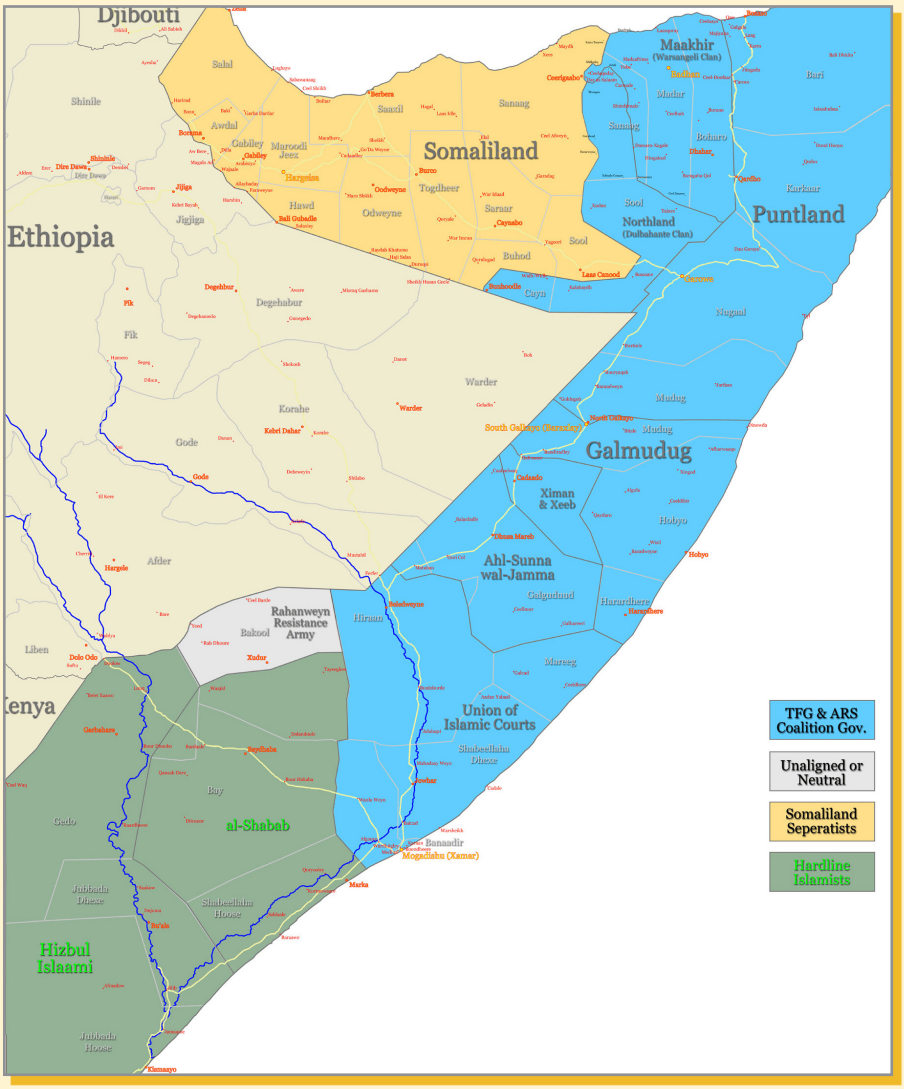

وجاء في صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصِب دماً حراماً»[١]. قال ابن العربي: (الفسحة في الدين: سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت؛ لأنها لا تفي بوزره. والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة، حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول)[٢]. من أجل ذلك قال راوي الحديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سَفْكَ الدم الحرام بغير حِلِّه)[٣]. قال الحافظ ابن حجر: (الورطة: هي الهلاك. يقال: وقع فلان في ورطة، أي في شيء لا ينجو منه)[٤].

لقد استمرأ الكثيرون ذلك الاحتراب الداخلي، وتصاعدت وتيرة التهجير والقتل، وأصبح كثير من الضعفاء من النساء والأطفال والشيوخ بلا مأوى، وشعر كثير من العامة والخاصة بالإحباط وقلة الحيلة وانسداد آفاق الحل... وها هنا لا بد من موقف راشد تبرأ به الذمة؛ لذلك نقول لجميع إخواننا في الصومال:

أولاً: حرمة دماء المسلمين قضية يقينية أجمع عليها علماء الأمة منذ الرعيل الأول من السلف الصالح، رضي الله عنهم. وهذا اليقين القطعي لا يُنقَض بتأويل ظني، أو اجتهاد متسرع لم تكتمل فيه أصول العلم، ولأن يكون الإنسان في زمن الفتن واختلاط الأمور مقتولاً خير عند الله ـ تعالى ـ

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الديات، رقم (٦٨٦٢).
(٢) فتح الباري: (٧/١٦).
(٣) أخرجه: البخاري في كتاب الديات، رقم (٦٨٦٣).
(٤) فتح الباري: (٨/١٦).

من أن يكون قاتـــلاً[1]؛ ولهذا كانت وصية النبي ﷺ في زمن الفتن: «كســـروا فيها قسيَّكم، وقطِّعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم»[2].

وإذا أردت أن تقـــف على عِظَم حرمة دم المســـلم فاقرأ حـديـــث المقـداد بن عمـرو ـ رضـــي اللـه عنـه ـ حيث قال: يا رســـول الله! إنْ لقيتُ كافراً فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ بشـــجرة وقال: أســـلمت لله، آقتله بعد أن قالها؟ قال رســـول الله ﷺ: «لا تقتله». قال: يا رســـول الله! فإنـــه طرح إحدى يدي، ثم قال ذلـــك بعد ما قطعها، آقتله؟ قال: «لا؛ فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»[3].

ومن فقه ابن العربـــي وعمق بصيرته قوله: (ثبت النهي عـــن قتل البهيمة بغير حق، والوعيـــد في ذلك؛ فكيف بقتل الآدمي؟ فكيف بالمسلم؟ فكيف بالتقي الصالح؟)[4].

ثانياً: من دخل دين الإســـلام بيقـــين فلا يجوز إخراجه منه إلا بيقين، وقد اشتد نكير النبي ﷺ على أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ لأنه قتل رجلاً بعد أن شـــهد أن لا إله إلا الله، ظناً منه أنه إنما قالها خوفاً من الســـلاح[5]؛ ولهذا فإن شأن التكفير شأن عظيم، ولا يجوز الإقدام عليه بسبب قول أو فعل إلا بعد انتفاء الموانع واســـتكمال الشروط، وقد صحَّ عن رســـول الله ﷺ أنه قال: «أيما رجل قال لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدهما»[6].

ولهـــذا قال الشـــيخ عبد اللطيف بن عبـــد الرحمن آل الشيخ: (التجاســـر على تكفير مَنْ ظاهره الإسلام من غير مستند شرعي ولا برهان مَرْضي، يخالف ما عليه أئمة العلم من أهل السنة والجماعة)[7].

ومما يجب التأكيد عليـــه: أن المجتهد المتأوِّل إذا أخطأ ووقع في مكفِّر من المكفـــرات فإنه لا يكفر؛ كما هو مذهب أهل السُّـــنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن المتأول الذي قصد متابعة الرســـول ﷺ لا يُكفَّر، بل لا يفسَّـــق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشـــهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مســـائل العقائد فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرَف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يبتدعـــون بدعة ويكفِّرون من خالفهم)[8]. وقال أيضاً: (وأهل الســـنة لا يبتدعون قولاً ولا يكفرون من اجتهـــد فأخطأ، إن كان مخالفاً لهم، مكفراً لهم، مســـتحِلاً لدمائهم)[9].

ولن يُلْجَم التسرع في التكفير إلا بلجامَي: العلم الراسخ والورع الصـــادق، وقد وصف النبي ﷺ المســـلم بقوله: «ألا أخبركم مَنِ المســـلم؟ من ســـلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»[10].

ثالثـــاً: المخرج من المأزق الذي أنشـــب أظفاره في أرض الصومال لن يكون بالاستقواء بالقوات الأثيوبية أو الإفريقية، ولن يكون باســـتقبال المساعدات العسكرية أو الاقتصادية أو الاســـتخباراتية من الولايات المتحـــدة الأمريكية أو غيرها من دول الاتحـــاد الأوروبي، ولن يجنيَ الصوماليون من ذلك إلا العلقم. قال اللـــه ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾. [البقرة: ١٢٠]

وإذا كان بعضهم يعوِّل على استقرار الصومال بمثل ذلك الركون المهين إلى الغرب، فإنه يبحث عن السراب، وسيسقط الصومال في مزيد من الدمار والفساد.

ثالثـــاً: الانتصار الحقيقـــي إنما يكون بصـــدق اللجوء والإنابـــة إلى الله ـ عز وجل ـ الذي قال: ﴿أَمَّـــنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنـــدٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَـــنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢٠ – ٢١]، وقال أيضاً ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ

(١) عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: (أنه ذكر فتنةً القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل) أخرجه: أحمد (٣٤/ ٥٤٢ –٥٤٣)، رقم (٢١٠٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، رقم (٢٢٠٤)، وقال: حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي. وقوله: «كونوا كابن آدم» يشير إلى قوله – تعالى –: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨].

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب الديات، رقم (٦٨٦٥). ومسلم في كتاب الإيمان، رقم (١٥٥).

(٤) فتح الباري: (١٦/ ٨).

(٥) أخرجه: البخاري في كتاب الديات، رقم (٦٨٧٢). ومسلم في كتاب الإيمان، رقم (١٥٨ و ١٥٩).

(٦) أخرجه: البخاري في كتاب الأدب، رقم (٦١٠٤). ومسلم في كتاب الإيمان، رقم (٦٠).

(٧) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ٢٠).

(٨) منهاج السنة: (٥/ ٢٣٩). وانظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام: (ص ٢٠٧) للشيخ عبد الرحمن السعدي.

(٩) منهاج السنة: (٥/ ٩٥).

(١٠) أخرجه من حديث فضالة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ: أحمد (٣٩/ ٣٨١ – ٣٨٧)، رقم (٢٣٩٥٨ و ٢٣٩٦٧) وصححه الأرنؤوط. وقوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» أخرجه: البخاري في كتاب الإيمان، رقم (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه: مسلم في كتاب الإيمان، رقم (٤١) من حديث جابر بن عبد الله.



لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. وإنَّ من الخذلان وقلة التوفيق أن يتنكب الإنسان الصراط المستقيم، ويُعرِض عن طاعة الله؛ ولهذا قال ـ سبحانه وتعالى ـ بعد آيتَي سورة الملك: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. [الملك: ٢٢]

ولهذا نوصي جميع إخواننا في الصومال أن يجأروا إلى الله ـ تعالى ـ بالدعاء، ويستغيثوا به، عز وجل؛ فهو نِعمَ الناصر ونعم المعين.

رابعاً: لن يحقن دماء المسلمين ويستنقذها من أجواء العنف والاحتراب إلا الحوار الجاد المخلص بين العلماء والدعاة وطلبة العلم وأهل الحل والعقد من داخل الصومال وخارجه.

ولكي ينجح الحوار لا بد من السعي الحثيث لبناء أرضية صلبة: من التغافر وحُسن الظن والتماس العذر، وغضِّ الطَّرْف عن المثالب، وإيجاد اللبنة المناسبة لتشييد صروح الثقة والاطمئنان. قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥]. ومن علامة المخلص المتورع أن يكون مطواعاً ليِّن الجانب في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف وتتباين فيها الأنظار، ممتثلاً قول النبي ﷺ: «تطاوعا ولا تختلفا»(١).

والعاقل لا يستنكف عن الرجوع عن قوله إذا تبيَّن له خطؤه، بل إنه لا يتردد في الأخذ بالرأي المفضول إذا كانت المصلحة الشرعية تقتضي ذلك، كما ترك النبي ﷺ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم الخليل، عليه الصلاة السلام(٢). ومن تأمَّل في مآلات الاختلاف والاقتتال أدرك أن ذلك من أعظم أسباب الفتنة والإعراض عن الدين، وذلك مصداق قول النبي ﷺ «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى! قال: إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: إنها تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»(٣).

ونحسب أن واجب الوقت يقضي بأن يتداعى العلماء، وأهل الحل والعقد في داخل الصومال لعقد مؤتمرٍ علمي تصالحي يُتفَق فيه على مناقشة المفاصل الأساسية للمسائل المتنازع عليها، وتُرسَم فيه السبل الشرعية بتجرد وصدق، للخروج من دائرة التقاطع والبغي، ويمكن التمهيد لهذا الاجتماع بميثاق شرف شرعي تجتمع عليه جميع الفصائل والاتجاهات، يكون قاعدة مشتركة للحوار. ونخشى أن يكون الإعراض التام عن الحوار مع المخالف المجتهد من الهوى المذموم شرعاً والعياذ بالله، تعالى.

صحيح أن شرخ الخلاف عميق جداً، لكن آن الأوان لأن يبادر أهل الحل والعقد لرأب الصدع، ولمِّ الشعث، واستنقاذ المجتمع من ذلك التمزق المؤلم الذي أهلك العباد والبلاد. وَلْيحذر المتباطئون أو المعوِّقون لاجتماع أهل الصومال على كلمة سواء من أن يكونوا شركاء في إثم الدماء والفوضى!

لقد انهارت الدولة وتصدع المجتمع وأقيمت المخيمات والملاجئ، وأفلست كل الحلول القادمة من الخارج، وأدرك الجميع أن الحسم العسكري متعذر جداً لصالح أي طرف من الأطراف... وقد آن الأوان لتغليب نداء الشرع؛ فلا منجا من الله إلا إليه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾. [الذاريات: ٥٠]

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، رقم (٣٠٣٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٣٣).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب العلم، رقم (١٢٦)، ومسلم في كتاب الحج، رقم (١٣٣٣).

(٣) أخرجه: الترمذي في كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥٠٩). وأبو داود في كتاب الأدب، رقم (٤٩١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٢٥٩٢).

القواعد والضوابط الفقهية
المؤثرة في أحكام العمل الخيري

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بتنظيم الإنسان وترتيب شؤونه، وأرشدته إلى طرق استثمار أمواله، ووجَّهته إلى ما يحصل به جزيل الثواب بأنواع الصدقات التي يثاب عليها ويمتد له أجرها، وحرضت المسلمين على عمل الخير، والتعاون عليه.

وقد اهتم أهل العلم بتطبيق ضوابط الشرع العامة وكلّياته الثابتة ومقاصده على المسائل الفقهية؛ ليكون فيها بيان موقف الشرع من أي تصرُّف في أي زمان ومكان وهذا شاهد من شواهد خلود هذه الشريعة الربانية.

ومما حَثَّ الشرع عليه، وشهد الواقع بنفعه، واهتم أهل العلم بضبط فروعه: العمل الخيري.

وفي هذه الأوراق جمعٌ للقواعد والضوابط الفقهية وتوزيعها في مجموعات تشكِّل منظومة يمكن للعاملين في القِطاع الخيري الاستفادة منها في عملهم.

د. هاني بن عبد الله بن محمد الجبير



أولاً: القواعد الخمس الكبرى:

١ - قاعدة: (الأمور بمقاصدها):

ومعناهـــا: أن الحكم الـــذي يترتب على أمرٍ يكون على مقتضى المقصود من ذلك الأمر؛ فأعمال الإنســـان إنما تترتب عليها نتائجها وأحكامها الشرعية تبعاً لمقصود الشخص وهدفه من العمل.

ودليلها قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله،

ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1]. ومن التطبيقات المتعلقة بهذه القاعدة:

١ - الأعمال الخيرية أعمال يُتقرَّب بها إلى الله - تعالى - فلا بد فيها من نيَّة حتى يؤجر عليها الإنسان؛ فلو نوى غير وجه الله - تعالى - وطَلَبِ رضاه، فلا أجر له عند الله، تعالى.

٢ - أن الأصل عدم جواز صرف ما عُيِّن لجهة من الجهات أو فرد من الأفراد إلا له، ولا يُعدَل به إلى غيره؛ لِمَا في ذلك من مخالفة مقصد المتبرع والمنفق؛ فيجب صرفه فيما عيَّنه المنفق؛ مراعاة لقصده وتنفيذاً لأمره، إلا فيما يُستثنَى وسيُشار إليه[2].

٣ - إذا كانت الأعيان موقوفة للانتفاع المباشر بأعيانها، فإنَّه لا يسوغ استثمارها مراعاة لمقصد الواقف[3].

٤ - يُشترَط لاستثمار أموال الأوقاف المختلفة في وعاء استثماري واحد ألا يخالف ذلك شرطَ الواقف[4].

٢ - قاعدة: (لا ضرر ولا ضرار):

ومعناها: أنه لا يجوز الإضرار ابتداءً؛ لأنَّ الضرر ظلم والظلم ممنوع، كما لا يجوز مقابله الضرر بمثله؛ فليس لأحد أن يُلحِق ضرراً بغيره، وإذا وقع الضرر فلا بد أن يُزال[5].

ودليلها قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[6]. ومن التطبيقات المتعلِّقة بهذه القاعدة:

١ - لا يسوغ إيذاء أو إضرار أي جهة مسلمة، سواء بالفعل أو بالقول؛ بنشر الشائعات، أو الغيبة، أو انتقاص جهة مَّا، أو منافستها على موظفيها؛ ولو كان ذلك من باب مقابلة ما فَعَل. قال ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[7].

٢ - لا يسوغ لأي جهة أن تعمل عملاً خيرياً يُلحِق بها أو بغيرها الضرر.

٣ - يجوز أخذ التبرعات من غير المسلمين إذا كان جانبهم مأموناً ولم يكن في أخذها ضرر بالمسلمين بأن ينفذوا لهم أغراضاً في غير صالح المسلمين، أو يستذلوهم بها[8]. وفي فتاوى اللجنة (١٧٨/١٦): لا يجوز قبول هبة (أرض من جامعة أمريكية)؛ لما يترتب على تطبيق شروط العقد من المفاسد، سواء كانت أموالاً مشروعة أو غير مشروعة إلا إذا كانت محرمة العين: كالخمر والخنزير[9].

٤ - على المؤسسات الخيرية أن تكلِّف بالعمل لديها من يحصل بهم مقصود المؤسسة بما لا يُلحِق ضرراً بعملها.

٥ - لا مانع من بيع التبرعات العينية إذا كانت سريعة العطب أو لعدم انتفاع المؤسسة الخيرية بها أو لكونها غير صالحة لمن يُتَبَرع لهم ثم يُستبدَل بقيمتها غيرها؛ ما دام هذا يحقق المصلحة للمتبرَّع لهم؛ وذلك دفعاً لضرر تَلَفِها وعدم الانتفاع بها[10].

لا يسوغ إيذاء أو إضرار أي جهة مسلمة سواء بالفعل أو بالقول؛ بنشر الشائعات، أو الغيبة، أو انتقاص جهة، أو منافستها على موظفيها؛ ولو كان ذلك من باب مقابلة ما فَعَل

---

(١) صحيح البخاري: ١، صحيح مسلم: ١٩٠٧، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(٢) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة، صفر عام ١٤٠٨هـ.

(٣) قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة، محرم ١٤٢٥هـ، رقم ١٤٠.

(٤) القرار السابق.

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص ٢٦٧.

(٦) سنن الدار قطني: (٨٥)، السنن الكبرى للبيهقي: (٦٩/٦)، المستدرك للحاكم: (٢٣٤٥)، وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري. ورواه مالك في الموطأ: (٥٧١/٢) مرسلاً. وابن ماجه في سننه: (٢٣٦٢) عن عبادة بن الصامت وعن ابن عباس. قال النووي له طرق يقوي بعضها بعضاً، وقال ابن الصلاح: مجموعها يقوي الحديث، ويحسنه وقد احتج به جماهير أهل العلم.

(٧) سنن أبي داود: (١٠٨/٢)، سنن الترمذي: (٢٣٨/١)، الدارمي: (٢٦٤/٢) عن أبي هريرة بسند حسن.

(٨) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة، صفر عام ١٤٠٨هـ.

(٩) فتوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، محرم عام ١٤٢١هـ.

(١٠) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة و صفر عام ١٤٠٨هـ.

٣- قاعدة: (العادة محكَّمة):

ومعناهـــا: أن العـــادة تُجعَل حَكَماً فتخضـــع لها أحكام التصرفات؛ فتثبت الأحكام على وَفْق ما تقتضي به العادة أو العرف إذا لم يكن هناك نص شرعي مخالف لتلك العادة.

ودليلهـــا: قولـــه - تعالى -: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقول النبي ﷺ لهند بنت عتبة: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[١]. ومن التطبيقات المتعلقة بهذه القاعدة:

١ - أن أنشـــطة العمل الخيري وترتيبه إذا لم تَستَقِم إلا بإجراءات معيَّنة؛ مراعـــاةً لنظام عامٍّ، فلا بد من مراعاتها، ولا يُنكَر التزامها.

٢ - مقدار ما يُصرَف للمحتاج يختلف باختلاف الأحوال والبلدان، وإنما يُضبَط بمراعاة العرف والعادة.

٣ - مقدار ما يعطى للعامل في المؤسســـة الخيرية مما يُقتَطَع من الدخل، إنما يحدَّد بحســـب أجـــرة المثل أو أقل، ويجـــري تحديده اســـتناداً للعرف من قِبَـــل القائمين على المؤسسات كمجالس إدارتها أو جمعياتها العمومية، مثلاً[٢].

٤ - قاعدة: (المشقّة تجلب التيسير):

ومعناها: أن الأحكام التي ينشـــأ عن تطبيقها حرج على المكلَّف ومشقةٌ في نفسه أو ماله، فالشريعة تخففها[٣].

ودليلها: قوله - تعالى -: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْـرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقولـــه - تعالى - ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِـي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. ومن التطبيقات المتعلقة بهذه القاعدة:

١ - جواز استعانة الإنسان المكلَّف بعملٍ خيري بغيره؛ إذا تعذر عليه أن يقوم بذلك بنفسه، وجواز أن يكون هذا المكلَّف غير مسلم إذا شق وجود مسلم.

٢ - لا بد من مراجعة أساليب العمل الخيري وآلياته بما يحقق التيسير لكل من يتعامل معه.

٣ - يجوز صـــرف تبرُّعٍ عُيِّن لجهة لغيره اســـتثناءً؛ إذا حدثت ضرورة قصوى لا يمكـــن تلافيها بدون ذلك؛ فيكون هـــذا خاصاً بحال الضرورة؛ لأن المشـــقة تجلب التيســـير، ويتعيَّن أن يتولى تحديدَ الضرورة شـــخصيةٌ أو جهة مؤهَّلة لذلك[٤].

٤ - نظراً لأن الإســـلام محارَب بالغزو الفكري والعقدي من جهات لها من يدعمها، وفي الغالب لا يوجد من يســـاعد فـــي مواجهة هذا المد، فإن الدعوة إلـــى الله وما يعين على إعلاء كلمة الله وشـــريعة الإســـلام يدخل في معنى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠] في الآيـــة الكريمة المحدِّدة لمصارف الزكاة[٥].

٥ - كذلك يســـوغ الاســـتفادة من أموال الزكاة في بناء المدارس والمستشفيات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية؛ لما فيها من دعم الدعوة والمحافظة على عقائد المسلمين بشرط أن تكون إســـلاميةً خالصة ومتمحضـــة في أغراض الدعوة ونفع المسلمين[٦].

٥ - قاعدة: (اليقين لا يزول بالشك):

معناها: إنَّ الشيء المتيقَن ثبوته لا يرتفع إلا بدليل قاطع ولا يُحكَم بزواله لمجرد الشك.

ومن أدلتها قول النبي ﷺ: «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشـــكل عليه، فلا يخرُجنَّ حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[٧].

ومن التطبيقات المتعلقة بهذه القاعدة:

١ - وجوب التثبت عند الحكم على الأشخاص والهيئات والمؤسســـات؛ لأن اليقـــين أن المســـلم الأصلُ فيـــه البراءة والسلامة، فلا يخرج عن هذا الحد إلا بيقين.

٢ - من ثبت احتياجه واســـتحقاقه للزكاة فالأصل جواز إعطائـــه حتى يُتَيقَّن زوالُ هـــذا الوصف عنه، ومن القواعد الفقهيـــة الدالة على هذا الحكم: الأصـــل بقاء ما كان على ما كان[٨].

٣ - لا بد من اعتماد منهجية الحقائق الموثقة في دراسة أي قرار، أو إجراء أي تصرُّف.

٤ - إذا صـــرَّح المتبـــرع أو الواقف بمصـــرف معيَّن، أو اشترط شـــروطاً خاصة، فلا تســـوغ مخالفته استناداً إلى دلالة الحال، أو عادة المتبرعين؛ لأن اليقين لا يزول بالشـــك، وللقاعدة الفقهية: لا عبرة بالدلالة في مقابلة التصريح[٩].

ثانيـــاً: القواعـــد والضوابط الفقهيـــة المتعلقة بجمع الأموال:

١ - الأصل في الصدقات أن يُعتَبَر عين المنصوص عليه[١٠]:

وهذه قاعدة عنـــد جمهور أهل العلم؛ فما ورد به النص في الصدقات والزكاة الواجبة وزكاة الفطر، فهو المعتبر. أما لو تغير إلى صفة أخرى فلا يقع عن الصدقة أو زكاة الفطر

(١) صحيح البخاري: (٢/٣٧)، صحيح مسلم: (٤/١٢٩).
(٢) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، صفر عام ١٤٠٨هـ.
(٣) الوجيز في إيضاح القواعد الكلية: ص ١٥٧.
(٤) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، صفر عام ١٤٠٨هـ.
(٥) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، ربيع الآخر عام ١٤٠٥هـ.
(٦) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، رجب عام ١٤٠٦هـ.
(٧) صحيح مسلم: (٣٦٢) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.
(٨) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ٢٥١، وابن نجيم: ص ٧٥.
(٩) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ٣٣٩.
(١٠) المبسوط للسرخسي: (٣/١١٣).

وبناءً عليه لا يسوغ إخراج القيمة في شيء من الزكوات.

أمـا الحنفية فأجازوا ذلك اسـتناداً للقاعـدة القائلة: الأصل أن مـن وجبت عليه الصدقـة إذا تصدَّق على وجهٍ يستوفي به مراد النص منه أجزأه عمَّا وجب عليه[1].

ومراد النص هو سـد خَلة الفقير ودفع حاجته؛ فيجزئ إخراج القيمة لاستيفائها مراد النص.

٢ - التقديرات بابها التوقيف[2]:

وهذه القاعدة في مقاديـر العبادات كالزكاة والكفارات ونحوها؛ فما دام قد وُجِد لها تقدير شرعي فلا يجوز تغيير هذا التقدير، وقد يعبَّر عن القاعدة بلفظ: (الشيء) إذا ثبت مقدَّراً في الشـرع؛ فلا يعتبر أي تقدير آخر. وهذا بالنسبة لمقدار الواجب، وقد يسوغ الزيادة أحياناً إذا زيدت باعتبارها نفلاً.

٣ - فـرض العين لا يُترَك بالنافلـة، أو بما هو من فروض الكفاية[3]:

وتفيد القاعدة أن ما كان فرضاً عينياً على كل مكلَّف فإنه لا يجوز تركـه بنافلة؛ فلا يترك المكلَّف فرضاً من الصلوات الخمس أو الزكاة بأداء نافلـة صلاة أو صدقة، بل الفرض أولاً ثم النفل أو التطوع.

وكذلك فإن الكماليات التـي تُبذَل للمحتاج لها لا تقدَّم على بذل ما يحفظ حياة المضطرين من المسلمين.

٤ - شـرط الواقف كنص الشـارع في وجوب العمل به وفي المفهوم والدلالة[4]:

ويمكـن أن يعبَّر عنها بأن شـرط الواقف يجب اتباعه. وتفيد القاعدة أن من وقَّف وقفاً واشـترط أن يصرف على وجه معيَّن فإنه يجب احترامه وتنفيذه ما لم يخالف الشرع. ومِثْـل الواقفِ المتبـرعُ والمتصدقُ وقد تقدَّم أنه قد يسـوغ مخالفته في حالات الضرورة.

٥ - للوسائل أحكام المقاصد[5]:

الوسائل هي الطرق الموصلة للمقصود، وهذه الطرق تأخذ حكم ما هي وسيلة إليه؛ ولذا قرر المجمع الفقهي أنه يجوز أن يُعطَى العاملون من التبرعات التي يخصصها أصحابها لجهة معيَّنـة أجرة لهم على جمع وتنظيم هذه التبرعات وتوصيلها لأصحابها: سواء كان ذلك رواتباً أو أجوراً أو نفقات شحن أو تذاكر المسافرين؛ ما دامت لمصلحتها ولا يمكن بدونها وصول التبرعات إلى أصحابها المخصَّصةِ لهم. لكن يلاحظ أن تكون بِقَدْر العمل الذي يقوم به الموظف وبِقَدْر النفقات الضرورية لصالح أعمال هذه التبرعات وأن تكون هذه الأجور والنفقات مؤقتةً بانتهاء العمل[6].

وكذلك قـرر أنه لا مانـع من إنفاق بعـض التبرعات المخصَّصـة للأيتام على جمعَها وترتيبهـا والقيام بأعبائها الإداريـة؛ لأن هذا من خدمة الأيتام وهو وسـيلة إلى بقائه واسـتمراره ولكن يجب أن تكون الرواتب بِقَدْر حاجة العمل وأن لا يوجد من يقوم به احتساباً[7].

الكماليـات التـي تُبذَل للمحتـاج لهـا لا تقـدَّم على بذل مـا يحفظ حياة المضطرين من المسلمين

٦ - المُلْك الخبيث سبيله التصدُّق به[8]:

فمن دخل عليه مال محرَّم كربا أو رشوة فإن عليه التحلُّل منه بإخراجـه صدقة وهذه الصدقة يمكـن بذلها للفقراء والمساكين كما يمكن بذلُها في مصالح المسلمين.

وبنـاءً عليه يسـوغ للجمعيات الخيريـة قبض الأموال الربوية التي يريد أصحابها التخلص منها؛ وتبذلها بعد ذلك للفقراء والمسـاكين كما يمكنها جعلَها في مصالح المسلمين نحو بناء المستشفيات ودُور الأيتام[9].

ثالثـاً: القواعد والضوابـط الفقهيـة المتعلقة بصرف الأموال وتثميرها:

١ - «المسلمون يد على من سواهم تتكافأ دماؤهم»[10]:

هذا نص حديث شريف. ومعناه: أن المسلمين متساوون.

---

(١) تأسيس النظر: ص ٧٤.
(٢) المغني: (١/ ٥٨٠)، وانظر القواعد الفقهية في المغني: ص ٦٥١.
(٣) موسوعة القواعد الفقهية للبورنو (٧/ ٢٧).
(٤) الأشباه والنظائر لابن نجيم: ص ٢٧٥. وانظر: المدخل الفقهي: ص ٧٠١.
(٥) الفروق للقرافي: (١/ ١١١)، قواعد الأحكام: (١/ ١٠٤).
(٦) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، شهر صفر عام ١٤٠٨هـ.
(٧) القرار السابق.
(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٨/ ٥٩٢)، المعيار المعرب: (٦/ ١٤٤)؛ حاشية ابن عابدين: (٣/ ٦١).
(٩) توصيات الندوة الرابعة لقضايا الزكاة المعاصرة في البحرين شوال عام ١٤١٤هـ عن الهيئة الشرعية العالمية للزكاة.
(١٠) موسوعة القواعد الفقهية: (١٠/ ٦٠٦). والحديث أخرجه أبو داود: (٣/ ٨٠)، وابن ماجه: (٢/ ٨٩٥).

وإعمالها (أي: القاعدة) في مجال العمل الخيري بأن لا يقدَّم أحد من المسلمين على غيره إلا بمسوِّغ خارجي ما داما مسلمَين.

والمسوغات كزيادة الحاجة - مثلاً - وغيرها مما سيُذكَر.

٢ - إذا تعارض الإعطاء والحرمان قُدِّم الإعطاء؛ إذا كان التعارض لا ترجيح فيه[١]:

فإذا وُجِد سبب يقتضي الإعطاء وآخر يقتضي المنع، ولم يوجد مرجِّح قُدِّم الإعطاء على الحرمان، ويتصور ذلك أيضاً فيما إذا كان لفظ المتبرع أو الواقف يحتمل منع شخص أو إعطاءه.

٣ - إذا تقابل عملان أحدهما ذو شرف في نفسه وهو واحد، والآخر ذو تعدُّد في نفسه وكثرة فأيهما أرجح؟[٢]:

عند الحنابلة والشافعية ترجَّح الكثرة. واختار شيخ الإسلام ابن تيمية ما كان أشرف.

ويمكن تطبيقها على الأعمال الخيرية في المفاضلة بين بناء مسجد ضخم واسع محتوٍ على مرافق متعددة وبين بناء عدة مساجد.

٤ - إذا أمكن مراعاة الحقَّين لا يُشتغَل بالترجيح[٣]:

ففي المثال السابق إذا أمكن بناء عدة مساجد على طراز ممتاز لم نَحْتَجْ للمفاضلة بينها.

٥ - الضرورات تبيح المحظورات[٤]:

فحالات الاضطرار والحاجة الشديدة تجيز ارتكاب المنهي عنه؛ فكل ممنوع في الإسلام يستباح فعله عند الضرورة إليه. قال - تعالى -: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٩٩]. وهذا التخفيف التشريعي لا يقتصر على الضرورة الملجئة، بل يشمُل حاجات الجماعة مما هو دون الضرورة؛ فيؤثر هذا الاحتياج في تغيير الحكم ويوجب تخفيفاً يبيح المحظور ويجيز ترك الواجب؛ ففي القاعدة الفقهية: الحاجة تُنَزَّل منزلة الضرورة؛ عامةً كانت أو خاصة[٥].

وبناءً على هذه القاعدة فإنه: وإن كان الأصل عدم جواز صرف ما عُيِّن لجهة من الجهات في غيرها، إلا أنه يستثنى من ذلك إذا ما حدث في بعض المسلمين ضرورة قصوى لا يمكن تلافيها بدون ذلك؛ فحينئذٍ لا مانع شرعاً من صرف التبرع لجهة أخرى؛ فقد أباح الله - تعالى - للمضطر أكل لحم الميتة كما أباح الانتفاع بمال الغير بغير إذنه، ولكن يُعتبَر هذا التصرف بحال الضرورة. وتُحدِّدُ الاضطرارَ جهة مؤهلة[٦].

٦ - الضرورة تقدَّر بقدرها[٧]:

ما تدعوا الضرورة لارتكابه من المحظورات، إنما يرخَّص منه القَدْر الذي تندفع به الضرورة فقط؛ فليس له أن يتوسَّع أكثر. والقاعدة الفقهية تقول: ما جاز لعذر بطل بزواله.

وهاتان القاعدتان قيدٌ للقاعدة السابقة؛ فإنه ما دام أَخْذ نسبة للقائمين بأعمال الإغاثة في المبالغ المرصودة لغرض محدد سائغٌ للضرورة؛ فإنه لا بد أن يُحصَر ذلك بقَدْر العمل فعلاً؛ لأن الضرورة تقدَّر بقدرها. ومن تطبيق هذه القاعدة وما قبلها ما تضمنته توصيات الندوة الرابعة لقضايا الزكاة؛ إذ جاء فيها:

- يستحق العاملون على الزكاة عن عملهم من سهم العاملين ما يُفرَض لهم من الجهة التي تعيِّنهم؛ على أن لا يزيد عن أجر المثل ولو لم يكونوا فقراء، مع الحرص على أن لا يزيد مجموع ما يُدفَع إلى جميع العاملين والتجهيزات والمصاريف الإدارية عن ثمن الزكاة.



ويجب مراعاة عدم التوسع في التوظيف إلا بقَدْر الحاجة ويَحسُن أن تكون المرتبات كلها أو بعضها من خزانة الدولة، وذلك لتوجيه موارد الزكاة إلى المصارف الأخرى.

ـ تزويد مقارِّ مؤسسات الزكاة وإداراتها بما تحتاج إليه من تجهيزات وأثاث وأدوات إذا لم يمكن توفيرها من مصادر أخرى: كخزينة الدولة والهبات. والتبرعات يجوز توفيرها من سهم العاملين عليها بقدر الحاجة، شريطة أن تكون هذه التجهيزات ذاتَ صلةٍ مباشرة بجمع الزكاة وصرفها، أو أثرٍ في زيادة موارد الزكاة.

٧ - الأصل عند اجتماع الحقوق أن يُبدَأ بالأهم[٨]:

وهذا ضابط كما يراعى في الحقوق التي في مال الشخص الواحد، فإنه يراعى في واجبات المؤسسات الخيرية إذا لم يمكن تعميم المستحقين وقد يقع الخلاف في: ما هو الأهم؟ لكن المقصود أن لا يقدَّم أحد دون وجهٍ يقتضي تقديمَه؛ ولذا كانت القاعدة: تزاحم الحقوق لا يقدَّم فيها

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ١٣٢، وابن نجيم: ص ١٤٠.
(٢) القواعد لابن رجب (القاعدة السابعة عشرة)، المنثور للزركشي: (٢/ ٤١٣)، الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ١٤٣.
(٣) القواعد والضوابط المستخلَصة من التحرير: ص ٤٧٩.
(٤) قواعد الأحكام: (٢/ ٩)، شرح القواعد الفقهية للزرقا: ص ١٣١.
(٥) قواعد الأحكام: (٢/ ٤)، الفروق: (٢/ ١٣٩).
(٦) قرار المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، شهر صفر عام ١٤٠٨هـ.
(٧) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ٨٤، المدخل الفقهي العام: (٢/ ٩٩٦).
(٨) المنثور للزركشي: (٢/ ٦٠).

أحد على أحد إلا بمرجِّح: كالسبق، وشدة الحاجة، وسيأتي الإشارة لبعض ضوابط الترجيح.

٨ - الإنفاق لا يحتمل التأخير[١]:

والأصل في هذه القاعدة أنها في النفقات الواجبة على الشخص نحو زوجته وأولاده الصغار؛ فإنه يجب عليه أن يعطيهم نفقتهم في موعد محدد وبمقدار يفي بالغرض، وليس له أن يؤخرها لتجدُّد الحاجات وكذلك المستحقون في المؤسسات الخيرية لا يؤخَّر صرف استحقاقهم.

٩ - إنما يؤمر بالانتظار إذا كان مفيداً[٢]:

لا يُطلَب من أحد الانتظار إلا إذا طمع في وجود المقصود. أما إذا كان لا يُرجى غالباً، ولا طَمعَ في وجوده وحضوره، فلا فائدة من الانتظار.

١٠ - تأخير العبادة المؤقتة عن وقتها يكون تفويتاً لأدائها[٣]:

كل عبادة مؤقتة بوقت ويفوت الأداء بفوات هذا الوقت، ويكون فِعلُها بعد ذلك قضاءً لا أداءً مثل الزكاة عند حَوَلان الحول فيما يُشتَرَط له الحول، أو صدقة الفطر قبل صلاة العيد، أو ذَبْح الأضاحي بعد وقت صلاة العيد إلى آخر وقتها.

١١ - تكثير الفائدة مما يرجِّح المصير إليه[٤]:

وهذه القاعدة تدلُّنا على طريقة من طرق الترجيح بين الأعمال المتعارضة؛ فالعمل الأكثر فائدة يجب المصير إليه دون الأقل فائدة؛ فيحافظ على الأكثر مصلحة إذا عجز عن الجمع بين العملين. قال ابن القيم: (وقاعدة الشرع والقدر تحصيل أعلى المصلحتين وإن فات أدناهما)[٥].

١٢ - الفضيلة المتعلقة بهيئة العبادة - أو بنفس العبادة - أولى من المتعلقة بمكانها[٦]:

وعلى هذا فلو تردد أحد في الإنفاق على فقراء محاويج لضرورات الحياة، أو أن يفطِّر صائمين بالمسجد الحرام فإنفاقه على المحاويج أولى؛ لأن الفضيلة تتعلَّق بالعبادة نفسها وليس بمكانها.

١٣ - التصرف على الرعية منوط بالمصلحة، أو كلُّ متصرِّف عن الغير فعليه أن يتصرف بالمصلحة[٧]:

أي إن كل من يتصرف عن غيره - سواء بالوكالة أو الولاية تطوعاً أو وجوباً - فعليه أن يتحرى مصلحة المتصرَّف عنه. وبناءً عليه فإن الإنفاق على الأعمال الإدارية في المؤسسات الخيرية، واستثمارَ أموالها لا يجوز أن يخالف مقتضى المصلحة، بل يبحث المتصرف عنها ويتحرى التصرُّف على وَفْقِها.

١٤ - الإحسان إلى الأبرار أولى من الإحسان للفجار.

قال النبي ﷺ: «لا يأكل طعامك إلا تقي»[٨]:

الصدقة والإحسان وإن كانا يجوزان للبَر والفاجر، والمسلم والكافر، إلا أن المسلم مقدَّم على الكافر، والمسلم البَر أولى من الفاجر.

وسئل ابن تيمية - رحمه الله - عن إعطاء الزكاة للمبتدع، فقال: (المزكِّي عليه أن يتحرى بزكاته أهل الدين الملتزمين بالشريعة، أما أهل الفجور فلا ينبغي أن يعانوا على فجورهم بالزكاة)[٩].

١٥ - الميسور لا يسقط بالمعسور[١٠]:

إذا لم يقدر الإنسان على أداء كامل ما أُمر به، فإنه يقوم بما يمكنه، وما يقدر عليه منه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، وهذا من يُسْر الإسلام وتخفيفه عن العباد.

قال العز بن عبد السلام: (من كُلِّف بشيء من الطاعات فقدر على بعضه وعجز عن بعضه؛ فإنه يأتي بما قدر عليه ويسقط عنه ما عجز عنه)[١١].

وهذا ضابط لعمل الجمعيات الخيرية فما عجزت عنه من أعمالها لا يدعوها لتركه كله، بل تقوم بما تستطيع منه؛ لأنه المتيسِّر لها، والميسور لا يسقط بالمعسور. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال ﷺ: «ما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم»[١٢].

رابعاً: القواعد والضوابط المتعلقة بتنظيم الجمعيات وعلاقتها بغيرها وأخلاقيات العمل الخيري:

١ - التنزه عن مواطن الريبة أولى[١٣]:

التنزه: هو البعد والتطهُّر. الريبة: هي التهمة.

والمعنى: أن الجدير بالمسلم أن يبتعد عن مواضع التهم التي تسبب الشك فيه أو اتهامه.

ويمكن أن يُستشهَد على القاعدة بقول النبي ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[١٤].

---

(١) المبسوط: (٥/٢٢٣).
(٢) المرجع السابق: (١/١٠٦).
(٣) موسوعة القواعد الفقهية: (٣/١٥٠).
(٤) المرجع السابق: (٤/٤٥٦).
(٥) إعلام الموقعين: (٣/٢٧٩).
(٦) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ١٤٧، قواعد الحصني: (٣/٣٧٤).
(٧) الأشباه والنظائر لابن السبكي: (١/٣١٠)، وللسيوطي: ص ١٢١، وابن نجيم: ص ١٢٤، المنثور: (١/٣٠٩).
(٨) سنن أبي داود: (٤٨٣٢)، سنن الترمذي: (٢٣٩٥)، مسند أحمد: (٣/٣٨) عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.
(٩) مجموع الفتاوى: (٢٥/٨٧).
(١٠) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ١٥٩، ولابن السبكي: (١/١٥٥).
(١١) قواعد الأحكام: (٢/٦).
(١٢) صحيح مسلم: (١٣٣٧).
(١٣) المبسوط: (١٠/١٧١).
(١٤) سنن النسائي: (٢/٢٣٤)، سنن الترمذي: (٢/٤٨)، وقال حديث حسن صحيح، من حديث الحسن بن علي، رضي الله عنهما.

٢ - الخروج من الخلاف مستحب[١]:

فعند وجود خلاف بين العلماء في مسألة اجتهادية فيستحب أن يخرج المكلَّف من الخلاف بفعل ما هو أحوط لدينه.

٣ - الخطأ لا يستدام ولكن يُرجَع عنه[٢]:

فالخطأ إذا اكتُشف يجب الرجوع عنه ولا يجوز الاستمرار عليه؛ لأن المخطئ مرفوع عنه الإثم، ولكنه إذا عَرَف خطأه وأصر عليه واستمر ولم يرجع عنه، فلا يكون خطأً، بل يكون عمداً يؤاخذ عليه. وبناءً عليه فإذا تصرَّف القائم على الجمعية الخيرية باجتهاد ثم تبيَّن خطؤه فعليه الرجوع.

٤ - خير الأمور أوساطها[٣]:

ومعنى القاعدة أن الخير في الاعتدال في كل شيء؛ فالفضيلة وسط بين رذيلتين. وهذا مرجع تقدير القيمة، وما يبذل لكل محتاج، وغيرها.

٥ - طالب الولاية لا يولى:

فمن طلب أن يكون والياً: إما برئاسة أو إدارة أو غيرها من المناصب؛ فإنه لا يولى؛ لأنه بطلبه للمنصب دالٌّ على أن له غرضاً دنيوياً وليس مقصده إقامةَ شرع الله وأداءَ حقوق العباد. وقد قال النبي ﷺ: «إنَّا لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه»[٤].

٦ - الفتوى في حق غير المجتهد بمنزلة الاجتهاد[٥]:

فمن لم يكن من أهل الاجتهاد فعليه أن يستفتي عالماً ليعرف حكم الله ويجب عليه العمل بالفتوى، وإذا كانت الفتوى خاطئة فإنه لا تثريب عليه، كما لا تثريب على المجتهد إذا أخطأ. قال - تعالى -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وهذا يدلنا على أهمية أن يكون للجمعيات الخيرية هيئة شرعية تحيل إليها ما يُشكِل مما يحتاج لفتوى.

٧ - كل طاعة لا تصل إليها إلا بمعصية لا يجوز الإقدام عليها:



فلا يجوز غصب ماءٍ للوضوء به، ولا سرقة مال للحج به، وكذلك ليس لجمعية خيرية سلوك طريق محرَّم لتحقيق مقصد نبيل فلا يجوز لها استثمار أموالها أو التبرعات التي لديها بالطرق المحرمة، كالربا مثلاً.

٨ - كل ما كان منهياً عنه للذريعة فإنه يُفعل لأجل المصلحة الراجحة[٦]:

فالتصرف إذا كان منهياً عنه لكونه وسيلة للوقوع في معصيته، فإنه - إذا وجدت مصلحة أعظم من الضرر - يجب التمكين من الفعل وعدم سدِّه تحقيقاً للمصلحة الراجحة؛ فدفع المال للأعداء محرَّم؛ لأنه وسيلة لتقويتهم على المسلمين، لكن إذا كان دَفْعُ هذا المال يدفع شراً أكبر فإنه يكون جائزاً.

٩ - لا طاعة للمخلوق في معصية الله:

وقد قال النبي ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»[٧]. فلا يجوز لأحد أن يطيع أحداً في معصية الله، سبحانه وتعالى.

١٠ - المسلم ملتزم بأحكام الإسلام حيثما يكون[٨]:

فلا يجوز للمسلم أن يُقدِم على فعلٍ مخالفٍ لأحكام

إذا تعارضت المصالح حَصَّل الإنسان أعلاها؛ ولو فات أدناها.
وإذا تعارضت المفاسد ارتكب الإنسان أخفَّها؛ ليدفع أعظمها.

(١) المنثور: (٢/ ١٢٧)، الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ١٣٦.
(٢) موسوعة القواعد الفقهية: (٥/ ٢٨٧).
(٣) المرجع السابق: (٥/ ٣٠٢).
(٤) صحيح البخاري: (٩/ ٨٠)، صحيح مسلم: (٦/ ٦).
(٥) الأشباه والنظائر لابن نجيم: ص ٢٨٧.
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٢/ ٢٩٨).
(٧) صحيح البخاري: (٩/ ١٠٩)، صحيح مسلم: (٤٩).
(٨) موسوعة القواعد الفقهية: (١٠/ ٦٠٤).

الإسلام إذا كان في غير بلاد المسلمين، بل يمتثل أحكام الشرع في كل بلد.

١١ - يقدَّم في كل ولاية - كلّ موطن - من هو أقوم بمصالحها[١]:

وهذه القاعدة توضح الشرط الذي لا بد من توفُّره في كل من يراد توليته أو إسناد عمل إليه، وهذا يختلف باختلاف المهام والأعمال؛ إذ كل عمل يحتاج لمهارة معينة؛ فيقدَّم في كل عمل من كان أدرى وأقوم بمصالحها.

١٢ - لا إنكار في المسائل الاجتهادية[٢]:

وهي المسائل التي أصلُ استمدادِها الاجتهاد؛ فمن عمل عملاً في مسألة منها، وكان لعمله حظ من الاجتهاد السائغ في الشرع؛ فلا يحق لأحد أن ينكر عليه.

١٣ - ازدحام المصالح والمفاسد يوجب الترجيح:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وهي ترجِّح خير الخيرين، وتحصِّل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفَع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما[٣].

وهذا الأمر تضمنته عدة قواعد فقهية، منها: إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما. ويُتَحمَّل الضرر الخاص لدفع ضرر عام؛ فإذا تعارضت المصالح حَصَّل الإنسان أعلاها؛ ولو فات أدناها. وإذا تعارضت المفاسد ارتكب الإنسان أخفها؛ ليدفع أعظمها.

وإذا تعارضت المصالح والمفاسد فينظَر إلى الراجح والغالب؛ فإن كان الغالب المصلحة لم ينظَر للمفسدة اللاحقة، وإن كان الغالب المفسدة لم ينظَر إلى المصلحة[٤].

والله - تعالى - حرم الخمر والميسر مع أن فيهما منفعة؛ لأن مفسدتهما أكبر. قال - تعالى -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾. [البقرة: ٢١٩]

وهذا التعارض مع وجوده إلا أن الترجيح والموازنة فيه أمر صعب، عسير. قال ابن تيمية: (وهذا باب واسع جداً لا سيما في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة؛ فإن هذه المسائل تكثر فيها وكلما ازداد النقص ازدادت المسائل، ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة؛ فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات، وقع الاشتباه

إذا تعارضت المصالح والمفاسد فينظَر إلى الراجح والغالب؛ فإن كان الغالب المصلحة لم ينظَر للمفسدة اللاحقة، وإن كان الغالب المفسدة لم ينظَر إلى المصلحة

والتلازم؛ فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجِّحون هذا الجانب وإن تضمَّن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجِّحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة، والمتوسطون ينظرون للأمرين؛ وقد لا يتبيَّن لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرَّة، أو يتبيَّنُ لهم ولا يجدون من يعينهم على العمل بالحسنات وتَرْك السيئات؛ لكون الأهواء قارنت الآراء؛ فينبغي للعالِم أن يتدبَّر أنواع هذه المسائل)[٥].

ولذا فالواجب الاجتهاد في الترجيح واستعمال ما يمكن من الطرق المؤدية إليه؛ فإن أصاب بعد ذلك، وإلا فقد قام بما عليه.

يقول العز بن عبد السلام: (قد يخفى ترجيح بعض المصالح على بعض، وترجيح بعض المفاسد على بعض، وقد يخفى مساواة بعض المصالح لبعض، ومساواة بعض المفاسد لبعض، فيجب البحث عن ذلك بطُرُقِه الموصلة إليه، والدالة عليه، ومن أصاب ذلك فقد فاز بقصده وعُفِي عن خطئه رحمة من الله - سبحانه - ورفقاً بعباده)[٦].

ومن تطبيقات هذه القاعدة: أنه يجوز إيداع أموال التبرعات في البنوك الربوية؛ إذا خُشِي عليها من الضياع، فيرخَّص في إيداعها لديها بلا فائدة ارتكاباً لأخف الضررين[٧].

ومن تطبيقاتها جواز نقل الزكاة من بلد إلى بلد آخر بلا كراهة؛ إذا كان نقلها لمصلحة راجحة؛ كأن يكون فقراء البلد التي نُقِلت إليهم الزكاة أشدَّ حاجة إليها من فقراء البلد التي بها الأموال الواجبة عليها الزكاة، وإن نُقِلَت بلا مصلحة شرعية جاز ذلك مع الكراهة؛ لعموم الأدلة الدالة على جواز النقل، ولأن المزكي دفع الحق إلى مستحقِّه[٨].

(١) الفروق: (١٠٢/٣).
(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ١٥٨.
(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: (٤٨/٢٠).
(٤) الموافقات للشاطبي: (٢٦/٢).
(٥) مجموع الفتاوى: (٥٧/٢٠).
(٦) قواعد الأحكام: (٤٩/١).
(٧) فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، رقم (٥١٦١).
(٨) المرجع السابق، الفتوى رقم (٤٣٥٦)، وكذلك الفتوى رقم (١٦٠٥).

رئاسة الدولة بين الأنظمة الوضعية والأحكام الشرعية

محمد بن شاكر الشريف
alsharif@albayan.co.uk

رئاسة الدولة من القضايا المهمة في أي نظام سياسي؛ لِمَا تمثله من ثقل، ولما يترتب عليها من أحكام. وبناءً على طبيعة النظام والأسس التي قام عليها يتحدد نوعُ الرئاسة في الدولة، وسوف نحاول بعون الله وتوفيقه أن نتناول هذه القضية من وجهة نظر مقارِنة بين ما جاء في الأنظمة الوضعية، وبين ما جاء في الأحكام الشرعية، وذلك من حيث الصفاتُ والشروطُ، ومن حيث كيفيةُ التوليةِ.

تعريف رئاسة الدولة: يراد برئيس الدولة - من حيث الفعل والتصرف، لا من حيث المسمى - : الكيان الذي له أعلى سلطة تنفيذية في قيادة الدولة وإدارتها؛ «فرئيس الدولة هو الرئيس المباشر لدولته ورمزُ سيادتها»[1]، وهذه تختلف من نظامٍ إلى آخر؛ فقد يكون رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة، وذلك في النظام الديمقراطي الرئاسي كما في النظام الفرنسي والنظام الأمريكي. كما يكون الملك هو رئيس الدولة، وذلك في النظام الملكي كما في النظام المغربي والنظام الأردني. ويكون رئيس الوزراء هو رئيس الدولة الفعلي (وإن لم يكن الاسمي)، وذلك في النظام الديمقراطي البرلماني كما في النظام الإيطالي، أو النظام البريطاني؛ (رغم أن النظام الديمقراطي البرلماني يوجد فيه مسمى منصب رئيس الدولة، سواء كان رئيساً أو ملكاً أو إمبراطوراً، لكنها رئاسة شرفية، أو رئاسة تنفيذ إجراءات محدَّدة بظروف معيَّنة منصوصٍ عليها في الدستور).

كما يكون الكيان في غالب الأمر شخصاً واحداً؛ وإن اتخذ له أعواناً ومستشارين، كما يكون الكيان مجموعة أشخاص (اثنين أو أكثر) فتكون القيادة جماعية؛ وذلك في حالة نظام حكومة الجمعية كما في النظام السويسري.

أما رئيس الدولة في النظام الإسلامي فله مسمى واحد؛ وهو (الخليفة) أو مرادفه (الإمام)، الذي يتمتع بكافة الصلاحيات لإدارة الحكم والرعية في الدولة، لا يدانيه في منزلته أحد، وقد عرَّف أهل العلم الخلافة أو الإمامة بعدة تعاريف متآلفة غير متعارضة، وقد يكشف بعض التعاريف عن شيء من خصائصها لم يكشفه التعريف الآخر أو يؤكد عليه، بل تركه اعتماداً على أن ذلك من مشهور الأمر لدى المسلمين، ويوشك أن يكون كلُّ عالم أكد في تعريفه على الجانب الذي يراه مستحقاً للتنويه به من غير أن ينكِر الجوانب الأخرى.

(١) موسوعة علم السياسة، د. ناظم عبد الواحد الجاسور، ص ٢٠١.

فقد عرَّفها الماوردي بقوله: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[1]، ولعله نظر في تعريفها إلى مسألة المستند أو المرجعية التي تؤوب إليها كأهم ما يميزها؛ فبيَّن أن مستندها ومرجعيتها الشريعة؛ لأنها خلافة النبوة، ثم بيَّن وظائفها أو مهامها، فذكر أنها تشمل حراسة الدين، وسياسة الدنيا بالدين؛ فالدين هو الأصل والعصام.

وعرَّفها إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، فقال: «الإمامة رياسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة والعامة من مهمات الدين والدنيا»[2]، ولعله نظر في تعريفه إلى مسألة مدى واتساع صلاحياته، فبيَّن أنها رياسة تامة وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، وأن متعلَّقها مهماتُ الدين والدنيا.

وعرَّفها أحمد بن يحيي بن المرتضى، فقال: «الإمامة رياسة عامة لشخص مخصوص بحكم الشرع ليس فوقها يد»[3]، ولعله نظر في تعريفه إلى مسألة تعددية أو واحدية القيادة فبيَّن أنها لشخص مخصوصٍ بحكم الشرع، وهو ما يعني واحدية شخص الخليفة؛ فالخلافة ليست هيئةً مكونةً من اثنين أو جماعة من الناس.

وثمة تعريفات أُخرَى أغلبها تدور في فلك التعريفات السابقة: إما بزيادة وإما بنقص، مع عدم إنكار الجوانب الأخرى.

وبالإمكان أن نحدد مما تقدَّم ثلاثة عناصر واضحة في تعريف الخلافة:

١ - المستند أو المرجع الذي تصدر عنه: وهو الشريعة.

٢ - المجال أو المدى الذي تغطيه: وهو خاصة الناس وعامتهم في أمورهم الدينية والدنيوية.

٣ - الكيان القائم بها: وهو فرد واحد، لا يَشرُكه في منزلته أحد؛ وإن كان ممن يعيّنه ويساعده، فهو داخل تحت طاعته.

ولعل التعريف الذي يجمع بين هذه المكونات الثلاثة هو أَوْلى التعريفات بذلك، ولعلنا تعريفنا لها بقولنا: «هي خلافة عن صاحب الشرع لشخص صالح لها بحكم الشريعة، تتعلق بالخاصة والعامة من مهمات الدين والدنيا»، يحقق المكونات الثلاث التي مرَّ ذكرها.

(١) الأحكام السلطانية للماوردي، (ص ٧).
(٢) غياث الأمم في التياث الظلم للجويني، (ص ٧٣).
(٣) البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، (٥/ ٣٧٤).



شروط رئيس الدولة:

بينما نجد شروطَ رئيس الدولة في الأنظمة المعاصرة التي تلتزم بالدساتير الوضعية لا تتجاوز أموراً أقرب ما تكون إلى الشكلية، فإننا نجد في المقابل في النظام الإسلامي - إلى جانب الشروط الشكلية - الشروطَ الموضوعيةَ التي تصفُ بدقة الصورة التي ينبغي أن يكون عليها رئيس الدولة.

تدور شروط رئيس الدولة في الدساتير الوضعية على:

١ - تحديد سنٍّ من يتبوَّأ هذا المنصب، وفي غالب الأحيان يكون أربعين سنة فما فوق.

٢ - التمتع بجنسية البلد التي يكون رئيساً لها، هو وبعض آبائه.

٣ - التمتع بممارسة الحقوق السياسية؛ فلا يكون محروماً من ممارستها.

فهذه هي مجمل الشروط في رئيس الدولة، وهي كما يتبيَّن للناظر لا تكفل الإتيان بإنسانٍ صالحٍ لهذا المنصب حتى مع توفُّرها في من يتولاها.

وهناك بعض الشروط التي ربما يُنَصُّ عليها في دستور ولا يُنَصُّ عليها في الدستور الآخر، وهي مع ذلك غير كافية

فـــي اختيـارِ صـالـحٍ لهـذا المنصـب؛ ففـــي المـادة رقـم ٧٥ – مثلاً – في دســـتورِ دولـة عربيـة: «يُشترَط في مـن يُنتخَبُ رئيساً للجمهورية أن يكون:

١–(وطنياً)[١] من أبوين (وطنيين).

٢– وأن يكون متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية.

٣–وألا تَقِلَّ سِنُّه عن أربعين سنة ميلادية».

وفي المادة رقم ٥٣ في دستور دولة ثانية: «يجب أن تتوفر في المرشـــح لمنصـــب رئيس الجمهورية الشروط التالية:

١ – أن يكـــون (وطنيـــاً) بالميلاد.

٢ – أن يكون سليم العقل.

٣ – ألا يقـــل عُمُـــرُه عن أربعين عاماً.

٤ – أن يكون ملمّاً بالقراءة والكتابة.

٥ – ألا يكـــون قـــد أُدِين في جريمـــة تتعلق بالأمانة أو الفساد الأخلاقي.

وفـــي المادة رقـــم ٣٠ من دســـتور دولة أخرى: «يُشتَرَط في المرشح لرئاسة الجمهورية أن يكون:

١ – (وطنياً) بالولادة، ومن أبوين (وطنيين).

٢ – كامـــل الأهلية، وأتمَّ الأربعين سنة من عُمُره.

٣ – ذا سمعة حسنة ومشـــهوداً له بالنزاهة والاستقامة والعدالة والإخلاص للوطن».

وفـــي المقابل نجد أن الشـــروط المطلوبة من وجهة نظر الشـــريعة في رئيس الدولة تتجاوز هذه الأمور الشكلية إلى الشروط الموضوعية التي على أساسها يتبيَّن مدى صلاحية رئيس الدولة الحقيقية لأن يكـــون في هذا المنصب الرفيع، والتي تؤهله حقيقةً للقيام بوظيفته على نحو يسمح له بدرجة كبيرة جداً بتحقيـــق الأهداف والغايات المتوخاة من منصبه، وهذه الشروط هي:

١ – أن يكون رئيس الدولة مسلماً عند التولية وأثناءها: فلـــو طرأ عليه كفر أو ارتد – عيـــاذاً بالله من ذلك – انعزل ولم تَعُد لـــه ولاية. والأدلة على وجوب كونه مســـلماً كثيرة مشـــهورة، ويكفي في ذلك أن نذكر الإجماع. قال ابن المنذر: «أجمع كلُّ مـــن يُحفَظ عنه من أهل العلم أن الكافر لا ولاية له على مسلم بحال»[٢]، وقال القاضي عياض: «أجمع العلماء



علـــى أن الإمامـــة لا تنعقد لكافـــر، وعلى أنه لـــو طرأ عليه الكفر انعـــزل»[٣]. وهذا الشرط يكشف بوضوح وجلاء عن طبيعة هذه الدولة، ويبيِّن أنها دولة الشريعة؛ حيث يبيِّن وجهتهـــا، وأن دور الشـــعب (حاكماً ومحكومـــاً)، هو دور المتَّبع الـــذي لا يملك الخروج عمَّا حدَّته له أحكام الشـــرع. وهذا الشـــرط ممـــا ليس له وجود في بعض دساتير الدول العربيـــة، ووجوده في بعضها الآخـــر لا يتضمـــن الالتزام بشرائع الإســـلام، وإنما هو وجود اسمي.

٢ – العلـــم: وهذا منظور إليه من ناحية العلم الشرعي، وذلك نابـــع من طبيعة الدولة فـــي الإســـلام وأنهـــا دولة الشـــريعة، وقد اختلف أهل العلم فـــي الحد الذي ينبغي أن يحصِّله الخليفة من العلم على قولين:

١ – أن يكون الإمام قد بلغ مرتبة الاجتهاد.

٢ – لا يُشترَط بلوغُ رتبة الاجتهاد، ولكن يكفي أن يحصِّل من العلوم ما يتمكن به من فهم المشكلات، ويقدر من خلاله على الموازنة بين الآراء المختلفة المتعارضة؛ ليتوصل إلى أقرب الآراء للصواب، وأياً مَّا كان الأمر فإن الخليفة لا يستغني عن مراجعة العلماء في ما يُشْكِل من الأمور والنوازل.

(١) وطنياً: نسبة إلى الوطن الموضوع له الدستور.

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم: (١/ ٤٦٥)، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٢/ ٢٢٩).

والعناية بالعلم الشـــرعي لا تعني أن يكون الإمام عارياً من العلوم الأخرى، وإنما ينبغـــي أن يكون له بَصَرٌ نافذٌ في الحادثات وقدرةٌ على السياســـة، وهذا الشرط مما ليس له وجود أو نظير في الدساتير العربية؛ وهو ما يسمح بأن يرقى لهذا المنصب العالي الجهلاء وأشـــباههم؛ فبعض الدساتير لم تُشـــر لذلك البتَّة، وبعضها الآخر اشـــترط أن يكون ملمّاً بالقراءة والكتابة

٣ – العدالة: وهي صفة تجعل المتحلي بها في مقام؛ بحيث يكون مؤدياً للفرائض مجتنبـــاً لكبائر الذنوب، غير مجاهر ولا مُصِـــرٍّ على صغائرها؛ فهي تجمـــع العديد من الصفات الحسنة: كالتقوى والأمانة والصدق، وتنفي الصفات السيئة: كالكذب والغـــش والخيانة، بل إنها تحمل صاحبها على بلوغ درجات عليا من العدالة ليســـت بواجبة، كالحياء الذي يدفع صاحبـــه إلى هجر بعض المباحـــات، أو البعد عن الانهماك فيهـــا؛ لِمَا يدل الانغماس فيها على ضعف جانب الزهد في مباهج الحياة الدنيا، كما تحمله العدالةُ على مراعاة الآداب العامة ومراعاة العُرْف، ولا شـــك أن الفسق على الضد من العدالة، ومن ثَمَّ لا يجوز عَقْد الإمامة للفاسق ابتداءً؛ فالإمام يُنصَب لحفظ الدين وسياســـة الدنيا بـــه وإقامة العدل بين الناس ودَفْع الظلم، وما به من فســـق يقعده في غالب أمره عن القيام بذلك.

٤ – جودة الرأي: التي تفضي إلى السياســـة الحســـنة للرعية، وتدبير المصالح في السلم والحرب على نحو يتمكن به من القدرة الكاملة على سرعة البتِّ في الأمور الهامة التي تتعلق بها مصالح الرعية.

٥ – سلامة الحواس والأعضاء: بحيث تمكِّنه من سرعة الانتهاض في الملمـــات، والتي يؤثر فِقدانُها على قيام الإمام بمهام ومتطلبات وظيفته، ســـواء بالعجـــز عن القيام بها أو الضعف في اســـتيفائها؛ لأن مقصودَ الإمامة لا يتم مع فَقْد هذه الأشياء.

٦ – الشجاعة والجرأة التي تحمل الإمام على الإقدام على ما فيه تحصيل المصالح العامة للأمة بغير خوف ولا اضطراب أو تردد.

٧ – الذكـــورة: فالإمام ينبغي أن يكـــون ذكراً؛ حيث إن مهام الإمامة لا يقدر على القيام بها على وجهها إلا الرجال الأقوياء جســـداً وعقلاً وقلباً، وقد قال رسول الله ﷺ: «لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة»[1]. وهي من المسائل التي انعقد الإجماع عليها، وهذا ليس فيه حطٌّ من شـــأن المرأة أو إزراء بها كما يصوِّر ذلك الذين لا يعقلون؛ فإن كل عمل من الأعمال يتطلب وجود صفات تناســـبه، ومن المتفق عليه عند العقلاء أنـــه ليس من الحكمة تكليف المرء بما لا يناســـبه أو يخالف طبيعته، وقد قضى الله – تعالى – أن يرسل إلى خَلْقه رُسُلاً وأنبياء يبلغون الناس (الرجال والنســـاء) عنه ما أراده منهم؛ ومع ذلك فما أرسل إليهم إلا الرجال.

(٨ – ٩) – البلـــوغ والعقل: وهذان شـــرطان لازمان في الولايات كلها وفـــي التكاليف جميعها، والعقل المطلوب ليس فقط العقل الذي تجب به التكاليف، «بل لا بد أن يكون على درجة عالية من الذكاء والفطنة تمكنه من التفكير في قضايا الأمة وإيجاد الحلول المناســـبة لها»[2]، فهذه مجمل الصفات المطلوبة في الإمام. وأما الحديث عن شرط القرشية فذاك مطلوب في الخليفة أو الإمام، أما رؤســـاء الدول التي ليست بخلافة فلا يشترط فيها ذلك.

وقد أجمل الماوردي تلك الشـــروط، فقـــال: «وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة:

أحدها: العدالة على شروطها الجامعة.

والثانـــي: العلـــم المـــؤدي إلـــى الاجتهاد فـــي النوازل والأحكام.

والثالث: ســـلامة الحواس: من السمع والبصر واللسان؛ ليصح معها مباشرة ما يُدرَك بها.

والرابع: ســـلامة الأعضاء من نقص يمنع من اســـتيفاء الحركة وسرعة النهوض.

والخامـــس: الرأي المفضي إلى سياســـة الرعية وتدبير المصالح.

والسادس: الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

والسابع: النســـب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه»[3].

نَصْبُ رئيس الدولة:

أولاً: في الأنظمة الجمهورية: تعتمد الأنظمة الجمهورية – ولو من الناحية النظرية – الترشـــيح من قِبَل طلاب هذا

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٤٠٧٣).
(٢) الإمامة العظمى، د. عبد الله الدميجي: (ص٢٤٠).
(٣) الأحكام السلطانية، (ص٨).

المنصب، والانتخاب من قِبَل الشعب، وسيلةً للوصول إلى هذا المنصب، فهو مكوَّن من شقين:

١ - طالب أو مترشح يدعو الناس إلى اختياره.

٢ - المنتخبين (وهم مَنْ يمكن أن يُطلَق عليهم الشعب السياسي) الذين يمنحون أصواتهم لأحد المترشحين.

ويفوز بهذا المنصب من يحصل على أغلبية أصوات الناخبين. والناخبون: إما أن يختاروا رئيس الدولة مباشرة، وإما أن يختاروا طائفة من الناس، وهي التي تقوم بانتخاب الرئيس على اختلاف الأنظمة.

والغالب على الأنظمة العربية اختيار الطريقة الأولى والتي يقوم فيها المنتخبون بانتخاب الرئيس مباشرة بغير واسطة.

ويؤخذ على هذه الطريقة في شقها الأول: أنها تعتمد على أن يطلب الإنسان من الآخرين اختياره لهذا المنصب، وهو في سبيل ذلك سوف يقدِّم لهم من الأسباب التي تدعوهم إلى اختياره دون غيره من المترشحين، وهو ما يحمله في غالب شأنه على أن يشهد بالكذب لنفسه وبالكذب على غيره؛ فليس كل ما يذكره من مميزات لنفسه صحيحة، كما أنه ليس كل ما يذكره من سيئات الآخرين صحيح، وبناءً على ذلك فإن هذه الطريق تشرِّع في ضمن ما تشرِّع الكذب والدجل؛ ولو بطريق غير مباشرة، ومثل هذا أيضاً طبيعة الدعاية التي لا بد منها لمن يرشح نفسه، إضافة إلى التكلفة المالية الضخمة التي يحتاج إليها المترشح لكي يدعو إلى نفسه وهو ما يعيق الوصول الحقيقي لغير الأغنياء ومَنْ ليس لديهم وفرة مالية لهذا المنصب ولو كانت لديهم الكفاءة الحقيقية له، إضافة إلى الوعود التي يقطعها طالب المنصب على نفسه إذا تم اختياره، وهي وعود يراعي فيها في المقام الأول جذبَ الناخبين والتأثيرَ في قناعاتهم ومن ثَمَّ قرارهم، أكثر من تحريه تحقيق المصالح العامة للدولة والرعية.

ولو قُدِّرَ أن هناك ظروفاً استثنائية قد تدعو إلى أن يرشح أحد الناس نفسه، لكن ليس من الصواب في شيء أن يؤسَّس نظام على حالة استثنائية؛ ذلك أن الاستثناء خروج عن الأصل وابتعاد عنه، والاستثناء في غالب أمره حالة طارئة لا تلبث أن تزول؛ فكيف يُبْنى نظامٌ يطبق في كل حالة اعتماداً على وضع استثنائي لا يلبث أن يزول؟

ومع ذلك فهناك نصوص شرعية تبيِّن فساد هذا الطريق وذلك من ثلاث جهات:

١ - النصوص التي تنهى عن طلب الولاية: فقد قال الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن سَمُرة: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أُعطيتها من غير مسألة، أُعنت عليها»(١)، وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي: لا تَأَمَّرَن على اثنين ولا تولَّيَن مال يتيم»(٢).

٢ - النصوص التي تبيِّن أن طالبها لا يعان؛ وإنما يُتْرَك لنفسه، ومنها حديث عبد الرحمن بن سمرة السابق.

٣ - النصوص التي تبين أنه لا ينبغي أن تعطى لمن يطلبها؛ فعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: «دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمِّرنا يا رسول الله! وقال الآخر مثله، فقال: إنَّا لا نولِّي هذا من سأله، ولا من حرص عليه»(٣).

وغير ذلك من الأحاديث التي تبين خطورة التعرض لهذا المنصب، وأن السلامة في الابتعاد عنه؛ بحيث لا يدخل فيه إلا مضطراً مدفوعاً من الآخرين لقبول ذلك؛ فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة؛ فنعم المرضعة وبئست الفاطمة!»(٤)، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ويلٌ للأمراء ويلٌ للعرفاء ويلٌ للأمناء؛ ليتمنَّيَن أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقةً بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شيء»(٥).

وما ورد من أدلة يمكن أن يستَدِل بها بعض الناس على جواز الدعاء إلى النفس والتعرض لطلب الولاية، فهذه أدلة تكتنفها ظروف خاصة وأحوال استثنائية، وليست أحوالاً عامة؛ وما كان بتلك الصفة فلا يمكن أن يقام على أساسه نظام مطَّرد.

وأما من ناحية المنتخبين فإن الأنظمة الانتخابية الوضعية لا تشترط في المنتخِب أي شروط تبيِّن مدى قدرته على الاختيار السليم: من حيث العلم أو المعرفة بواجبات الرئيس ومسؤولياته التي تسمح له بمعرفة القادر على القيام بها من بين المترشحين، كما لا تشترط فيه أي قَدْر من الإيمان أو

(١) أخرجه البخاري، رقم (٦٢٢٧)، ومسلم، رقم (٣١٢٠).
(٢) أخرجه مسلم، رقم (٣٤٠٥).
(٣) أخرجه البخاري، رقم (٦٦١٦)، ومسلم، رقم (٣٤٠٢).
(٤) أخرجه البخاري، رقم (٦٦١٥)، ومسلم.
(٥) أخرجه أحمد في المسند، رقم (٨٢٧٣).

التقوى أو العدالة التي تجعلــه يتقي الله – تعالى – في مَنْ يختاره، كما لم تشــترط فيه أي قَدْر من الفطنة التي تحميه من أن يكون نهباً للدعايات الكاذبة أو المغرضة.

وقــد ورد في قوانين مباشــرة الحقوق السياســية في الأنظمة الوضعية تحديدُ الناخبــين الذين يحق لهم اختيار رئيس الدولة بما يلي:

١ – أن يكون (وطنياً).

٢ – أن يكون قد بلغ ســنّاً معيَّنــة (في غالب الأمر ١٨ عاماً).

٣ – أن لا يكون محروماً من حق الاختيار.

وهذه الشروط كما يتبين لا يمكن أن تنتج شخصاً قادراً على الاختيار الســليم، وخاصة في أمر عظيم مثل رئاســة الدولة.

ثانياً: في النظام الإسلامي:

إن نصب رئيس الدولة في النظام الإسلامي يعتمد على الصــدق في أحقية من يُختَار لهــذا المنصب، وعلى أن حق الاختيــار مكفول لمن يملك القدرة علــى الاختيار الصحيح، ويعتمد النظام الإسلامي في تحقيق ذلك على أمرين:

أولاً: لا يتقدم أحد من الصالحين لهذا المنصب ولا يطلبه لنفســه: ومن النصوص الدالة على ذلك قوله ﷺ المتقدم: «لا تســأل الإمارة»، وقوله ﷺ: «لا تأمَّرَنَّ على اثنين»، وهذا يقضي على المفاسد الناجمة عن شعور بعض الناس بأحقيتهم بهذا المنصب دون غيرهم بما فيهم: من عُجْب وغرور وشعورٍ بالاســتعلاء على الآخرين، كما يتخلص من الكذب والدجل والقدح في الآخرين المصاحب لعملية الدعاية، وكذلك عدم الاضطــرار أو الحاجة إلى إعطاء وعود للشــعوب بتحقيق بعض ما يبغونه مكافأة على انتخابهم إياه.

ثانيــاً: أن أهل الاختيار هم الذيــن يقومون باختيار مَنْ يصلح لهذا المنصــب، أو باختيار أكثرهم صلاحاً عند تعذُّد الصالحــين للمنصــب؛ ولا يصلح أن يُختَار مَــنْ ليس أهلاً للاختيار، ولا أن يستبد فرد أو مجموعة من النــاس بالاختيار – حتى وإن كانوا صالحين للاختيار– بدون الرجوع إلى أهل الاختيار الذين هم أهل الحل والعقد في هذه الأمور ونحوها. ومن النصوص الدالة على ذلك قول الرســول ﷺ مشــيراً إلى خلافة أبي بكر: «يأبى الله ذلك والمســلمون»[١]، فقوله: «يأبى الله» يستفاد منه الأمر القدري الذي قدَّره الله، تعالى. وقوله: «والمسلمون» يستفاد منه مكانة المؤمنين في التولية من الناحية الشــرعية، وأن إسناد منصب الرئاسة لمن يستحقها إنمــا هو للمؤمنين، كما يدل له قول عمر – رضي الله تعالى عنه –: «من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايَع هو ولا الذي بايعه، تغرة أن يقتلا»[٢]. وهذا يكفل الصدق في الاختيار، كما يكفل أن يكون المختار بارزاً مشــهوراً بأقواله وأفعاله الحميدة.

شروط أهل الاختيار:

وقد أجمل الماوردي هذه الشــروط بقولــه: «فأما أهل الاختيار[٣]، فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة:

أحدها: العدالة الجامعة لشروطها.

والثاني: العلم الذي يُتوَصل به إلى معرفة من يســتحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها.

والثالث: الــرأي والحكمة المؤدِّيان إلــى اختيار من هو للإمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقوَم وأعرَف»[٤].

فالعدالة تشمل: الإسلامَ والعقل والبلوغ، واجتنابَ كبائر الذنوب، وعدمَ التظاهر بصغائرها.

والعلم يشمل: العلمَ بالأحكام المتعلقة بالسياسة الشرعية، ومعرفةَ الشــروط المعتبرة التي ينبغــي وجودها في المختار للخلافــة، ومعرفةَ ما يؤثر فَقْده منهــا وما لا يؤثر، وكيفية التحقق من وجود هذه الشــروط في من يُختَار للخلافة، مع قدرةٍ على الفهم والاستباط وفَهْم الدليل.

والرأي والحكمة يراد بهما: معرفة المصالح والمفاســد، والطــرقِ المؤدية لتحقيق المصالح أو درء المفاســد، والقدرةِ على الموازنــة بين الأمــور وترجيح الراجح منهــا واختيارِ أصلح الصالحين للإمامة ممن هو أعرف بالسياســة وأقدر على تحقيق أعلى المصلحتين ودرء أفســد المفســدتين، مع مراعاة الظروف المحيطة بذلــك: من اعتبار الزمان والمكان والأحوال.

الشوكة:

وقد أضاف بعض أهل العلم لهذه الشروط ما رأوه كفيلاً بتحقيــق رؤية أهــل الحل والعقــد فــي أرض الواقــع؛ بحيث

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) أخرجه البخاري، رقم (٦٣٢٨)، تغرة: حذراً.

(٣) هم الذين يختارون الخليفة، وهم الذين يسمَّون في كتب السياسة الشرعية بأهل الحل والعقد.

(٤) الأحكام السلطانية: (ص ٨).

لا يكـــون رأيهم مجـــرد توصيات أو توجيهـــات، بل تكون لهم القدرة على تحقيق وتنفيذ ما يـــرون في أرض الواقع. وهذا الشرط هو شرط الشـــوكة: وهي أن تكون لهم القوة والقدرة على فَرْض إرادتهم على الـمُعارض، ويقول ابن تيمية عن أهل الشـــوكة: «هم الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة»[1]، وقال في مـــكان آخر: «الذين يقام بهم الأمر؛ بحيث يمكن أن يقام بهم مقاصد الإمامة»[2]. وهذه الشوكة هي التي عناها ابن خلدون بالعصبية، وهذا الشـــرط مستفاد من بيعةِ عمر لأبي بكر - رضي الله عنهما - وتتابُعِ المســـلمين في السقيفة على بيعة أبي بكر بعدها؛ فمن بايعه فيها كانوا هم أهل الشـــوكة والقادريـــن على إنفاذ ما رأوه؛ بحيث لا يســـتطيع أن يغالبهم في ذلك معارض لهم؛ فالعاقدون (أهل الحل والعقد) للرئيس ينبغي أن تكون لهم شوكة ظاهرة وقوة قاهرة؛ بحيث لو حدث خلاف لتمكنوا من إمضاء بيعتهم وتنفيذها[3].

ويمكننا القول: إن هذه الشـــروط - باســـتثناء شـــرط العدالـــة - لا يتطلب كلُّ واحد منها فـــي كل واحد من أهل الحل والعقد على انفراد، ولكن قد يكون من الأوفق أن نقول: ينبغي وجود هذه الشـــروط في أهل الحل والعقد من حيث المجموع وليس من حيث الانفـــراد؛ فيكون فيهم جماعة من العلماء، وجماعة من الخبراء أو السياسين أو أصحاب الراي والتدبير، وجماعة من أهل الشوكة المطاعين كرؤساء القبائل والوجهاء وقادة وحدات الجيش.

وهذه الشـــروط هي بالنســـبة إلى أهل الحـــل والعقد أنفسهم، وهناك شرط آخر منظور إليه من قِبَل المسلمين؛ وهو أن يكونوا ممن يســـرع الناس إلى موافقتهم وقبول اختيارهم لثقتهم في دينهم وعلمهم وعنايتهـــم بمصالح الناس. وهذا يؤدي بنا إلى التعرف علـــى مكانة هؤلاء في مجتمع الناس؛ وذلك أن الناس لا تســـرع إلى موافقة وقبول اختيار إلا من تعلَمُه وتراه بارزاً مشـــهوراً مشاركاً في مصالح الناس، وعلى ذلك فإن أهل الحل والعقد ليســـوا مجرد أُناس عاكفين على العلم والمعرفة منقطعين عن النـــاس وعن واقع الحياة؛ فإن هؤلاء أكثرهم مجهول بالنسبة لعموم الناس؛ فالخامل الذي لا ذكـــر له ولا جهد في حركة المجتمع - وإن كان عالماً - أنَّى ينتبه الناس له؟

(١) منهاج السنة النبوية: (١/ ٣٦٤).
(٢) منهاج السنة النبوية: (٨/ ٢٣٨).
(٣) انظر: غياث الأمم: (ص ٥٥ - ٥٦)، منهاج السنة: (١/ ٥٢٦).

والرأي والحكمة يراد بهما: معرفة المصالح والمفاسد، والطرق المؤدية لتحقيق المصالح أو درء المفاسد، والقدرة على الموازنة بين الأمور وترجيح الراجح منها، واختيار أصلح الصالحَين للإمامة ممن هو أعرف بالسياسة وأقدر على تحقيق أعلى المصلحتين ودرء أفسد المفسدتين، مع مراعاة الظروف المحيطة بذلك: من اعتبار الزمان والمكان والأحوال.

وأمـــا العدد الذي تنعقد به بيعتهم؛ فليس لذلك حد معلوم؛ إذ لم يثبت بذلك نصٌّ، والمتيقن منه في ذلك أن حصول الإجماع ليس شرطاً في ذلك، كما أن الواحد والإثنين اللذين يعقدان من غـير مشورة المســـلمين لا يصلح ذلك منهما، وقد استعرض أبو المعالي الجويني الأقوال الواردة في ذلك، وخلص إلى قوله: «الوجه عندي في ذلك أن نعتبر في البيعة حصول مبلغ من الأتباع والأنصار والأشـــياع يحصل بهم شوكة ظاهرة ومنعةٌ قاهرة»[4]، وقـــال ابن تيمية - رحمه الله -: «بعض أهل الكلام يقولون: إن الإمامة تنعقد ببيعة أربعة، كما قال بعضهم: تنعقد ببيعة اثنين، وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد؛ فليست هذه أقوال أئمة السنَّة، بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إمامـــاً حتى يوافقَه أهل الشـــوكة عليها، الذين يحصل بطاعتهم لـــه مقصود الإمامة؛ فإن المقصـــود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والســـلطان؛ فإذا بُويع بيعة حصلت بها القدرة والســـلطان صار إماماً؛ فالإمامة ملك وسلطان، والملك لا يصير ملـــكاً بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعـــة، إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقةَ غيرهم؛ بحيث يصير ملكاً بذلك... فمن قال: إنه يصير إماماً بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة وليســـوا هم ذوي القدرة والشـــوكة، فقد غلط، كما أن من ظن أن تخلُّف الواحد أو الإثنين أو العشرة يضر فقد غلط»[5].

ووجود هذه الشـــروط في من يَختَـــار الرئيس ويَعقِد له كفيلة باختيار أفضل الموجودين كما هي كفيلة بإمضاء بيعتهم وإلزام المخالفين لها بها.

نســـأل الله - تعالى - من فضلـــه أن يعين من أحب من عباده على القيام بهذه الفريضة.

(٤) غياث الأمم: (ص ٥٦).
(٥) منهاج السنة النبوية: (١/ ٥٢٦ - ٥٣١).

ولا أسهل!



الآن .. منتجات دواجن الوطنية أصبحت أكثر تنوعاً وأكثر سهولة لتناسب كافة الأذواق، لتكون اختيار الأم الحقيقي

حب الأم الحقيقي.. متنوع حقيقي

AL-WATANIA POULTRY
دواجن الوطنية
غذاؤكم ترعاه أيد أمينة

HACCP
SGS
أعلى المقاييس الدولية للغذاء

MOODY INTERNATIONAL CERTIFICATION
UKAS QUALITY MANAGEMENT
ISO 9001:2000 REGISTERED COMPANY

إنتاج المملكة العربية السعودية • الرقم المجاني ٨٠٠١٢٤٤٦٦٦ • www.al-watania.com

اليسوعية وإمبراطورية الروم الخفية

فيصل بن علي الكاملي
popedia@windowslive.com

في الخامس عشر من عام ١٥٣٤م وفي دَير «مونتمارتر» بباريس تقاسم رهط من الروم على محاربة الإسلام يقودهم قديس إسباني أعرج يدعى: «إغناطيوس دي لويولا». أخذ هذا القديس على أتباعه النذور الثلاثة التي كان يؤديها الفرسان الصليبيون: نذور الفقر، والتبتل، والطاعة، وأضاف إليها النذر الرابع الذي تشمئز منه نفوس الأسوياء. ثم توجه إلى البابا بولس الثالث الذي أعلن اعتماد الكنيسة الكاثوليكية هذا التنظيم الإغناطي الذي يعرف باليسوعية أو «جمعية يسوع» عام ١٥٤٠م. أما النذر الرابع فصار عمدة كثير من الجماعات الباطنية السرية التي انبثقت عن الكنيسة الكاثوليكية في ما بعد.



أخذ اليسوعيون على عواتقهم استعادة أمجاد الكنيسة الرومية، ودخلوا في معارك رهيبةٍ ضد من يخالفهم من البروتستانت في أوروبا. ولما حاولوا عام ١٦٨٨م أن يُجلسوا على عرش إنجلترا البروتستانتية عميلهم الكاثوليكي «جيمس الثاني»: ثار الإنجليز البروتستانت عليه في ما عُرف بالثورة المجيدة فألقى صولجانه في نهر التيمز وفرَّ إلى فرنسا. هناك في كلية «كليرمون» اليسوعية استطاع اليسوعيون بالتعاون مع عائلة ستيوارت الكاثوليكية (التي ينحدر منها بوش وعائلته) أن يؤسسوا الطقس[1] الاسكتلندي الذي هو العمود الفِقْري للماسونية، وهكذا أصبح هدف الماسونية هو تحقيق مصالح البابوية؛ بما فيها استعادة القدس من أيدي المسلمين بعد أن كان مقرَّ فرسان الهيكل في أثناء الحروب الصليبية. وهذا ما أثبته العلاَّمة الماسوني «جوهان يواقيم كريستوف بود»، كما نقل عنه الماسوني «ألبرت ماكي» قولَه:

«إن التنظيم [الماسوني] اختُرع من قِبَل اليسوعيين في

(١) المقصود بالطقس هنا: النظام التعبدي.

القرن السابع عشر كوسيلة؛ لإعادة الكنيسة الرومية في إنجلترا، ودثَّروها لتحقيق أغراضهم بدثار الهيكلية [عقيدة فرسان الهيكل]»[1].

وكان عميل اليسوعية «رامزي» الذي اخترع الطقس الاسكتلندي يَعُد الماسونية استمراراً لتراث فرسان الهيكل الصليبيين، وهو ما ذكره كثير من الكُتاب الأعلام، منهم «نِستا وِبستر» في كتابها: «الجماعات السرية والحركات الهدامة» نقلاً عن الماسوني «بارون تشودي»:

أن الأصل الصليبي للماسونية هو ما يُدرَّس رسمياً في المحافل؛ حيث يُعلَّم المرشح لدخول التنظيم أن العديد من الفرسان الذين كانوا قد خرجوا لإنقاذ البقاع المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين «شكلوا اتحاداً تحت اسم البنائين الأحرار [الماسون]؛ مشيرين بهذا إلى أن رغبتهم الأساسية كانت إعادةَ بناء هيكل سليمان»[2].

وعندما فطن ملوك أوروبا لأطماع اليسوعيين طالبوا البابا «كلمنت الثالث عشر» بحظر التنظيم، لكن اليسوعيين سقوه السمَّ عشية إعلان الحظر، فكان إعلان الحظر بعدها بأربعة أعوام على يد خليفته «كلمنت الرابع عشر» عام ١٧٧٣م. هنا لجأ اليسوعيون إلى روسيا وبروسيا، وظلوا يعملون في الخفاء إلى أن ظهروا ثانية باسم تنظيم الإلومياتي «المتنورين» بقيادة اليسوعي «آدم وايسهاوبت» عام ١٧٧٦م. وكان هذا التنظيم يجمع اليسوعيين والماسون الذين أصبحوا آلة لهم، بالإضافة إلى عائلة «روثتشايلد» القبَّالية اليهودية. يقول «جيمس روبيسون» الذي عاصر نشأة الـ «إلومياتي»:

(... تم تشكيل اتحادٍ [يعني الـ «إلومياتي»] يهدف صراحة إلى استئصال كل المؤسسات الدينية، والإطاحة بكل حكومات أوروبا القائمة. لقد رأيتُ هذا الاتحاد يبذل وُسْعَه بحماس ونظام حتى أصبح الآن لا يقاوَم. ورأيت أن أكثر القادة فاعلية في الثورة الفرنسية كانوا أعضاء في هذا الاتحاد، وأداروا تحركاتهم الأولى وَفْقاً لمبادئه وبواسطة تعاليمه وعونه)[3].

وبعد الثورة الفرنسية أعلن البابا «بيوس الثاني عشر» إعادة تنظيم اليسوعيين عام ١٨١٤م، فازدهر هذا التنظيم وأصبح هو المسيطر على شؤون الكنيسة الرومية الكاثوليكية تماماً وأصبح جنرال اليسوعيين (البابا الأسود) هو صاحب الحل والعقد. وكان من الزعماء الذين أبدو إعجابهم بهذا التنظيم وتواطؤوا معه: قائد النازيين «هتلر» الذي قال: «في «هِملر» أرى «إغناطيوس لويولا» الخاص بنا»[4]. فكان جزاؤهم بعد إنتهاء الحرب العالمية أن هرَّب الفاتيكان من بقي منهم إلى الأمريكتين في ما يُعرَف بعملية «مراقي الفاتيكان» The Vatican Ratlines.

وعلى يد التنظيم اليسوعي نشأ ما يعرف بمشروع «النظام العالمي الجديد» الذي يهدف إلى تركيز ثروات العالم وقواه تحت مظلة تشبه مظلة الأمم المتحدة تحكمها الكنيسة الرومية بشكل مباشر أو غير مباشر، وهو ما يُعرَف باسم: العولمة أو حكومة العالم الواحد. وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل «روما المؤقتة» التي تقوم بهذا الدور.

يرتبط زعماء أمريكا باليسوعية عن طريق تنظيماتٍ تابعةٍ لها؛ فـ «بوش الأب» وابنه ينتميان إلى «تنظيم الجمجمة والعظمين» التابع للتنظيم اليسوعي كما هو ثابت في وثائق جامعة «ييل» منشأ هذا التنظيم، وأما «كلينتون» فهو فارس من «فرسان دي موليه» آخر قادة فرسان الهيكل، وأما الرئيس الحالي «أوباما» فهو عضو في «مجلس العلاقات الخارجية». وهؤلاء الزعماء على اختلاف مشاربهم يسعون لتحقيق هذا «النظام العالمي الجديد» وإعادة إمبراطورية الروم بعد أن زلزلها الإسلام؛ فلا غَرْوَ أن نجد الرئيس «بوش الأب» عام ١٩٩٠ يسمي «أزمة الخليج» فرصةً لإقامة «النظام العالمي الجديد» فيقول:

(إننا نمتلك بين أيدينا الفرصة لأن نصوغ لأنفسنا وللأجيال اللاحقة «نظاماً عالمياً جديداً»، عالمياً حيث شريعة القانون لا شريعة الغاب تحكم سلوك الأمم، عندما ننجح - وسوف ننجح - فإن لدينا فرصة حقيقية لتحقيق هذا «النظام العالمي الجديد» نظام تلعب فيه «أممٌ متحدة» موثوقة دور حفظ السلام للوفاء بوعد ورؤية مؤسسي الأمم المتحدة[5].

وبعد أن تولى «بيل كلينتون» فارس دي موليِّه عرشَ «روما المؤقتة»، تحدَّث في أحد خطاباته عن ذلك المشروع المشترك «النظام العالمي الجديد» الذي لا يفرِّق بين جمهوري وديمقراطي قائلاً:

(1) Mackey, Albert. Encyclopedia of Freemasonry, p. 120121–.
(2) Webster, Nesta. Secret Societies and Subversive Movements, p. 154.
(3) Robison, James. Proofs of A Conspiracy (Philadelphia: 1798), p. 12.
(4) The Vatican against Europe, p. 256.
(5) http://www.youtube.com/watch?v=Rc7i0wCFf8g

(منذ عـــام ١٩٤٥م نهايةِ الحرب [العالمية الثانية] إلى عام ١٩٨٩م نهايـــةِ الحرب الباردة... كانـــت لدينا «نظرة عالمية»؛ الجمهوريـــون والديمقراطيون على حد ســـواء... من «هاري ترومـــان» إلى «جورج بوش»... ناضلنـــا من أجل الحرية ومن أجـــل قضايا معيَّنة تجعل أمريكا قويـــة وصحيحة وتزيد من الطبقة الوســـطى وتقلِّص الفقر وتقف في وجه الشـــيوعية. وبعدعام ١٩٨٩م ردد الرئيس بوش عبارة أســـتخدمُها بنفسي كثيراً: أننا بحاجة إلى «نظام عالمي جديد»...)[١].

أما «جـــو بايدن» الرومـــي الكاثوليكـــي، ونائب الرئيس الأمريكي الحالي، فقد دعا إلى تبنِّي مشـــروع «النظام العالمي الجديد» كسياسة خارجية لأمريكا في القرن الحادي والعشرين في كلمة ألقاها عام ١٩٩٢م أمام مجلس الشيوخ بعنوان: «على أعتاب النظام العالمي الجديد». جاء فيها:

(أود أن أقـــدِّم مقترحـــاً يبيِّن كيفيـــة بـــدء إعادة تنظيم سياســـتنا الخارجية؛ لنحقق القوة الكامنة الكاملة المتجسدة في عبارة «النظام العالمي الجديد»... إنني أحث على أن نُحْيي مفهوم «نظامٍ عالميٍ جديدٍ» وأن ننقذ العبارة من الشكوك وأن نســـتثمر فيها رؤيةً ينبغي أن تصير ضابط التنظيم للسياسة الخارجية الأمريكية في التسعينيات من القرن العشرين وفي القرن الذي يليه [الحادي والعشرين])[٢].

تنتشـــر اليســـوعية اليوم فـــي جميع أنحـــاء العالم بلا استثناء، سواء بشـــكل علني أو خفي حسب الظروف المتاحة لها؛ فهم يقسِّـــمون العالم إلى أقاليم لتســـهيل التعامل معها. فعلى ســـبيل المثال تقع إفريقيا تحت مظلةِ منظمةِ «يسوعيي إفريقيا ومدغشـــقر» JESAM، ويشـــرف على هذه المنظمة الأب اليسوعي «فراتيرن ماساوي»، وتقسم إفريقيا إلى سبعة أقاليم منها:

- إقليم إفريقيا الوسطى: ويشمل جمهورية الكونغو.
- إقليم إفريقيا الشـــمالية الغربية: ويشمل غامبيا وغانا وليبيريا ونيجيريا وسيراليون.
- إقليم إفريقيا الشرقية: ويشمل إثيوبيا وكينيا والسودان وتنزانيا وأوغندا.
- أمـــا مصر فداخلة تحت «إقليم الشـــرق الأدنى»، وأما المغرب والجزائر فتحت مظلة «منطقة المغرب» التابع لـ «إقليم فرنسا»، إلى أخر ذلك من التقسيمات[٣].

وكمـــا هو معروف عن تنظيم اليســـوعية فـــإن له حراكاً سياســـياً يفوق الجماعات الكنســـية الأخـــرى. وهو لا يهتم للنشـــاط التنصيري بقدر ما يهتم للسلطة والوصول إليها كما عبر عن ذلك نابليون بقوله:

(إن اليســـوعيين تنظيم عسكري وليســـوا رهبنة دينية. زعيمهم جنرال جيش وليس مجرد راهب في صومعته. وهدف هذا التنظيم هو السلطة: السلطة بكل ممارساتها الاستبدادية: سلطة مطلقة، سلطة شاملة، سلطة للسيطرة على العالم على قلب رجل واحد. إن اليســـوعية أكثر الأنظمة استبداداً، وفي الوقت ذاته أعظمها إساءة واستغلالاً... كلُّ عمل، وكل جريمة – مهما بلغت بشاعتها – جديرة بالتقدير، إذا ارتُكبت لمصلحة جمعية اليسوعيين أو بأمر الجنرال.[٤]

ولعل أقرب مثال على النشاط السياسي لليسوعيين هو مبادرة «الحركة الدولية للطلاب الكاثوليك» في السودان بتنسيقٍ ودعمٍ من اليســـوعيين في الخرطوم وإشـــرافٍ من الأبوين اليسوعيين «هانز بوتمان» و«جون شاشـــو»؛ لإقامة ورشة عمل بعنوان: «دور الطلاب الكاثوليك في الانتخابات السودانية (٢٠١٠) والاستفتاء (٢٠١١)». وكانت الدعوة إلى الطلاب الكاثوليك المشـــاركين أن «يصوتوا بشـــكل مسؤول». وقد شـــارك في هذه الورشة بعض المنظمـــات التابعة للأمم المتحـــدة كـ «بعثـــة الأمم المتحدة في السودان»، و«برنامج الأمم المتحدة الإنمائي»[٥].

أمـــا في الدول التـــي لا يمكن لهم التحرك فيها بشـــكل ظاهر، فيلجأون إلى اختراقها عن طريق المؤسسات التعليمية والجامعات. ومن أشـــهر الجامعات اليسوعية ذات النشاط المريب فـــي منطقـــة الخليـــج «جامعـــة جورجتـــاون» التي تضم مـــا لا يقل عـــن ٥٩ أكاديميـــاً هم من اليســـوعيين المعلَنين كما تشير إلى ذلك وثائق الجامعة.[٦]

إن اليسوعية (حاملة لواء الصليبية) التي أرهبت العالم على مدى أربعمائة عام على الأقل لا تزال تغرز مخالبها في خاصرة العالم الإسلامي وليس هناك من ينبري من أبناء الإسلام لتتبُّع أخبارها فضلاً عن التحذير منها؛ فهل أمِنَّا جانبهم؟

(1) http://www.youtube.com/watch?v=1etgsNU46s4.
(2) Biden, Joe. «On the Threshold of the New World Order.» http://www.scribd.com/doc/14566112/Jospeh-Biden-On-the-Threshold-of-the-New-World-Order
(3) http://www.jesam-infos.org/en/provregions.php
(4) Chiniquy, Charles. Fifty Years in the Church of Rome, p. 684.
(5) http://www.imcsafrica.levillage.org/eng/attachments/073_pax%20newsletter%202010.pdf
(6) http://jesuits.georgetown.edu/JCListing.cfm

DISCOVER ISLAM

JUMUAH الجمعة

Great Chance for Intl. Da'awah

Discover Islam Project in South Africa

فرصة دعوية عالمية

مشروع اكتشف الإسلام في المونديال

نهائيات كأس العالم 2010، جنوب أفريقيا



للاطلاع على تفاصيل المشروع اتصل بنا :

www.aljumuah.com/pro PO Box 26970, Riyadh 11496, Tel. +966 14781700, Fax +966 1 4786400

Mobile No. 0502210920, Email: saadjabr@aljumuah.com

رقم حسابنا بمصرف الراجحي باسم دار الجمعة للنشر والتوزيع SA 1580000216608010368157

خطبة الجمعة بين الإطالة والإقصار

إبراهيم بـن محمد الحقيل
Hogail22@gmail.com

من المعلوم ضرورةً في الإسلام أن صلاة الجمعة فريضة على الرجال بشروطٍ ذكرها الفقهاء، وأن هذه الشعيرة العظيمة هي من أظهر الشعائر وأجلِّها وأنفعها؛ ولذا كانت في يوم العيد الأسبوعي للمسلمين وأفضل الأيام؛ إذ اختُص عن سائر الأيام بخصائص كثيرة أفردها العلماء بكتبٍ وأبوابٍ في مصنفاتهم لكثرتها وأهميتها.

وقد شرع الشارع الحكيم - جل وعلا - جملة من الواجبات والسنن ليوم الجمعة: من الاغتسال والطيب ولُبْس أحسن الثياب والتبكير للمسجد وغيرها، أحسب أن من مقاصدها تهيئة المصلين للاستماع إلى موعظة الخطيب؛ فإن التطهر والاغتسال والسواك والطيب ولُبْس النظيف من الثياب منعش لصاحبه، ويُسَرّ به سروراً كبيراً، ويكون متهيئاً للاستماع أكثر من غيره، وإن الروائح الكريهة تشغل صاحبها كما تشغل المجاورين له.

والعجيب أن هذه السنن العظيمة في هذه الشعيرة الظاهرة بقيت في المسلمين على اختلاف بلدانهم وأجناسهم ولغاتهم رغم تقصيرهم في بعض الواجبات والفرائض: كصلاة الجماعة وغيرها. وأضحت عنايتهم بالاغتسال ليوم الجمعة والطيب ولبس النظيف من الثياب سمة ظاهرة في شتى بلاد المسلمين في الجملة.

بل إن الشارع الحكيم جعل الاستماع للخطبة واجباً. ونُهي شاهد الجمعة عن الكلام والعبث والحركة التي لا حاجة لها، ومَنْ فعل ذلك ذهب أجر جمعته ولو حضرها؛ كما في حديث أَبَي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «إذا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يوم الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ»(١)، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا»(٢) ورُتِّب على حضور الجمعة على الصفة التي أمر بها الشارع الحكيم مغفرةُ ذنوب الأسبوع وزيادة؛ كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من اغْتَسَلَ ثُمَّ أتى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى ما قُدِّرَ له، ثُمَّ أَنْصَتَ حتى يَفْرُغَ من خُطْبَتِه، ثُمَّ يُصَلِّي معه غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّام»(٣).

وصلاة الجمعة وخطبتها سُنة باقية، وشعيرة ظاهرة، منذ أن خطب النبي ﷺ أول جمعة إلى يومنا هذا، وإلى



(١) رواه البخاري:(٨٩٢)، ومسلم: (٨٥١).
(٢) رواه مسلم: (٨٥٧).
(٣) رواه مسلم: (٨٥٧)

أن يشـاء الله، تعالى. وهي في ازدياد، ومسـاجد الجمعة في ازدياد أيضـاً، والله - تعالى - وحده يعلم كم من خطبة تُلقَى كلَّ جمعة فـي الأرض، ولم تتوقف خطبة الجمعة منذ شُـرعت إلا في بعض الأمصار؛ لظروف طارئة كما توقفت الخطبة في المسجد الأقصى زهاء تسعين سنة أيام الاحتلال الصليبي، وفي مسـاجد بغداد أربعين يومـاً أثناء الاجتياح التتـري لها، ونحو ذلـك، لكنها كانت قائمـة في الأمصار الأخرى للمسلمين.

ورغم اتصال خطبة الجمعة من العهد النبوي إلى يومنا هـذا، فإنها تباينت بتباين الخطباء والجوامع والأمصار: في طولها وقِصَرهـا وموضوعاتها وبِنيَتهـا اللغوية والبلاغية، وطريقـة إلقائها، واحتفَّ بها في بعض ديار المسـلمين بدع ومُحْدَثـات ما أنزل الله - تعالى - بها من سـلطان، خُصت بأبواب في كتب إحصاء البدع والتحذير منها.

ومـا هذا الاختلاف والتباين فـي خطبة الجمعة - مع أنها نُقلت بالتواتر المتصل الذي لـم ينقطع أبداً من عهد النبوة إلى يومنـا هذا - إلا لاختلاف عقول البشـر، وثقافاتهم، وعلومهم، والأحـداث السياسـية والاقتصادية، والمتغيـرات الاجتماعية المحيطة بهم.

ومـن أهم الموضوعـات التي اختلف أهـل العلم والدعوة والخطابـة في ضبطها: مقدار طـول الخطبة وقصرها، وهو موضوع هذه المقالة التي أسأل الله - تعالى - أن تكون نافعة.

الأحاديث الواردة في ذلك:

نُقِل إلينا أحاديث عدة تحث على إقصار خطبة الجمعة وإطالة صلاتها، ومن هذه الأحاديث:

١ - حديـث أبي وَائِل قال: «خَطَبَنَا عَمَّـارٌ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ؛ فلمـا نَزَلَ قُلْنَا: يا أَبَا الْيَقْظَانِ لقـد أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْـتَ! فقال: إني سمعت رَسُـولَ الله ﷺ يقول: إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُـلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِه مَئِنَّةٌ من فِقْهِه؛ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُـرُوا الْخُطْبَةَ؛ وَإِنَّ من الْبَيَانِ سِـحْراً»، وفي رواية: قال عمـار - رضي الله عنه -: «أَمَرَنَا رسـول اللـه ﷺ بِإِقْصَارِ الْخُطَبِ»[١].

٢ - حديث جَابِر بن سَـمُرَةَ - رضـي الله عنه - قال: «كنت أُصَلِّي مع رسول الله ﷺ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْداً وَخُطْبَتُهُ قَصْداً» وفي رواية: «كان رسول الله ﷺ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يوم الْجُمُعَةِ؛ إنما هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ»[٢].

(١) رواه مسلم: (٨٦٩). والرواية الثانية لأبي داود: (١١٠٦). ونقل الشوكاني عن العراقي أن وقفَه أولى بالصواب، نيل الأوطار: ٣/ ٣٣١.
(٢) رواه مسلم (٨٦٦) والرواية الثانية لأبي داود(١١٠٧).



٣ - حديث الْحَكَم بن حَـزْنٍ الكلفـي - رضـي الله عنه - قـال: «قَدِمْتُ على رسـول الله ﷺ سَابِعَ سَـبْعَةٍ أو تَاسِـعَ تِسْعَةٍ... قـال: فَلَبِثْنَا عِنْدَ رسـول الله ﷺ أَيَّاماً شَـهِدْنَا فيها الْجُمُعَةَ. فَقَامَ رسـول الله ﷺ مُتَوَكِّئـاً على قَوْسٍ (أو قال: على عَصا) فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عليه كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ»[٣].

فكل هذه الأحاديث تدل على إقصار الخطبة وفـي بعضها إطالة الصلاة، والإقصار هنا لم يرد حدٌّ لأقله، ونُقل عن الشافعي في القديم: أن أقل الخطبة كأقصر سـورة في القرآن، وقال الماوردي: إنْ حَمِد اللـه - تعالى - وصلى على نبيِّه ووعظ أجزأه، ونُقِل عن ابن العربي أن أقلَّها: حمدُ الله والصلاة والسـلام على نبيِّه ﷺ، وتحذيرٌ وتبشـيرٌ وقرآن[٤].وقال البغوي - رحمه الله تعالى -: «وأقل ما يقع عليه اسـم الخطبـة أن يحمد الله ويصلي على النبـي ﷺ، ويوصي بتقوى الله. هذه الثلاث فرض في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن، ويدعو للمؤمنين في الثانية؛ فلو ترك واحداً من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشـافعي، رحمه اللـه»[٥]. وأحال ابن جُزَي المالكي في مقدارهـا على عُرْف العرب، فقال: «وأقلُّ ما يسـمى خطبة عند العرب، وقيـل: حمدٌ وتصلية ووعظ وقرآن»[٦].

وعامة الفقهاء على استحباب ما جاءت به الأحاديث من إقصار الخطبـة وعدم إطالتها[٧] حتى قال القرافي - رحمه اللـه تعالـى -: «واتفق الجميع على استحسـان قصر الخطبة»[٨]، وساق الشـوكاني جملة من الأحاديث في ذلك، ثم قـال: «وأحـاديث البـاب فيهـا مشـروعية إقصـار الخطبـة

(٣) رواه أبو داود: (١٠٩٦)، وأحمد: ٤/ ٢١٢، وفي سنده شهاب بن خراش أبو الصلت مختلف فيه، ونقل الشوكاني تصحيح ابن خزيمة وابن السكن، وتحسين الحافظ للحديث. انظر: نيل الأوطار: ٣/ ٣٣٠.
(٤) الحاوي الكبير: ٢/ ٤٤٣.
(٥) شرح السنة: ٤/ ٣٦٤.
(٦) القوانين الفقهية: ص٥٦.
(٧) انظر: بدائع الصنائع: ١/ ٢٦٣، شرح الخرشي على مختصر خليل: ٢/ ٨٢، والأوسط لابن المنذر: ٤/ ٦٠، والكافي لابن قدامة: ١/ ٢٢٢، والمغني: ٢/ ٧٨.
(٨) الذخيرة: ٢/ ٣٤٥.

ولا خلاف في ذلك»[1]. وقال ابن عبد البر - رحمه الله تعالى -: «وأما قصر الخطبة فسُنة مسنونة كان رسول الله ﷺ يأمر بذلك ويفعله»[2] وقال أيضاً: «وأهل العلم يكرهون من المواعظ ما ينسي بعضه بعضاً لطوله، ويستحبون من ذلك ما وقف عليه السامع الموعوظ فاعتبره بعد حفظه له وذلك لا يكون إلا مع القلة»[3]. ومن الفقهاء من يوجب إقصار الخطبة ويحرِّم إطالتها كابن حزم[4].

ولكن ليس في شيء من الأحاديث - فيما وقفت عليه منها - تحديد مقدار الخطبة؛ ولذلك اختلف العلماء في قَدْرها، وفي فهم معنى الإقصار المأمور به؛ إذ إن الإطالة والإقصار من الأمور النسبية التي لا يمكن تحديدها إلا بالنسبة لغيرها:

١ - فمن أهل العلم من رأى أن ذكر الصلاة مع الخطبة في بعض الأحاديث يقتضي المقارنة بينهما؛ بحيث تكون الخطبة أقصر من الصلاة؛ للأمر بإقصار الخطبة، وإطالة الصلاة. قال البيهقي - رحمه الله تعالى -: «وهكذا استحب الشافعي في القديم أن يكون كلامه خفيفاً وصلاته أطول من كلامه»[5] وقال زكريا الأنصاري - رحمه الله تعالى -: «القصر والطول من الأمور النسبية؛ فالمراد بإقصار الخطبة إقصارها عن الصلاة، وبإطالة الصلاة إطالتها على الخطبة»[6]. وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام؛ لأنه قال: «الإطالة هنا بالنسبة إلى الخطبة»[7].

واعتمده كثير من طلاب العلم المعاصرين، ومنهم من حسب الصلاة بقراءة سورتي الجمعة والمنافقون مترسلاً فكانت قريباً من ثلث ساعة أو ربع ساعة؛ فيكون مقدار الخطبة ربع ساعة أو ثلث ساعة، وأعرف من إخواني الخطباء من يحرصون على إقصار الخطبة عن الصلاة لموافقة السُّنة[8].

قلت: هذا الفهم للحديث فيه نظر، كما أن تحديد الخطبة بزمن معيَّن ليس عليه دليل، وهو مبني على فهمٍ غير دقيقٍ لأحاديث الإقصار، وسيأتي بيان ذلك، إن شاء الله تعالى.

٢ - ومن العلماء من ذكروا إقصار الخطبة لكن لم يحدُّوه بحد، ولم يجعلوه بالنسبة للصلاة. قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى -: «وكان مع ذلك مقتصداً في خطبته ولا يطيلها، بل كانت صلاته قصداً وخطبته قصداً»[9].

ومنهم من نصَّ على عدم المبالغة في إقصارها كما نقل النووي - رحمه الله تعالى - عن فقهاء مذهب الشافعي - رحمه الله تعالى -: «قال أصحابنا: ويكون قصرها معتدلاً، ولا يبالَغ بحيث يمحقها»[10].

ومن هؤلاء من جعل الأصل هو الإقصار ولم يحدُّوه بحد، لكن أجازوا الإطالة إذا اقتضى الحال ذلك. قال الأذرعي من الشافعية: «وحَسَنٌ أن يختلف ذلك باختلاف أحوالٍ وأزمانٍ وأسباب، وقد يقتضي الحال الإسهاب: كالحث على الجهاد إذا طرق العدو - والعياذ بالله تعالى - البلاد، وغير ذلك: من النهي عن الخمر والفواحش والزنا والظلم؛ إذا تتابع الناس فيها»[11].

وهذه الإطالة الطارئة لا تُخرِج الخطيب عن مئنة الفقه؛ كما قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -: «وأحيانا تستدعى الحال التطويل؛ فإذا أطال الإنسان أحياناً لاقتضاء الحال ذلك فإن هذا لا يخرجه عن كونه فقيهاً؛ وذلك لأن الطول والقصر أمر نسبي، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يخطب أحياناً بسورة (ق). وسورة (ق) مع الترتيل والوقوف على كل آية تستغرق وقتاً طويلاً»[12].

٣ - ومنهم من فهم منه أن الأمر بإقصار الخطبة بالنسبة لكونها خطبة، وللخطبة فكرة لا بد أن يوضحها الخطيب (طالت خطبته أم قصرت). كما كان عند العرب خطب طويلة، وكما حُفظ عن السلف خطب طويلة؛ فالمقصود إيفاء الموضع حقه، وإيصال فكرته للمنصت حتى يستفيد منه. وأما إطالة الصلاة فليست بالنسبة للخطبة وإنما بالنسبة لغيرها من الصلوات التي جاء الأمر بتخفيفها في الجملة، وليس معنى ذلك أن تكون الخطبة أقصر من الصلاة. قال سليمان الجمل في حاشيته: «قوله بالنسبة للصلاة أي: وإن كانت طويلة في نفسها»[13]، أي: الخطبة. بل يرى الشيخ ابن جبرين - رحمه الله تعالى - أن الخطبة ما قسمت يوم الجمعة إلى

(١) نيل الأوطار: ٣/٣٣٢.
(٢) الاستذكار: ٢/٣٦٣.
(٣) الاستذكار: ٢/٣٦٤.
(٤) قال - رحمه الله تعالى -: ولا تجوز إطالة الخطبة. المحلى: ٥/٦٠.
(٥) معرفة السنن والآثار: ٢/٦١. وانظر: نهاية المحتاج: ٢/٣٢٦، وحاشية الجمل على شرح المنهج: ٢/٣٥.
(٦) أسنى المطالب: ١/٢٦٠.
(٧) مجموع الفتاوى: ٢٢/٥٩٧.
(٨) وقد نشرت بعض الصحف المصرية أن وزارة الأوقاف المصرية ألزمت الخطباء بأن لا يزيدوا في خطبهم على (ثلث ساعة) وحقَّقتْ مع سبعة خطباء؛ لأنهم تجاوزوا ذلك، وفي ظني أنها أخطأت في التحديد، وفي إلزام الخطباء بما لم يَرِد، كما أن الخطباء - إن كان دأبهم المشقة على الناس بالإطالة - فقد أخطؤوا.
(٩) فتح الباري لابن رجب: ٥/٤٩٠.
(١٠) المجموع: ٤/٤٤٨.
(١١) نهاية المحتاج: ٢/٣٢٦، حاشية الجمل على شرح المنهج: ٢/٣٥.
(١٢) الشرح الممتع: ٥/٦٥.
(١٣) حاشية الجمل: ٢/٣٥.

خطبتين إلا لطولها فاقتضى ذلك الجلوس للاستراحة بين الخطبتين، وحدَّ الطويلةَ بساعة فأكثر، وعدَّ من الخطب القصيرة أن تبلغ ساعة إلا ثلثاً[1]. وقال الشيخ عبد المحسن الزامل – حفظه الله تعالى –: «وليس المراد أن الصلاة تكون أطول من الخطبة، لا. المراد أن الخطبة بالنسبة إليها تكون قصيرة، وأن الصلاة تكون طويلة»[2].

والذي يظهر لي أن هذا القول هو الصحيح في فهم أحاديث الإقصار، وأنه لا حدَّ لطول الخطبة أو قصرها، وأن عدم التحديد كان مقصوداً للشارع الحكيم، وأن ذلك متروك لاجتهاد الخطباء، وتلمُّسهم لحاجات الناس، وترجيحي لهذا القول من أوجهٍ ثلاثة:

الوجه الأول: أنه لم يرد في أي حديث من أحاديث الإقصار تحديد هذا الإقصار. ومن فَهِم من الحديث أن الخطبة تكون أقصر من الصلاة فقد أبعد النجعة؛ لأن النبي ﷺ لم يقل: مِنْ فِقْه الرجل أن تكون خطبته أقصر من صلاته، وإنما ذكر طول الخطبة وقصر الصلاة، ولا يقتضي الجمع المقارنة بينهما، بل قصر الخطبة بالنسبة لكونها خطبة والعادة فيها الطول، وطول الصلاة بالنسبة لكونها صلاة والأصل فيها التخفيف لحديث: «أَيُّكُمْ أَمَّ الناس فَلْيُوجِزْ»[3] فتخرج صلاة الجمعة عن هذا الأصل لهذا الحديث، ويُطَوَّلُ فيها.

الوجه الثاني: ما نُقل عن النبي ﷺ مما ظاهره التطويل، وكذلك ما نقل عن عمر، رضي الله عنه. وكان بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد منهم؛ وهو ما يدل على أنهم ما فهموا من أحاديث إقصار الخطبة أن تكون أقل من الصلاة، ومن هذه الأحاديث:

١ – حديث بِنْت حَارِثَةَ بن النُّعْمَانِ – رضي الله عنها – قالت: «ما حَفِظْتُ (ق) إلا من فِي رسول الله ﷺ يَخْطُبُ بها كُلَّ جُمُعَةٍ»[4] ومعلوم أن سورة (ق) ليست بالقصيرة؛ فكيف إذا ضم إليها افتتاحه الخطبة بالحمد، وربما أنه ذكَّر ووعظ كما هو هديه ﷺ في الخطبة.

٢ – حديث رَبِيعَةَ بن عبد الله بن الْهُدَيْرِ التَّيْمِيِّ: «أنه حضر عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ – رضي الله عنه – قَرَأَ يوم الْجُمُعَةِ على الْمِنْبَرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ حتى إذا جاء السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ الناس حتى إذا كانت الْجُمُعَةُ الْقَابِلَةُ قَرَأَ بها حتى إذا جاء السَّجْدَةَ قال: يا أَيُّهَا الناس إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصَابَ وَمَنْ لم يَسْجُدْ فلا إِثْمَ عليه ولم يَسْجُدْ عُمَرُ، رضي الله عنه»[5].

وظاهر الحديث أنه قرأ السورة كلها في الجمعتين كلتيهما، ومعلوم أن سورة النحل طويلة جداً. وبَعِيدٌ أن يطيل الصلاة أكثر من الخطبة وإلا لشق على الناس. وكانت خطبتاه بمحضر من الصحابة – رضي الله عنهم – ولم يُعرَف منكرٌ عليه هذا التطويل. مع ملاحظة أنه لم يكن ثمة ضرورة لقراءة سورة النحل فيما يظهر؛ حتى لا يقال: إن الضرورة دعت لهذا التطويل بسبب نازلة اقتضت ذلك؛ إذ بإمكان الفاروق – رضي الله عنه – أن يقرأها عليهم في غير الخطبة.

٣ – حديث ابن عباس، رضي الله عنهما. وهو طويل وفيه قصة، والشاهد منه خطبة عمر، رضي الله عنه. وفيها قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «فلما سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قام فَأَثْنَى على الله بِمَا هو أَهْلُهُ ثُمَّ قال... إلخ» وساقها. وهي طويلة[6].

وما نقله ابن عباس – رضي الله عنهما – هو جزء من خطبة عمر، رضي الله عنه؛ لأن ابن عباس أشار إلى الحمد ولم يذكره، كما لم يذكر الخطبة الثانية؛ لأنه لم يذكر جلوساً. والأصل أن هذا المنقول من خطبته – رضي الله عنه – كان متصلاً لم يقطعه كما يُفهَم من سياقها، وهذا الجزء من خطبة الفاروق – رضي الله عنه – أطول من سورتَي: الجمعة والمنافقون مجتمعتين بما يقارب الضعف، وهما أطول سورتين تُقرَآن في صلاة الجمعة؛ إذ بلغت خطبته بحساب برنامج الوورد (٦١٨ كلمة) بينما عدد كلمات الجمعة والمنافقون (٣٦٣ كلمة)، والله أعلم.

الوجه الثالث: أنَّ تَرْكَ تحديد الإقصار مقصود للشارع الحكيم، وبيان ذلك أن النبي ﷺ مكث في المدينة عشر سنوات؛ فهاجر في ربيع الأول من السنة الأولى، وتوفي في ربيع الأول من السنة الحادية عشرة، وصلى الجمعة فور وصوله المدينة، فيكون قد خطب بالناس عشر سنوات، والسنة الواحدة فيها خمسون جمعة تقريباً؛ فيكون النبي ﷺ صلى في المدينة منذ هجرته إلى وفاته ما يقرُب من (٥٠٠) جمعة، فلو حذفنا منها مئة خطبة من خطبه ﷺ؛ لأسفاره وغزواته بل مئتين لبقي لنا ثلاث مئة، والصحابة متوافرون، ويحضر خطبته الجَمْع

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن جبرين على الإنترنت.
(٢) موقع جامع شيخ الإسلام ابن تيمية على الإنترنت.
(٣) رواه من حديث إبي مسعود الأنصاري – رضي الله عنه –: البخاري (٦٧٤٠)، ومسلم: (٤٦٦).
(٤) رواه مسلم: (٨٧٣).
(٥) رواه البخاري: (١٠٢٧).
(٦) رواه البخاري: (٦٤٤٢)، ورواه مسلم مختصراً.. (١٦٩١).

الكبيـــر، وهم الحفـــاظ الذين حفظوا عن النبـــي ﷺ أقواله وأفعاله وتقريراته مهما كانـــت طويلة؛ فروى جابر حجته ﷺ من بدايتها إلى نهايتها، وروى كعب بن مالك قصة توبته، وروت عائشـــة حادثة الإفك وتفاصيلها، وغير ذلك كثير، ثم لا يُنقل إلينا خطبة جمعة كاملة عن النبي ﷺ من بدايتها إلى نهايتها؛ مـــع حضور الجمع الكبير لخطبته، وتكرُّرها كل أســـبوع طيلة عشـــر ســـنوات، وقد نُقل ما لم يتكرر مثل خطب عرفة ويوم النحر والكســـوف، وهي خطبة واحدة، فـــكان أدعى أن يُنقَل إلينا كثيرٌ من خطبه المتكـــررة. ولا يردُّ على تقرير هذا بعض الأحاديث التي هي جزء من خطبته؛ لأن مرادي خطبة كاملة.

الذي يظهـــر - والله تعالى أعلـــم - أن عدم النقل كان مراداً للشارع الحكيم - سبحانه وتعالى - وأن تحديد خطبة الجمعة بمقدار معيَّن من الكلام أو بزمن معيَّن ليس مراداً له - جل وعلا - وأن ذلك تُرِك لأحوال الناس والزمان والمكان، وأُنيط باجتهاد الخطبـــاء؛ بحيث يأتون بما ينفع الناس، مع مراعـــاة الأصل العام (وهو التخفيف)؛ لأنه مئنة الفقه، دون تحديد مقدار هذا التخفيف، وتكون الخطبة طويلة إذا كانت مملَّـــة غير نافعة ولو كانت قصيـــرة، وتكون ممتعة إذا كانت نافعة؛ ولو كانت أطول من غيرها.

كذلك لم يُنقل مقدار الخطبة، وإنما وُصِفت بأنها يســـيرة فقـــط، مع أن الصحابة حفظوا ما هو أقل شـــأناً من الخطبة، وقدَّروه بمقادير يمكن معرفة الزمـــن فيها على وجه التقريب؛ وذلك حتى لا يكـــون المنقول أو تحديدُه ميزاناً توزن به الخطب فلا تتعداها، وحينئذٍ لا تفي بحاجات الناس المختلفة عبر الزمان والمـــكان، فذُكِر الأصل وهو التخفيف، وتُرِك مطلقاً بلا تحديد؛ ليراعيه الخطيب، ولا يكون مقيِّداً له أو حُجة عليه؛ فلا يستوفي موضوعاته بسببه؛ وذلك شرع الحكيم العليم، جل في علاه.

وهـــذا التخريج تجتمـــع به الأدلـــة، ولا يُضرب بعضها ببعض، ويبطل حجة من يقـــول: الخطباء يدعون الناس في خُطَبهم لالتزام بالسُّنة ثم يخالفونها هم في خطبهم.

اختلاف أحوال لناس:

مـــن تأمَّل اختلاف أحوال النـــاس والجوامع والخطباء عبر الزمان والمكان والظروف المحيطة بهم تبيَّن له شيء من حكمة الشـــارع الحكيم - جل وعلا - في الأمر بالإقصار مع عدم تحديده :

١ - فبعض الناس يكونون في عمل ودراسة يوم الجمعة كمـــا في المراكز الإســـلامية في كل البـــلاد الكافرة، وهذا يقتضـــي مراعاة أحوالهم أكثر مـــن غيرهم؛ لأنهم يقتطعون وقتاً من عملهم أو دراســـتهم لأجل الصـــلاة؛ فليس حالهم كحال من عندهم يوم الجمعة إجازة.

٢ - وبعض الجوامع تكون مهيأة، والمصلون فيها مرتاحون؛ فهي ليســـت كالجوامع التي فيها حر شديد ولا وسائل فيها للتبريد، أو كان البرد فيها شديداً ولا وسائل للتدفئة.

٣ - وبعض الأئمة يكون محسناً للموضوع الذي يتحدث فيـــه، وتكون أفكار خطبته مرتبة، وفيهـــا فوائد جليلة، وودَّ الحاضرون أنه لا يســـكت لكثرة الفوائد التي ينثرها عليهم؛ فهذا ليس كفاقد المعرفـــة الـــذي لا يُلِمُّ بموضـــوع خطبته أو كانت معلوماته غير وافية في الموضوع المراد، فيمَل الناس حديثه.

٤ - ومـــن الخطباء البليغ الممتـــع، ومنهم العيي المتأتئ، يعيد في الموضـــوع ولا يفيد؛ فالأول لو خطب ضِعف خطبة الثانـــي ما ملَّه الناس وملُّوا الثاني، وهذا مشـــاهَد؛ إذ يقوم رجل عقب الصلاة فيتحدث عشـــر دقائق ليس في موعظته موضوع محدد، ولا يدري الحاضرون ماذا يريد، كأنه تحدث لأجـــل الحديث فقط؛ فهذا ينصرف الناس عنه منذ أن تبين لهم حاله، ويأتـــي متحدث متمكِّن لديه موضوع مهم محدد، يجيد الكلام فيه فيمكث نصف ســـاعة لم يتحرك أحد من مكانـــه؛ فهذا لا يصـــدق عليه أنه أطال ولـــو أطال، والأول يصدق عليـــه أنه أطال ولو لم يزد على عشـــر دقائق؛ لأنه حبس الناس ولم يفدهم بشيء.

٥ - وبعض المصلين يكونون على قدر من العلم والمعرفة، ويحبـــون بعض التفاصيل فـــي الموضوعات التـــي يطرقها الخطباء، ولا يشـــبعهم الـــكلام العام؛ لأنهـــم يعرفونه في الأصل، وفي النوازل يريدون حكم أهل العلم فيها، فيقتضي ذلك شيئاً من الطول، وعكسهم من كانوا قليلي علم، ضعيفي إدراك فلا يَحْسُـــن لهم إلا الاختصار والتســـهيل والتركيز؛ ليدركوا ما يقول الخطيب.

٦ - وبعض البلاد تكثر فيها الأحداث والنوازل وتتزاحم الموضوعات على الخطيب فيضطر لاســـتيعاب كل موضوع على حدة؛ لأنـــه قد لا يعود إليه مرة أخـــرى، وبلاد أخرى (كالقرى والمدن الصغيرة) أحداثها أقل، ومشـــاكلها أصغر، فلا تُساوى بالأولى.

ومـــع الانفتـــاح الإعلامي صارت الموضوعـــات تتجدد، والأحـــداث تتســـارع، وكل الأحـــداث الكبـــرى في الأرض تُنقل للناس، فيؤمون المســـاجد يـــوم الجمعة لمعرفة الأحكام الشـــرعية فيما يستجد، وهذه قضية مهمة ما كانت موجودة

عند الخطباء السابقين حينما كانت الحوادث محصورة على المكان الذي هم فيه، وقد أخطأ من ظن حصر الخطبة في الوعظ البحت فقط؛ فالخطبة تعليم وتوجيه ووعظ وإرشاد وبيان أحكام.

٧ – والموضوعات الملقاة على الناس ليست واحدة: فمنها ما يكفي فيه الاختصار، ومنها ما يحتاج إلى شيء من طول للإيضاح؛ فليست على سنن واحدة في أهميتها وحاجة الناس إليها، ومعرفتهم بها.

٨ – والزمان كذلك يختلف؛ فليست الخطبة في العشر الأواخر من رمضان مع سهر الناس للقيام كغيرها في سائر العام، وكذلك المكان فليست الخطبة في الحرم المكي وهو ممتلئ بالطائفين يوم النحر كمثلها في أوقات السعة.

مقترحات تُعين على إقصار الخطبة:

١ – تصوُّر الموضوع تصوراً صحيحاً: وذلك بجمع مادته قبل الكتابة وتقسيمها وترتيبها.

٢ – معرفة زمن الخطبة بعدد الأوراق التي يكتبها حسب إلقائه في العادة: فيحد نفسَه بعدد من الصفحات يقصر عنه لكن لا يتجاوزه إلا لضرورة.

٣ – إن اكتمل موضوعه وكانت الخطبة أقصر مما اعتاد عليه فَلْيُبقها كما هي عليه – إن لم يكن إقصارها مخلاً – ولا يلزم أن يزيد أي كلام ليصل إلى الحد الذي وضعه؛ لأن الإقصار أصل شرعي في الخطبة إذا لم يُخِل بالموضوع.

٤ – إثراء الخطبة بنصوص الكتاب والسنة، واختيار ما هو قطعي الدلالة: فلا قول لأحد مع قول الله – تعالى – وقول رسوله ﷺ، والخطيب يريد إقناع المنصتين لخطبته، وهم مؤمنون بالوحي؛ فتدعيم الخطبة بالنصوص يكفي الخطيب مؤنة كلام كثير في الإقناع.

٥ – اختيار الكلمات والجمل الجامعة والأمثال والحِكم، التي تغني عن كلام كثير، وقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم.

٦ – اجتناب إطالة الوصف بالجمل المترادفة التي تؤدي معنىً واحداً: وهي آفة كثير من الخطباء الذين يحبون السجع ويتكلفونه؛ إلا إذا اقتضت الحاجة للوصف وذِكر المترادف.

٧ – الاقتصار على الشاهد من النص: فأحياناً تكون الآية أو الحديث أو الأثر طويلاً وموضع الشاهد منه قصير جداً، فيورد الخطيب كل الآية أو الحديث أو الأثر فيطيل على الناس ويربك تركيزهم، وأحياناً يسبق الحديث أو الأثر قصةٌ لا علاقة لها بموضوع الخطبة فيسوقها الخطيب ولا داعي لها.

٨ – إذا تبيَّن للخطيب أن الموضوع طويل فالحل هنا



قسمته إلى عدة موضوعات بدل الإطالة.

٩ – الاكتفاء بذكر النص المستشهَد به – سواء كان آية أم حديثاً أم قولاً لأحد – عن ذكر معناه معه أو نتيجته: ومثال ذلك: بعض الخطباء في ذكر فضائل الجمعة يقول: وفيها ساعة إجابة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله – تعالى – شيئاً إلا أعطاه الله – تعالى – إياه؛ وهي آخر ساعة من العصر؛ لما جاء في الحديث... ثم يسوق الحديث بتمامه؛ فهذا تكرار لا داعي له، وكان بالإمكان أن يوجز العبارة بقوله: وفيها ساعة إجابة أخبر عنها النبي ﷺ بقوله...

وأشد من ذلك أن يكرر في الكلام والأفكار لغير معنى يقتضي ذلك كالتأكيد ونحوه.

١٠ – إذا كان موضوع الخطبة عن طاعةٍ قصَّر الناس فيها، أو معصية وقعوا فيها، أو مشكلة حدثت فيهم، ومعلوم أن مثل ذلك: له أسباب وآثار وعلاج، وأحياناً تكون الآثار دينية ودنيوية وتكون طويلة؛ فلأجل الإقصار وعدم الإطالة أقترح أن يفرد الأسباب في خطبة، ويشير سريعاً للآثار والعلاج، ويضع أخرى للآثار ويشير فيها سريعاً للأسباب والعلاج، وثالثة للعلاج ويشير فيها للأسباب والآثار، ولا سيما في الموضوعات المهمة، فيعود بفوائد عدة، منها: عدم الإطالة، وإعطاء الموضوع حقه، وتكريره على الناس بأساليب مختلفة.

١١ – اجتناب الشرح الممل الذي لا داعي له، أو إيضاح ما هو واضح، أو الإطالة في تخريج الأحاديث أو شرح الغريب؛ إذ محل ذلك الدروس والبحوث لا الخطب.



أهمية المشاعر في العمل التربوي

محمد عادل
abo_abdo209@hotmail.com

إن للعاطفة سطوةً كبيرةً على النفس الإنسانية، حتى إن كثيراً من تجارب النجاح والفشل في حياة الإنسان تلعب المشاعر فيها الدورَ الأكبر، وإنَّ إجادة بعض الناس لفن توظيف المشاعر بصورة إيجابية محفِّزة للهمة ومفجِّرة للطاقة وداعمة للاستقرار النفسي، وهي من ركائز صناعة النفوس العظيمة، في حين تمثِّل المشاعر المتفلتة التي تسيطر على صاحبها دون أن يسيطر هو عليها عائقاً كبيراً أمام تقدُّم صاحبها، وتمنعه عن تحقيق أي إنجاز.

ولا يقف دور العواطف في حياة الإنسان عند الحدود الداخلية للنفس، بل إنه لا تكاد تخلو علاقة من العلاقات بين البشر - على تنوع أشكالها واختلاف دواعيها - من نوع من أنواع العاطفة، سواء في بداياتها أو أثناء توجيه مسارها والمساعدة على استمرارها أو توقُّفها بعد ذلك.

وليست الأفكار وحدها ولا الخبرات والمعلومات هي التي تحدد توجُّهات الإنسان وترسم سلوكه أو تعبِّر عنه وعن شخصيته، ولكنْ مشاعرُه أيضاً؛ لأنها جزء أساسي من تكوينه البشري؛ فللعاطفة إذاً دور كبير في تشكيل بناء الإنسان الداخلي من جهة، ورسم علاقاته الخارجية ومواقفه تجاه الآخرين من جهة أخرى.

ولأهمية العاطفة المحورية في حياة الإنسان فإن الإسلام عدَّ العاطفة جزءاً أصيلاً في إيمان المرء لا يكتمل إلا به ولا ينمو إلا بنمائه؛ فالحب في الله والبغض في الله من أرقى درجات الإيمان.

ولأن النفس الإنسانية بما تحويه من مخزون عاطفي ومحاولة الارتقاء بها وإصلاحها، هي مجال عمل المربي الأول؛ فمن هنا يُعتبَر الاهتمام بالمشاعر حجر الأساس في العمل التربوي على اختلاف صوره وأشكاله؛ ولذا فإن غفلة المربي عن العناية بتلك المشاعر وتهذيبها يعني مواجهة العديد من المشكلات، والفشلَ في الوصول للأهداف التربوية المرجوة أو العجزَ عن تحقيق بعضها.

إن الدور المنوط بالمربي في العمل التربوي دورٌ يتميَّز بالعمق والتنوع الكبير؛ لذا لا يتمكن المربي من النجاح في أدائه لمجرد تمكُّنه من مجموعة من المهارات التربوية مع بذل الجهد واستفراغ الوسع. وعلى الرغم من أهمية كل ذلك، إلا أن طبيعة العمل التربوي الطويل في مداه الزمني المتنوع في وظائفه، وخصوصية العلاقة بين المربي والمتربي، تستلزم فوق ذلك نوعاً خاصاً من الأخوَّة الصادقة غير المتكلَّفة والعواطف الفياضة القوية في تأثيرها، المنضبطة في صورتها تتيح للمربي أداء مهامه التربوية على وجهٍ جيد.

وتحتاج التربية في جميع مراحلها - خاصة مراحلها الأولى - إلى الارتباط الشعوري الوثيق بين المربي والأفراد وإلى اهتمام خاصٍّ من المربي ورعاية مستمرة للمتربين، توفر للمربي القربَ المطلوب والإحاطة الجيدة بنفوس الأفراد، وتوفر للمتربين الاستقرار النفسي والاطمئنان الشرعي الذي



يحتـــاج المتربي التآكد منه تجاه مربيه؛ فضلاً عن أن شـــكل العلاقة وقوَّتها وثباتها في هذه المرحلة يترك أكبر الأثر في نفوس المتربين، وتســـتمر انطباعاتها لسنوات طويلة، وتمثل ذكرياتُها مع المربي رصيداً كبيراً من المشاعر الإيجابية المحفِّزة لقدرات المتربي وانطلاقِه بحب، وانقيـــادِه بقناعة لمربيه في خطوات التربيـــة ومراحلها، ومن ثَمَّ فحرص المربي على أن يملأها بالمشاعر الجميلـــة، والمواقـــف والذكريـــات الطيبة، من المعِينات الأكيدة لحسن تلقِّي المتربي من مربيه في المراحل التربوية اللاحقة.

دور المشـاعر في العمـل التربوي:

إن الأخوَّة الفـردية الخاصة التي تربط بـــين المربي والمتربي هي إحدى أهـــم جوانـــب العلاقـــة المتميزة بين الطرفين، وإن للعاطفة الجياشـــة التي يستشـــعرها المتربي من مربيه دوراً كبيـراً فـي نجـاح العـلاقـة التربوية واستقرارها، وهذا الجانب العاطفي يتيـح للمـربي القـرب الهـــادئ مـن المتـربين، والإحـاطةَ بأمورهم التي يحتاج إلى الإلمـام بهـا؛ ليُحسِن التعامل معهم وتوجيههم؛ إذ إن المدخـــل العـاطفـي والمحبة الأخوية هي أفضل طـريق للقـــرب من المتربـــي ومعـرفة طبـاعه وصفـاته النفســـية والوقـوف علـى خصـائص شخصيته؛ فعندما يثق الفرد في مربيه فإنه يصبح كتاباً مفتوحاً بين يديـه، ويبـوح له بالعـديد من خبايا نفسه وأسراره التـي لا يطلـع عليهـا إلا المقـربون، كمـا أن هذه العاطفة تهيـــئ المتربين من جانب آخر للتلقـي من مربيهم برضىً وقناعة.

فما عند المربي من بضاعـــة حقٍّ وخير قد تُقنِع المتربي بقبولها لكونها حقاً وخيراً، لكن ذلك قد لا يكون كافياً دائماً لالتزام المتربي بهذا الخير؛ بل يحتاج المتربي لبعض المعِينَات التي تســـهِّل عليه قبول الحق وتيسِّـــر له العمـــل به، وكثيراً ما تتمثل تلـــك المحفزات في عواطف الأخـوة الصادقة التي تجمع قلوب المتربين مع مربيهم؛ بما تغرسه في نفوسهم من حلاوة المحبة في الله، ولذة ما يستشعرونه من جميل التآخي فيه والالتقاء على طاعته، سبحانه.

ويمثِّل هـذا الرصيدُ العاطفي الاعتبارَ الأهم بدايةً في تجاوز المتربي لأي مشكلة قد تحدث بينه وبين مربيه. والتماسُ العـــذر عن أي خلل أو تقصير قد يحدث مـــن جانب المربي فـــي حقـــه هو الأصـــل في التعامـــل؛ فالمتربـــي الذي يرتبـــط نفســـياً بمربيه ويُكن له قـــدراً كبيراً من المحبة والاحترام يَســـهُل عليه التماس الأعذار له، ولا تعتاد عينه رؤية أخطاء مربيه وتضخيمها، بل التجاوز والصفح والتماس العذر هو الغالب على النفوس تجاه مَنْ تحبها.

ولذا فـــإن رصيد العاطفـــة الكبير الذي تسري نســـماته بين المربي والأفراد تظهر دلائله واضحة في أســـلوب التعامل الراقي والحرص على مشاعر الجميع، وهو أحد أهم صمامات الأمان التي يركن إليها المربي لاســـتقرار الوســـط التربوي، ولتهدئة أجوائه عند حـــدوث أي توتر أو أزمات؛ حيث تـــذوب في أجواء المحبة الصادقة حدةُ الغضب وتهدأ الأعصاب المتشنجة، وتُدفَع أيُّ خواطر سيئة قد يوسوس بها الشيطان، أو سوء ظن قد يختلج في النفوس في لحظات ضعفها.

فشـــعور الأفراد بالأمـــان مع مربيهم بســـبب الارتباط الأخوي من المشاعر المؤثرة إلى حدٍّ كبير في ضبط الاستقرار النفســـي لدى المتربين، وفي القضاء على الكثير من المشاكل وحسم أي خلافات قد تنشأ داخل المحاضن التربوية.

بجانب ذلك فـــإن العاطفة تلعب دوراً مؤثراً في تخفيف حدَّة التكاليف ومشـــقة المهام التي يُكلَّف بها المتربي فيؤديها بهمة ومثابرة، دون ضجر أو ملل، خلافاً لما لو فقدت العلاقةُ تلك الأخوة المتميزة ومشـــاعرها الجميلـــة؛ فقد تؤدي أية

مشـــكلة أو خلاف يطرأ إلى توتُّر في العلاقة يؤثر على سير العملية التربوية، أو تدفع المتربي للتهرب من أداء التكاليف، أو القيام بها بأداءٍ ضعيف وصورة روتينية لا يحتســـب فيها أجراً ولا يرجو منها فائدة.

لا تُبْقِ مشاعرك داخل جدران نفسك:

لا ينبغـــي أن تقف تلك المحبة والعلاقة الأخوية عند حدود المشاعر القلبية وكلمات المودة؛ دون أن تُتَرجَم إلى مواقف عملية يستشعر منها المتربي صدق المحبة ودفء الأخوة مع مربيه.

ويجـــب الالتفات إلى أن فاعلية تلك العواطف تقل كثيراً ويختفي أثرها عندما يتم الاحتفاظ بها داخل جدران النفس دون إشـــعار الآخرين بها؛ فالمحبة مهما بلغت في قلب المربي دون أن يستشـــعرها المتربون تفقد أثرهـــا الجميل. والمربي الواعـــي الخبير بأحـــوال النفوس هو من يُحكِـــم بناء تلك العواطف ابتداءً ويُحسِـــن إظهارها بعد ذلك وإشعار المتربين بهـــا؛ دون مبالغة تُخرِجها إلى درجـــة التكلف ودون تحفُّظ يصل بها لحد الجفاف.

ومن علامات نجاح العلاقة الأخوية في شـــقها العاطفي بـــين المربـــي والمتربين، هي تلـــك المشـــاعر الفياضة التي يستشـــعرها المربي منهم، والتي تكبر مـــع الوقت مع عملية القـــرب والإحاطة والأخوة، ومن علاماتهـــا أنك ترى إقبال المتربِّي على مربيه باهتمـــام، والفرحةَ بلقائه والجلوس معه والانشـــراحَ عند رؤيته والحرصَ على الالتـــزام بمواعيده، والإنصات لحديثه، والحرصَ على شـــؤونه والمســـاعدة في قضاء حوائجه، واضطرابَه عند غياب مربيه وانقطاعه عنه لطارئ، وعدمَ تحرُّجه من فتح بعض الموضوعات التي تخصه، والتي يصعب عليه أن يصرح بها لغير المربي.

محاذير تربوية:

– قد يغلو المربي في علاقة المحبة التي تربطه بالمتربين فيخرج عن الحد الذي ينبغي أن تنضبط به علاقته بهم، وينتج عن ذلك صور منوعة من السلبيات التي تصيب المتربي وبقية المتربين والوســـط التربوي كلَّه، ولا يســـلم منها المربي ذاتُه، ومن ثَمَّ يســـتوجب الأمر مراعاة الضوابط والآداب الشرعية حتى تنضبط العلاقة في شقَّيها: الأخوي والتوجيهي.

– لا تعني الحاجة إلى الاعتناء المســـتمر والتعهد القوي بالمتربي أن يتكلف المربي في مشـــاعره تجاه المتربين أو يبالغ في إبراز اهتمامه بهم؛ فإن لذلك ســـلبيات مســـتقبلية على نفـــس المتربي، (والأصل عدم إمكانية اســـتمرار التكلف في كل وقت).

– الحذر من التدليل في التعامل مع المتربين. ومنشأ ذلك التدليل قد يكون حرص المربي على القرب من المتربين والتودد إليهم لكسب ثقتهم واستمالتهم، وقد ينشأ التدليل أحياناً مع بعض المتربين بســـبب قدراتهم الكبيرة ومواهبهم المنوعة تلك التي تدفع المربي لتمييزهم بشكل خاص خلافاً لبقية أقرانهم، مـــع معاملتهم بصورة ينشـــأ معها الفرد علـــى التدليل؛ فهو يضيق ذرعاً إذا ما جرى التعامل معه مثل بقية أقرانه، وقد لا يتقبل العقاب أو مجرد اللوم في حال تقصيره.

– قد ينشـــأ من التعلق العاطفـــي المفرط للمربي بأحد الأفراد مع المخالطة والمعايشـــة ضعف في شـــخصيته، وقد تبهت وتذوب في شـــخصية المتربي، بل قد يتولد – مع طول الخلطة والمعايشـــة – نوع من التبســـط الزائـــد والأريحية المَرَضيـــة، تؤدي – إذا لم يفطن المربـــي لها مبكراً – لنوع من الندِّية في التعامل وبعض التجاوزات الســـلوكية التي لا يقصدها المتربي (في الغالب) ومن ثَمَّ تسقط هيبة المربي ويفقد زمام التوجيه مع الوقت.

– من المزالق التي قد يقع فيها بعض المربين تمييز بعض المتربـــين والتعلق بهم وتقريبهـــم وتخصيصهم بمزيد اهتمام يفـــوق بقية أقرانهم بصورة تثير حفيظـــة بقية أقرانهم وقد يكون ذلك بسبب الجاذبية الشخصية التي تُميز بعض المتربين وتجعلهم محط إعجاب من حولهم بما فيهم المربي نفسه.

إن الأصـــل في الجـــو التربوي إشـــاعة روح الثقة لدى المتربـــين؛ وهذا بالطبع لا ينشـــأ إلا إذا استشـــعر المتربي إنصاف مربيه وعدالته واتباعه للشـــرع في معاملة الجميع دون تمييزٍ لا داعي له ولا حاجة إليه.

وربما اســـتدعت اعتباراتٌ خاصة تمييز بعض المتربين بناءً على مـــا يبذلونه من جهد ومـــا يحققونه مـــن تـــقدم، أو ربما يحتاج بعضهم أحيانـــاً مزيد عناية واهتمام؛ لطارئٍ حل به: كمشـــكلة تواجهه أو فتور يعتريه وغير ذلك مما قد يستدعي عنايةً خاصة واهتماماً زائداً، ومثل تلك الاعتبارات قـــد تخوِّل المربي للاهتمام الزائد ببعض حالات من المتربين لبعـــض الوقت، لكنها لا تخوِّل له التمـــادي المتكلَّف فيه في تلك الاعتبارات، أو الاعتماد على اعتباراتٍ منشـــؤها الهوى والتمييز غير المستحق.

أوراد

أهل السنة والجماعة

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).



في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعاذات

تفريج الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء

للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان

دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف : ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال : ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

المنطقة الغربية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم : ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الشرقية : ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة : ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠

د. محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

لا تكونوا من المتكلفين



لقد نهى الله نبيه محمداً ﷺ عن سلوك سبيل التكلف وأهله، فقال - عز وجل -: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٦٨]، وهذا التركيب - كما قال ابن عاشور -: «أشد في نفي التكلف من أن يقول: ما أنا بمتكلف».

وص؛ فكان كما وصفه صاحبه وابن عمه عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -: «يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير»(١).

وهديه العملي ﷺ مليء بالشواهد على هذا المعنى: في حديثه، وطعامه وشرابه ولباسه، وتعامله مع خاصة أصحابه وعامتهم.

بل إنه ﷺ يبيِّن ذلك لمن يجهل حاله؛ فقد جاء رجل من أصحابه حديثُ اللقاء به فهابه، فهوَّن ﷺ عليه الأمر مخبراً عن نفسه بأنه ليس من أهل التكلف. عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فكلمه، فجعل تُرْعَد فرائصه، فقال له: «هَوِّن عليك؛ فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»(٢).

وقال ﷺ «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»(٣).



وكما التزم ﷺ هذا الهدي في نفسه فقد ربَّى أصحابه عليه ونهاهم عن التكلف؛ فعن أنس - رضي الله عنه - قال: كنا عند عمر، فقال: «نُهِينَا عن التكلف»(٤).

وأثنى ﷺ على من يتواضعون ويتبسطون في حياتهم وتعاملهم مع الناس، فقال: «حُرِّم على النار كل هيِّن ليِّن سهل، قريب من الناس»(٥).

ولئن كان الأكابر ربما يجدون في أنفسهم ما قد يحفِّزهم على الترفع فكيف بأمثالنا الذين جمعوا بين الضعف في أنفسهم والتكلف وإضفاء الهالة على حياتهم وتعاملهم؟

وحين يكون الأمر في دائرة التقصير والزلل يَسْهُل علاجه، لكن حين نسعى إلى تأصيله، والبحث عن تبريره، واعتقاد أن هذا هو ما يليق بنا فالأمر يزداد سوءاً.

إن المربين والدعاة وأهل الشأن أحوج ما يكونون إلى الرجوع إلى هديه ﷺ والتأمل فيه، والتأسي بأحواله؛ فهذا من خير ما يربون عليه أتباعهم وطلابهم.

وما لم يرَ الناس منهم هذا الهدي في حياتهم وواقعهم فسيبقى تأثير دعوتهم ومقولاتهم باهتاً.

رزقنا الله التواضع، ومعرفة قدر أنفسنا، وجعلنا من أتباع نبيه ﷺ.

(١) أخرجه البيهقي في الشُّعَب: (٧٨٤٣)، والطبراني في الكبير: (١٢٤٩٤)، وقال في المجمع: إسناده جيد.
(٢) أخرجه ابن ماجه: (٣٣١٢).
(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده: (٤٩٢٠).
(٤) أخرجه البخاري: (٧٢٩٣).
(٥) أخرجه أحمد: (٣٩٢٨)، والترمذي: (٢٤٨٨).

مكتبة طالب العلم ①

في ثوب جديد

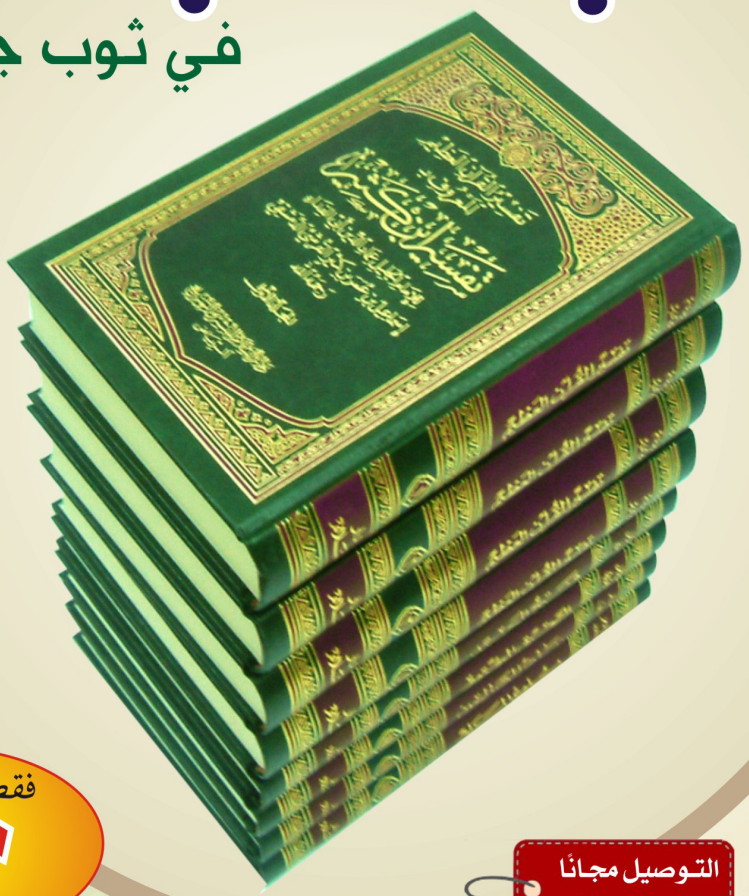

فقط ١٥٠ ريالاً

التوصيل مجانًا داخل الرياض

ورق شمواه فاخر
طباعة داخلي لونين
١٧x٢٤ سم

- تفسير ابن كثير (٤ مجلدات)
- الرحيق المختوم
- رياض الصالحين
- فتح المجيد
- بلوغ المرام

المكتب الرئيسي الرياض: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢ -١- ٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩ الفروع: العليا: ٤٦١٤٤٨٣ الملز: ٤٧٣٥٢٢٠
السويلم: ٢٨٦٠٤٢٢ جدة: ٦٨٧٩٢٥٤-٠٢ الخبر: ٨٦٩٢٩٠٠-٠٣ المدينة المنورة: ٨٢٣٤٤٤٦-٠٤ الشارقة: ٥٦٣٢٦٢٣ -٦-٠٠٩٧١
ينبع البحر/تبوك: ٠٥٠٠٨٨٧٣٤١ القصيم: ٠٥٠٣٤١٧١٥٦ خميس مشيط: ٠٥٠٠٧١٠٣٢٨ الكويت : ٩٦٠٠٨٤٥
Email: darussalam@awalnet.net.sa Website: www.dar-us-salam.com

دار السلام للنشر والتوزيع
DARUSSALAM



يا عباد الله فاثبتوا!

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

إنه لأمرٌ فطريٌّ محمودٌ أن يفرح المؤمن بنصر الله، وبرؤيته للناس يدخلون في دين الله، وبرؤيته لشرع الله يطبَّق في شتى مجالات الحياة في بلد من البلاد أو زمن من الأزمان. إنه لفرح محمود؛ لأن كل هذا الذي يفرح به نِعَم ينعم الله - تعالى - بها على عباده؛ فالفرح بها نوع من الشكر لله عليها: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ - ٥].

هل يلزم من هذا أن يحزن المؤمن حين يرى في الناس في بعض الأماكن أو بعض الأزمان إعراضاً عن دين الله أو ضعفاً في الاستمساك به أو زيادة في الجهل به، أو حين يرى فيهم زيادة في الاتّباع لسنن الكفار؟ كلاَّ؛ فالله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان: ٢٣]، ويقول - سبحانه -: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

بل قال العلماء: إن الحزن لم يرد في كتاب الله - تعالى - مأموراً به، بل ورد: إما منهياً عنه كما في الآيات السابقة، وإما تقريراً لواقع كما في قوله - تعالى -: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

لماذا لا يحزن الإنسان حين يرى ذلك الإعراض عن دين الله؟ السبب - والله أعلم -:

أولاً: أن الإعراض عن دين الله - تعالى - هو ذنب يرتكبه المعرِضون بإرادتهم؛ فلماذا نحزن على ارتكابهم له؟

وثانياً: أنه إذا كان الفرح بالنعم نوعاً من الشكر عليها، فإن مجرد الحزن على الكفر وتغيُّر الأحوال لا يغير من واقعها شيئاً، وإنما يضر المحزون ويضيع وقته وفكره فيما لا فائدة فيه.

وثالثاً: لأن الإنسان العاقل لا يترك ما عرف من الحق أو يشكُّ فيه؛ لأن بعض الناس كذب به: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۝١٥ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٥ - ١٦].

ورابعاً: لأنه ليس من شرط الحق أن يكثر المؤمنون المستمسكون به: ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

وإذا استوحش المؤمن بكثرة المفتونين المغيِّرين لشرع الله فَلْيتذكر أنه ليس وحده في طريق الحق الذي ثبَّته الله - تعالى - عليه؛ فهو طريق سلكه أفضل البشر: من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين على مدى التاريخ البشري، وأنه إذا مات وهو مستمسك بالحق فسيسعد بصحبتهم جميعاً في دار الخلد.

لكن المؤمن ينبغي أن يستمر - مع ذلك - في مقاومة الباطل بقدر ما يستطيع راجياً ثواب الله، تعالى؛ والله مثيبه على كل ما يبذل من جهد لإعلاء كلمته وقمع أعدائه.

إن لشيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً نفيساً في تعليقه على الحديث النبوي الشريف: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ؛ فطوبى للغرباء»[1]. ننقل بعض ما جاء فيه:

١ - لا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً أن المتمسك

(١) رواه مسلم.



به يكون في شـر، بل هو أسـعد الناس، كما قال في تمام الحديث: «فطوبى للغربـاء». و«طوبى» من الطيب. قال - تعالى -: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩]؛ فإنه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لَـمَّا كان غريباً، وهم أسـعد الناس. أما في الآخرة فهم أعلـى الناس درجة بعد الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

٢ - وكمـا أن اللـه نهى نبيَّه أن يصيبـه حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر، فكذلك في آخره؛ فالمؤمن منهي أن يحزن عليهم، أو يكون في ضَيْق من مكرهم. وكثيـر من النـاس إذا رأى المنكر، أو تغيُّـر كثيرٍ من أحوال الإسـلام جَزِع وكَلَّ ونَاحَ، كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عـن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتـوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى.

٣ - وقوله ﷺ: «ثم يعود غريباً كما بدأ» يحتمل شيئين:

أحدهما: أنه فـي أمكنة وأزمنة يعـود غريباً بينهم ثم يظهـر، كما كان في أول الأمر غريباً ثـم ظهر؛ ولهذا قال: «سيعود غريباً كما بدأ». وهو لَـمَّا بدأ كان غريباً لا يُعرَف ثم ظهر وعُـرِف؛ فكذلك يعود حتى لا يُعرَف ثم يظهر ويُعرَف. فَيَقِل من يعرفه في أثناء الأمر كما كان من يعرفه أولاً.

ويُحتَمَل أنه في آخر الدنيا لا يبقى مسلم إلا قليل. وهذا إنما يكون بعد الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب السـاعة؛ وحينئـذٍ يبعث الله ريحاً تقبـض روح كل مؤمن ومؤمنة، ثم تقوم القيامة.

وأما قبل ذلـك فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق، أعزاء، لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل. فأما بقاء الإسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا.

٤ - وقوله ﷺ: ثم يعـود غريباً كما بدأ أعظم ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه عنه، وقد قال - تعالى -: ﴿مَن يَرْتَـدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَـوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُـمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فهؤلاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك.

وكذلك بـدأ غريباً ولم يزل يقوى حتى انتشـر؛ فهكذا يتغـرب في كثير من الأمكنة والأزمنة، ثم يظهر، حتى يقيمَه اللـه - عز وجل - كما كان الأمر لما وُلِّي عمر بن عبد العزيز، قد تَغَرَّبَ كثير من الإسـلام على كثير من الناس، حتى كان منهم من لا يعـرف تحريم الخمر؛ فأظهـر الله به في الإسلام ما كان غريباً.

٥ - وكذلـك قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَـى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئاً وَمَـن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِـكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ﴾ [النـور: ٥٥]، وكلاهما وقـع، ويقع كما أخبر الله - عـز وجل - فإنه ما ارتد عن الإسـلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

٦ - يبيِّن ذلك أنه ذكر هذا في سـياق النهي عن موالاة الكفـار، فقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَـى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَـى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَـرُّوا فِي أَنفُسِـهِمْ نَادِمِـينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُـمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِـرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَـوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٤]؛ فالمخاطَبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطَبون بآية الردة؛ ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة.

٧ - وهـو لما نهى عن موالاة الكفار وبيَّن أن من تولاهم من المخاطَبين فإنه منهم، بَيَّن أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسـلام شيئاً، بل سـيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، فيتولـون المؤمنـين دون الكفار، ويجاهدون في سـبيل الله، لا يخافون لومة لائم، كما قال - تعالى - في أول الأمر: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾. [الأنعام: ٨٩]

فهؤلاء الذين لـم يدخلوا في الإسـلام، وأولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه لا يضرون الإسـلام شيئاً، بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله، وينصر دينه إلى قيام الساعة.

في الطريق إلى العَلمانية

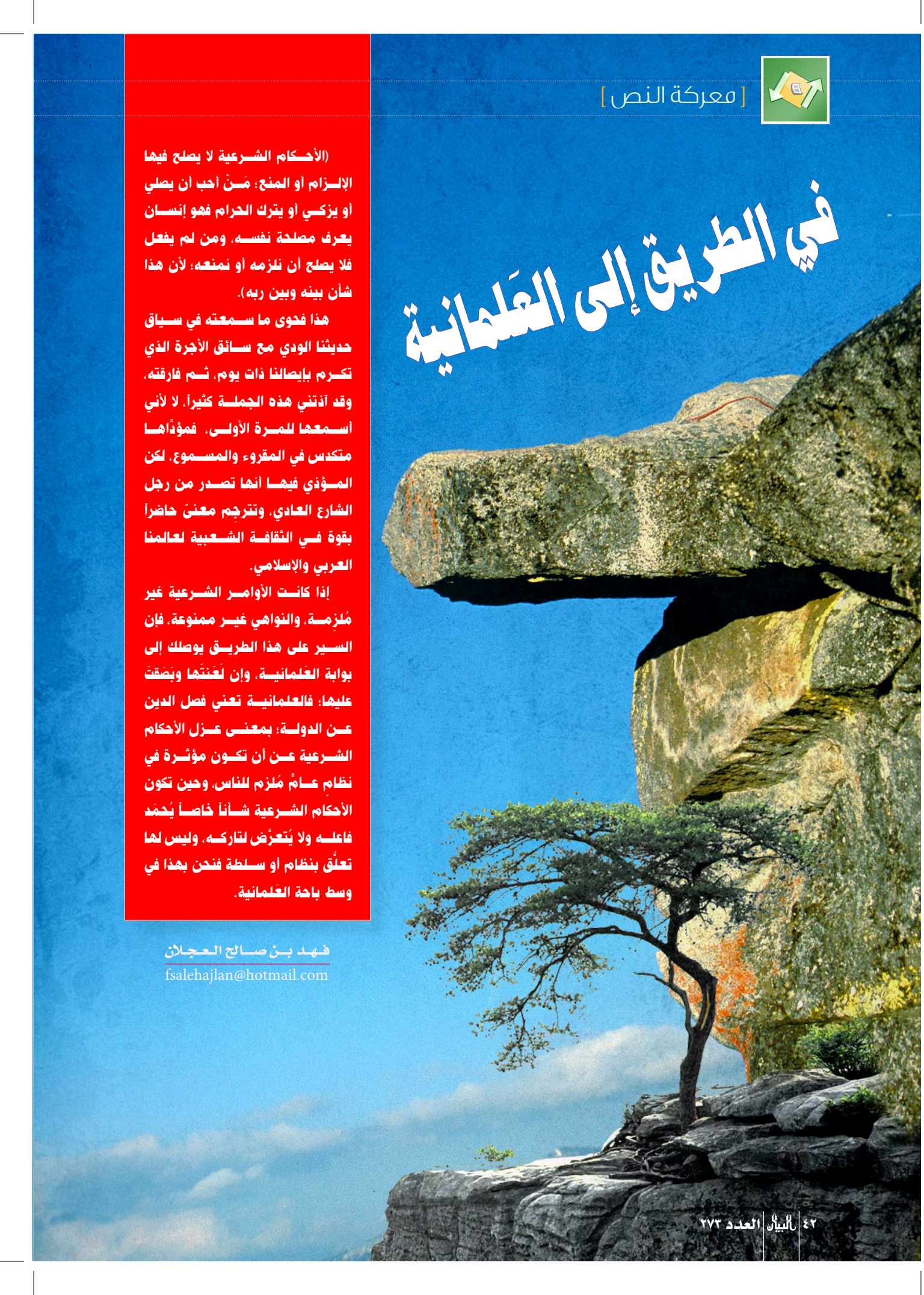

(الأحكام الشرعية لا يصلح فيها الإلزام أو المنع: مَنْ أحب أن يصلي أو يزكي أو يترك الحرام فهو إنسان يعرف مصلحة نفسه، ومن لم يفعل فلا يصلح أن نلزمه أو نمنعه؛ لأن هذا شأن بينه وبين ربه).

هذا فحوى ما سمعته في سياق حديثنا الودي مع سائق الأجرة الذي تكرم بإيصالنا ذات يوم، ثم فارقته، وقد آذتني هذه الجملة كثيراً، لا لأني أسمعها للمرة الأولى، فمؤدَّاها متكدس في المقروء والمسموع، لكن المؤذي فيها أنها تصدر من رجل الشارع العادي، وتترجم معنىً حاضراً بقوة في الثقافة الشعبية لعالمنا العربي والإسلامي.

إذا كانت الأوامر الشرعية غير مُلزِمة، والنواهي غير ممنوعة، فإن السير على هذا الطريق يوصلك إلى بوابة العَلمانية، وإن لَعَنتَها وبَصَقتَ عليها؛ فالعلمانية تعني فصل الدين عن الدولة؛ بمعنى عزل الأحكام الشرعية عن أن تكون مؤثرة في نظامٍ عامٍّ مُلزم للناس، وحين تكون الأحكام الشرعية شأناً خاصاً يُحمَد فاعله ولا يُتعرَّض لتاركه، وليس لها تعلُّق بنظام أو سلطة فنحن بهذا في وسط باحة العَلمانية.

فهد بن صالح العجلان
fsalehajlan@hotmail.com

إن إسقاط (الإلزام) و (المنع) من الأحكام الشرعية هو من مفاصل النزاع مع الفكر العَلْماني؛ فالفلسفة العَلْمانية لا تمانع من حضور الطاعات وترك المنهيات لاعتبارات دينية لدى الناس، بل إنها قد تحمي ذلك وتحرسه، ما دام شأناً خاصاً لا يؤثر على الآخرين ولا يترتب عليه منعٌ أو فرضٌ لهذه الأحكام وإعلاء لها إلى مقام التقنين والإلزام، وهو ما سيؤدي إلى تعطيل الأحكام الشرعية عن القيادة والحكم؛ وإن كانت حاضرة في الوجود لمن أحب.

إن الأوامر والنواهي الشرعية في كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ متجهة إلى الفرد والمجتمع، ومتعلقة بخاصة المسلم ونظامه الذي يحكمه؛ فالمسلم حين يقرأ قوله - تعالى -: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وقوله - سبحانه -: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله - سبحانه -: ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٢] فإن هذا الخطاب متجه للفرد بأن يمتثل أوامر ربه ويتجنب نواهيه، ومتجه أيضاً للمجتمع ليحكم بما يريد رب العالمين منه، ولم يكن أحد من السابقين يظن أن هذا الخطاب متجه للفرد، وأما الجماعة فشيء آخر.

إن التفكير بهذه الطريقة إنما هو من رواسب التأثير العَلماني المكثف في عقول الناس؛ حيث أحدث لكثيرٍ منهم حَمْل أوامر الشريعة ونواهيها على الشأن الخاص للفرد فقط دون النظام والمجتمع.

لا أدري كيف يتعامل هذا التفكير مع العقوبات الشرعية المحددة في كتاب الله: في قطع يد السارق وجلد الزاني والقاذف؛ فالحكم هنا تجاوز مجرد الإلزام أو المنع الذي يستكثرونه على الشريعة إلى العقوبة المحددة، وحتى الأحكام التي لم تَرِد الشريعة بعقوبات محددة لها هي من الجرائم التي ينالها (التعزير) بحسب حال الذنب وصاحبه والعوارض المحتفة به؛ فالأوامر والنواهي لا تقف فقط عند حد الإلزام والمنع، بل تصل إلى حد العقوبة؛ وهو أمر أعلى من مجرد الإلزام.

وأعلى من هذا كله، أن الله - تعالى - قد أمر بالتحاكم إلى ما أنزل، ووصف المستنكفين عنه بالأوصاف العظيمة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] وهو ما يفهم منه كلُّ مسلم أن أحكام الشريعة أحكام قضائية عُليا ملزمة، وأن الحُكم بها والفصل بين الناس بناءً عليها من قطعيات الشريعة، ومن ينفي (الإلزام) و (المنع) كيف يستقيم على فهمه وجود حكم بغير ما أنزل الله؟ وما دامت الأوامر والنواهي شأناً خاصاً، ما فائدة الحكم إذن؟

وتجد في كتاب الله - تعالى - ثناءً عظيماً على هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقد أعطاها الله أماناً من الهلاك ما دامت ممتثلة له: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] وقد فسرها النبي ﷺ في جوابه عن سؤال زينب بنت جحش - رضي الله عنها -: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم! إذا كثر الخَبَث»[1].

وبقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده! لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[2]؛ فانتشار الخَبَث سبب لهلاك الناس حتى الصالحين منهم ما دام وجودهم لم يكن سبباً للتقليل من الخبث الذي لن يكون إلا بالإلزام والمنع.

كما بين النبي ﷺ مراتب هذه الخيرية فجعل (الإلزام) و (المنع) هو أول هذه المراتب وأعلاها، فقال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان»[3].

وإذا زال (الإلزام) بأوامر الله و (المنع) عن مناهي الله لم يكن ثَـمَّ ميزةٌ لهذه الأمة إلا مجرد أن تفعل المعروف وتترك المنكر، وإذا حَسُن أمرُها نصحت بالكلام من غير نظام ولا إلزام ولا سلوك عام، وليس في هذا ميزة يُفتَخَر بها؛ لأن فعل المعروف ونُصحَ بعض الناس به تفعله كل الأمم والحضارات، فأي شيء يميز أمة محمد ﷺ؟

لا شك - بعد هذا - أن (الإلزام) و (المنع) سيكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ولن يكون مردُّه إلى آحاد الناس مطلقاً، ولن يطالَب الإنسان بشيء من ذلك في حال الضعف وعدم القدرة، أو في حال ترتُّب مفسدة أعظم منه؛ فكل ذلك من القواعد الشرعية المستحضرة في هذا المقام، وهي من مكملات أصل الإلزام في الشريعة، ولا يجوز أن تُتَّخَذ أداة لتكسير هذا الأصل.

أعرف جيداً أن صاحبنا حين قال هذه الجملة لم يقصد حقيقتها ولم يدرك لوازمها، وأجزم أنه سيتعوذ بالله ويستغفره من مثل هذا القول في مواطن أخرى، لكن هذا لا يعني التهاونَ مع مثل هذه المفاهيم؛ لأن استمرار حضورها مع ضعف البيان يعطيها الوقت للبقاء والتمدد وشق أخاديد الانحراف في عمق المجتمعات المسلمة؛ لتنساب بهدوء - من حيث لا نشعر - في طريقها إلى العَلمانية.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم: ٣٤٠٣، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج برقم: ٧٤١٨.

(٢) من حديث حذيفة - رضي الله عنه - أخرجه الترمذي وحسنه في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم: ٢١٦٩، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم: ١٨٦.



الكُنُس اليهودية تطوّق المسجد الأقصى

ندوة

المسجد الأقصى ومخططات التخريب والتهويد والسياسة: قراءة توثيقية

د. مصطفى عطية جمعة

حقيقة زيف الخلاف الأمريكي الصهيوني حول القدس

د. عدنان أبو عامر

الأقصى في خطر...!

افتتاح كنيس الخراب يوم الإثنين ١٤٣١/٣/٢هـ الموافق ٢٠١٠/٣/١٥م كان استفزازاً للمرابطين في بيت المقدس، وتحدياً صارخاً لمشاعر جميع المسلمين. وقد أقر الاحتلال الصهيوني بناء هذا الكنيس في عام ٢٠٠١م، وبدأ البناء في عام ٢٠٠٦م، وتم الافتتاح في عام ٢٠١٠م، وطوال هذه المدة والمسلمون في غفلة مطبقة.

هذا الكنيس واحد من مائة كنيس تطوّق الأقصى؛ فحمّى التهويد تجتاح الأرض الفلسطينية عموماً، ومدينة القدس خصوصاً... والهوية الإسلامية مستهدفة، والجذور الحضارية والتاريخية مستهدفة، والمقدسيون مستهدفون... إننا أمام مشروعٍ صهيونيٍ، متكاملٍ، متعددِ الأبعاد، وليس مجرد أعمال استفزازية محدودة يقوم بها بعض المتطرفين اليهود، وهذا ما يؤكده بن غوريون عندما قال: (لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل).

إن اليهود جادُّون في مشروع التهويد وهَدْم المسجد الأقصى، ولئن فرَّط كثير من العرب والمسلمين في هذه الأمانة؛ فإننا نتوجَّه بكل إكبار وتقدير للمرابطين على هذه الثغر العظيم، ونذكّرهم بقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

الكُنُس اليهودية تطوِّق المسجد الأقصى

ندوة

لقد تسارعت في الآونة الأخيرة أعمال التهويد في مدينة القدس، وبات المسجد الأقصى المبارك مهدداً بشكل مباشر بالسقوط. واستشعاراً من البيان لواجبها تجاه أولى القبلتين وثالث المساجد التي تُشَدُّ إليها الرحال، وضرباً منها بسهم في نهضة الأمة وبناء وعيها أقامت ندوة استضافت فيها ثلّةً من خيرة أبناء فلسطين الطاهرة، وهم: (الشيخ الدكتور عبدالغني التميمي رئيس رابطة علماء فلسطين في الخارج، والدكتور زيد عمر الباحث والمتخصص في الشأن الفلسطيني، والأستاذ سمير سعيد الباحث في الشأن الفلسطيني أيضاً) في محاولة لتجلية الصورة وإماطة اللثام عن ممارسات الصهاينة الرامية إلى اقتلاع الوجود الفلسطيني المسلم من مدينة القدس ومسجدها المبارك؛ فكان لها مع فضيلتهم هذا الحوار.



البيان: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد: بداية نتوجه إلى فضيلة الشيخ الدكتور عبد الغني التميمي: ما قصة التهويد التي بدأت تظهر بقوة في الآونة الأخيرة؟ وهل القضية متعلقة بنتنياهو فقط؟ أم من الممكن أن تتغير الأحوال بتغيُّر السياسات الصهيونية؟

■ **الدكتور عبد الغني التميمي:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

إننا فعلاً نعيش قصة تهويدٍ ماكرة، لكن التهويد لم يبدأ منذ اليوم، ولم يبدأ منذ نكبة عام ١٩٦٧م، بل التهويد مشروع يضرب بجذوره في عمق التاريخ وما هو أبعد من ذلك؛ فمنذ مؤتمر بال في سويسرا وأنظار اليهود والصهاينة تتجه إلى هذه الأرض المباركة وترسم لها المشاريع التي يمكن أن تغير في بنيتها الجغرافية والسكانية والثقافية... فلن يغمض لليهود عين، ولن يهدأ لهم بال حتى يواصلوا مثل هذه المشاريع.

البيان: لعلّنا نركز على بعض معالم هذا التهويد حتى تكون الدلائل واضحة والمعالم بيِّنة.

■ **الأستاذ سمير سعيد:**

هناك مخططات صهيونيةٌ تجاه فلسطين عموماً والقدس خصوصاً تعود إلى ما قبل عام ١٩٤٨م، وهي تتوزع في جوانب

متعددة، منها: تهويد الأرض، وتهويد الإنسان، وتهويد الهوية، وتهويد المقدسات. ويضاف إلى هذه القضايا الأربع أيضاً السعي إلى (أسرلة!) المجتمع الفلسطيني، وعبرنة الثقافة؛ فمع بداية احتلال اليهود لفلسطين عُني الصهاينة بتحويل كلِّ مَعْلَم تاريخي إسلامي إلى شيء يمتُّ لليهود بِصلة؛ فعمدوا إلى المدن والقرى الفلسطينية المسلمة وكذلك المقدسات الإسلامية كالمساجد - مثلاً - وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، وبدؤوا بمشروع التهويد؛ وذلك بتحويل الأسماء العربية الإسلامية إلى تسميات يهودية؛ فأسماء المدن والشوارع والطرق والأماكن والحدائق كلُّها بدأت تتحول إلى أسماء يهودية، وإذا أردنا استخدام لغة الأرقام فإننا نقول: إن ما تعرضت له القدس في الزمن الماضي من تهويد المصطلحات يصل تقريباً إلى ١٢٠٠ مصطلح وكنا نستكثر هذا العدد؛ إلا أننا فوجئنا في شهر رمضان عام ١٤٣٠هـ بحجم المصطلحات التي جرى تهويدها في مدينة القدس في وسائل الإعلام؛ حيث وصلت إلى أربعة آلاف مصطلح غُيِّرت لصالح اليهود.

وأريد أن أنبِّه هنا إلى مسألة هامَّة وهي أن في فلسطين مشروعين: المشروع الأول: مشروع التهويد، والمشروع الثاني: مشروع التثبيت أو المضاد للتهويد في داخل منطقة القدس عموماً. ومشروع التهويد يركز على جانبين أيضاً:

١ - موضوع تهويد الثقافة في المجال الديني وفي مجال المعالم... ونحوها.

٢ - تهويد الهوية المتعلقة بالقدس.

البيان: لكن هل ثمة ارتباط بين الوضع السياسي والديني داخل الكيان الصهيوني وبين التهويد؟

■ الدكتور زيد عمر:

يبدو أنه من الصعب الفصل بين ما يحدث الآن في القدس المحتلة من إجراءات التهويد وبين الوضع الداخلي للكيان الصهيوني. إن هذا الذي يحصل الآن هو جزء من صراع البقاء، والذي يتابع تصريحات القادة والمفكرين الصهاينة يخرج بمجموعة من الحقائق الخطيرة؛ ففي لقاءٍ مع مجموعة من أساتذة الجامعات ورجال السياسة والعسكريين الصهاينة اتفقوا على أن أخطر مكان على اليهود هو في إسرائيل نفسها، واتفقوا كذلك على أن مجموعةً كبيرة مما كانوا يظنونه حقائق على مدى خمسين سنة تبيَّن لهم أنها أوهام، بل نلاحظ الآن أنه بدأت تُنَاقَش مسألة بقاء إسرائيل علناً في جلساتهم واجتماعاتهم ومؤتمراتهم؛ لذلك كان من الضرورة البحث عن حبل خلاصٍ وطوق نجاة من هذا المأزق؛ وما تهويد القدس إلا محاولة للفت انتباه جميع اليهود إليها واعتبارها قضية فوق كل القضايا لعل ذلك يسهم في زيادة ارتباط اليهود بفلسطين؛ لأن المجتمع الصهيوني - كما لا يخفى على الجميع - يتكون من أكثر من مئة جنسية، وفيه ما يقرب من خمسة وخمسين لغة. وهذا المجتمع الخليط لا بد له من رابطٍ ونقطة ارتكازٍ تدور حولها هذه المجموعات المتفرقة، المختلفة في كل شيء؛ لذلك وجدوا أن (القدس وإسرائيل والهيكل المزعوم) الذي يبحثون عنه ممكن أن يؤدي هذا الغرض؛ كما أن القدس بمسجدها المبارك تجمع المسلمين على اختلاف وجهات نظرهم، يريد اليهود أن يجعلوا محل المسجد الأقصى كنيساً يقوم بالدور نفسه داخل المجتمع الصهيوني.

وإذا ما صحَّت هذه التحليلات فإن تهويد القدس لا يرتبط بحكومة ولا بزمن ولا بتقلُّبات، بل هو قرار حاسم، ولـ (بن غوريون) كلمة مشهورة تدل على استيعابه لما ذكرنا؛ حيث يقول: (لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل) إنها الفكرة نفسها؛ فهو لا يتصور أن تكون هناك إسرائيل بدون القدس؛ لإنه لا يمكن أن يجمع كل هذا الخليط وكل هذا الشتات بدون القدس.

حتى العلمانيون في المجتمع الصهيوني يختلفون عن علمانيي المجتمعات الأخرى؛ فهم يوظفون الهيكل والأقصى؛ لعلمهم بأن له دوراً كبيراً في تثبيت اليهود في هذا البلد؛ لأن هناك عدداً كبيراً منهم ما يزال يعتبر نفسه غريباً على هذه المنطقة؛ وإزالة هذه الغربة إنما تتحقق حينما يقال له: إنما نغبطك بتراث أجدادك الذي يتجاوز عمره أربعة آلاف سنة. فإذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار فسنعلم أن هذه الإجراءات ليست مرتبطةً بواقع آني ولن تحول دونها قرارات أو اعتراضات؛ لأن الاعتراض عليها هو اعتراض على وجود إسرائيل في الأصل؛ ومن هنا ينبغي أن ننطلق في الحديث عن مثل هذه الظواهر.

■ الدكتور عبد الغني التميمي:

المشروع الصهيوني في المنطقة بدأ يتآكل؛ وهذا ليس كلاماً شاعرياً ولا بعيداً عن الواقع، وإنما هو كلام مأخوذ من واقع هذا المشروع الصهيوني الذي بدأ بشعار: إسرائيل الكبرى تمتد من النيل إلى الفرات. وجعلوا هذا على عَلَمِهم وعلى عُمْلَتِهم؛ فهو شعار مقدَّس عندهم وهذا المشروع كان بالنسبة لهم أمراً لا يقبل النقاش؛ فأين الآن مصير إسرائيل

الكبـــرى الآن؟ إنهم في خوف على بقائهـــم، وبدل أن تمتد أطماعهم مـــن الفرات إلى النيل في هـــذه الأرض الكريمة المباركة بـــدؤوا يقيمـــون حولهم الجُدُر والأســـوار، وبدؤوا يتقوقعون ويتقلصون إلى حدٍّ كبير؛ وهذا يشعرنا بأن المشروع الصهيوني بدأ يتآكل وأنه لا مستقبل له في هذه المنطقة.

البيان: فضيلـة الدكتور عبد الغـني - حفظك الله - إن مـن أظهر معالم التهويـد في الأرض المباركة قضيتين رئيستين، هما:

القضية الأولى: ما يتعلق بتهجير المقدســيين، ومصادرة أراضيهـــم ومنازلهم، ومصادرة المزارع وطرد الفلســـطينيين منها.

القضية الثانية: ما يتعلق بمصادرة المســـاجد، كالمسجد الإبراهيمي وقبل ذلك المســـجد الأقصى الـــذي يمثل أبرز التحديات الخطيرة التي تواجـــه أهلنا في الأرض المباركة. لعلنا نلقي الضوء على هاتين القضيتين.

■ الدكتور عبدالغني التميمي:

أولاً: إن الضغط على الشـــعب الفلسطيني؛ لتفريغ أكبر قَدْر من الأرض من الفلسطينيين، أهلِها الشرعيين، يتمثل في جميع الجوانب (الاقتصاديـــة، والصحية والتعليمية...)، إنه ضغط ممنهج من أجل إجبار هذا الشعب الكريم على الهجرة والخروج وتفريغ فلســـطين من أهلهـــا؛ فهي محاولات جادة لقلعه مـــن جذوره والتأثير عليه، ومـــن أمثلة ذلك أن بعض طـــلاب الجامعة - مثلاً - يمكثون في الســـنة الرابعة أربع سنين أو أكثر؛ لأنهم لا يستطيعون أن يكملوا دراستهم بسبب المظاهرات، والحواجز التي يقيمها العدو في طريقهم، وبسبب إغـــلاق الجامعة بين الحين والآخر، وهكذا دواليك؛ فهو إذن جزءٌ من مشروع كبير المقصود منه عصر الشعب الفلسطيني من أجل ألا يجد له خِيار إلا الخروج من فلسطين.

وهنا يأتي واجب تثبيت الشعب الفلسطيني وتجذيره في أرضه وهو حق منوط بالأمة وواجب عليها بشـــكل عام؛ لأنه لا يجوز أن نبقى متفرجين على ما يقع للشـــعب الفلسطيني: من الظلم والاضطهاد والقتل والتشريد وغير ذلك.

ثانياً: تهجير اليهود قســـراً إلى فلســـطين وإجبارهم - ولو بالكيد والمكر والتفجيـر والقتـل وإثارت البـلابل - على أن يهاجروا إلى فلســـطين؛ وهم بهذا يريدون أن يحققـــوا نوعاً من التوازن الديموغرافي؛ لأنهم يرون الفلسطينيين يتناسلون ويتكاثرون كثرة لا يمكن اللحاق بها فيحتاجون إلى استقدام أعدادٍ كبيرةٍ؛ لإيجاد شيء من التوازن الديموغرافي في فلسطين.

ومن أســـباب حرصهم على هجرة اليهود إلى فلسطين، مواجهة الهجرة المعاكســـة من فلسطين التي صوِّرت لليهود على أنها أرض الســـمن والعسل، وأنها العش الهادئ الآمن؛ فـــإذا هي عكس ذلك تماماً؛ إذ بـــدأت أحوالهم الاقتصادية تسوء وكذلك الأحوال الأمنية، رغم محاولاتهم إشعارَ شعبهم أنهم في أمان واطمئنان.

الأســـتاذ سمـــير ســـعيد: لو اســـتخدمنا لغة الأرقام والإحصـــاءات في ما يتعلق بالمجال الديموغرافي فســـنجد أن هنـــاك تحدٍّ حقيقي لليهود فـــي الداخل يتمثل بالجانب الديموغرافـــي والتعداد الســـكاني؛ فعلى ســـبيل المثال في عام ١٩٧٣م أصدر اليهود قانوناً يحدد نســـبة الفلسطينيين فـــي مدينة القدس بـ ٢٢ ٪ فقط؛ وحتى هـــذا التـــاريخ لم يســـتطع اليهود أن يحققـــوا هذا الرقـــم، بل ما زالت نســـبة الفلسطينيين حتى هذا اليوم تساوي ٣٥ ٪ من نسبة السكان فـــي منطقة القدس. والمقصود بالقدس: القدس الشـــرقية بالإضافة إلى المدينة داخل الجدار وخارج الجدار بالإضافة إلى البلدة القديمة وما يحيط بها.

ففي داخل البلدة القديمة كان تعداد الفلســـطينيين في عام١٩٩٠م ٣٢ ألف نسمة، وبســـبب الممارسات الصهيونية القمعيـــة وصل العدد الآن إلى ٢١ ألف نســـمة، وفي داخل المســـجد (داخل الحدود الجغرافية للجدار الجديد) يوجد عندنا ٢٣٠ ألف فلســـطيني وفي خـــارج الحدود أيضاً ٢٣٠ ألف؛ أي هناك ٤٦٠ ألف فلســـطيني في القدس وضواحيها فـــي حين وصل عدد اليهود فـــي منطقة القدس - بما فيها الغربية طبعاً - ٦٥٠ ألف يهودي؛ إذاً ما زالت النســـبة تراوِح عند ٣٥ ٪ على الأقل من نسبة الشعب الفلسطيني.

وقـــد اتخـــذ اليهود عدة مســـارات من أجـــل الموضوع الديموغرافي:

المسار الأول: هو مسار المستوطنات وتكثيف الاستيطان في منطقـــة القدس: حيث عملوا ثلاثة أحزمة اســـتيطانية يهودية في منطقة القدس: من الجنوب، ومن الشـــرق، ومن الشـــمال؛ لأجل إحلال اليهود مكان الشـــعب الفلسطيني؛ فسلبوا الأرض وبَنَوا المستوطنات وزادوا عدد السكان اليهود في المنطقة.

وثمـــة أمر آخر يتعلق بالمســـاحة الجديدة داخل الجدار البالغة ٢٨٩ كم٢؛ حيث أخذ اليهود منها ما يقارب ١٦٣ كم٢ للمســـتوطنات؛ فمن ٢٨٩ كم٢ يوجد ١٦٣ كم٢ مســـتوطنات لحشـــد اليهود فـــي المنطقـــة. ومقابل هذا لما مـــد العدو

الصهيوني الجدار وأدخل مستوطنة (معاليه أدونيم) أخذ من مساحة الضفة الغربية ١٦٣ كم٢ احتلالاً مقابل ١٦٣ كم٢ تلك التي وضعها في المستوطنات ويسكن المستوطنات ٢٧٠ ألف صهيوني.

المسار الثاني: الترويج لمدينة القدس واعتبارها مركزاً سكنياً يهودياً: إن المستغرب في المعادلة اليهودية أن القدس طاردة لليهود! مع أنه يجب أن يكون العكس! إن اليهود لا يحتملون أن يقعدوا فيها إلا المتطرفون؛ لذلك هم يجبرون كل الرحلات اليهودية التي تأتي من الخارج ومن الداخل بأن يتوجه ١٠ ٪ ممن فيها إلى القدس ومع ذلك يهربون منها؛ فقد بلغت الهجرة السلبية من القدس من عام ١٩٨٠م إلى عام ٢٠٠٥م ١٠٥ آلاف مستوطن يهودي خرجوا منها؛ وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات والمستوطنات والأموال لا يأتي المستوطنون إليها.

المسار الثالث: هو الجدار الفاصل الذي يهدف إلى أمرين:

أولاً: ضمُّ المناطق والكثافة السكانية اليهودية إلى القدس.

ثانياً: عزل المناطق والكثافة السكانية الفلسطينية إلى خارج القدس؛ حتى يكون هناك تعادل ديموغرافي وهو ما تفضَّل به الأساتذة قبل قليل.

المسار الرابع - وهو أخطرها - (التهجير): إن سياسة الصهاينة في تهجير السكان الفلسطينيين من منطقة القدس تقوم على محورين:

التهجير الفردي: ويكون عن طريق سحب ما يسمى بالبطاقة الزرقاء؛ وهي عبارة عن هوية إقامة. وحتى تكتمل الصورة أقول: وَفْقَ اتفاقية وادي عربة فإنه لا يحق للمقدسي أن يأخذ جواز السفر الأردني، و وَفْقَ اتفاقية أوسلو لا يحق للفلسطيني المقدسي أن يأخذ جواز سفر فلسطيني. هذان شرطان على كلٍّ من السلطة الفلسطينية والأردن، والبديل أن يأخذ البطاقة الزرقاء؛ فلا يعامَل على أنه أردني ولا يعامَل على أنه فلسطيني وأيضاً لا يعامَل على أنه (إسرائيلي)؛ ولذلك فإن المقدسي يعاني معاناة خطيرة جداً في منطقة القدس؛ حيث بدأ اليهود أيضاً بسحب الإقامة؛ فمن عام ١٩٦٧م إلى عام ٢٠٠٦م بلغ عدد الإقامات والبطاقات المسحوبة ٦٣٩٦ بطاقة من منطقة القدس وفي المقابل هناك ١٠٥ آلاف يهودي هاجروا منها.

التهجير الجماعي: ويتضمن إعطاء إخطارات لأصحاب البيوت لمغادرتها؛ وفي عام ٢٠٠٠م بلغ عدد العقارات التي سُلِّمت إخطارات لكي يغادرها أهلها ١٧٤ عقاراً مع الأخذ بالاعتبار معنى كلمة عقار؛ إذ ليس معناها بيتاً فقط، بل ممكن أن يكون عمارة أو سوقاً وقد يكون مجموعة أبنية أو بناءً واحداً لكنه مجموعة شقق، ويتوزع الـ ١٧٤ عقاراً على خمسة أحياء، هي: حي البستان الذي صارت حوله الضجة الإعلامية في بداية عام ٢٠٠٩م، وحي العباسية، والشيخ جراح، وكذلك الطور، والحي الشمالي لتلك البلدة. إن الموضوع الديموغرافي موضوع خطيرٌ جداً، ومعتمَد اليهود عليه في ما يتعلق بتهويد القدس.



البيان: المسجد الأقصى هو رأس الحربة في مشروع التهويد؛ فما أبرز التحديات التي تواجه المسجد الأقصى؟

■ **الدكتور زيد عمر:** إن من أبرز التحديات التي تواجه المسجد الأقصى جَهْلُ أهله به؛ فبعض المسلمين ليس لديهم معلومات واضحة وصريحة ووافية عن شرف المسجد الأقصى ومكانته، وإذا كان الإنسان عدوَّ ما يجهل فإنه - على أقل تقدير - لا يتحمس للمسجد الأقصى، وقد لا يستحضر مظاهر الخطورة التي يتعرض لها؛ وذلك من خلال إيهام الصهاينة الناسَ بأن هذه الإجراءات تجري خارج إطار المسجد الأقصى؛ لأن كثيراً من المسلمين لا يعلمون أن مساحة المسجد الأقصى ١٤٤,٠٠٠ م٢؛ فحين يغيب عن باله ذلك ويرى المسجدَ قائماً بذاته، فإنه سيعتقد أن هذه الإجراءات بعيدة عنه، وأنه ما زال بخير... وهذه مسألة ينبغي أن نتنبه لها؛ فحين نقول: المسجد الأقصى؛ فإننا نعني مساحةً تقدَّر بـ: ١٤٤,٠٠٠ م٢؛ ولذلك فإن كثيراً من إجراءات التهويد التي بدأ بها اليهود مرَّ بها الناس مروراً عابراً، بل لم يُتنبَّه لها، بل أستطيع أن أقول: إنه بعد ثلاثة أيام من احتلال اليهود للمسجد الأقصى عام ١٩٦٧م بدؤوا بتغيير معالمه؛ حيث هُدِم حي المغاربة بعد ثلاثة أيام، وبعض الناس لا يدركون مدى صلة هذا الحي بالمسجد الأقصى

وأنه جزء منه. والمسألة التي لا بد من الانتباه لها أن كلَّ هذه الإجراءات التي تجري الآن؛ إنما تجري ضمن حدود المسجد الأقصى، والأخطر من ذلك أن كثيراً من إجراءات التهويد لا تُرَى؛ لأنها تجري تحت المسجد الأقصى؛ فهناك أكثر من ستين كنيساً يهودياً تحت المسجد الأقصى، وهناك أيضاً ثمانية أنفاق؛ ولهذا يقول خبراء العمران: لو أن طائرة خارقة لجدار الصوت مرت فوق الأقصى فسينهار! ويبدو لي أن هذه هي الخطوة القادمة لليهود، ولعل الأخوين العزيزين يوافقاني على ذلك؛ حيث سيجري تعريض الأقصى إلى شيء من الاهتزاز فيصيبه تصدُّع، ومن ثَمَّ يُغلَق المسجد الأقصى حرصاً على أرواح المصلين، ويُهَجَّر إلى فترة، وبعد ذلك يحصل ما يحصل؛ فأنا أتمنى أن يركِّز على أن الإجراءات التي نالت المسجد الأقصى إنما هي في صميمه وليس كما يُتوَهَّم أنهم على مدى أربعين سنة لم يصلوا إلى المسجد الأقصى، بل الحقيقة أنهم وصلوا إليه وبدؤوا بتغيير معالمه بعد ثلاثة أيام من دخولهم إليه، ولعل أخانا الأستاذ سمير يعطي هذا الموضوع مزيداً من التوضيح من خلال إيراد بعض الأرقام والحقائق والتواريخ التي تؤكد هذه المسألة.

البيان: أشرتم آنفاً إلى الأنفاق تحت المسجد الأقصى، فلعلنا نبسط الحديث حول هذا المشروع الخطير.

■ الأستاذ سمير سعيد:

عطفاً على ما تفضل به الدكتور من تنبيهات مهمة ثمة ما يتعلق بوصف المسجد الأقصى المبارك؛ فعندما يجري الحديث عن المسجد المبارك يقال: (ساحات المسجد الأقصى المبارك... واليهود يقتحمون ساحات المسجد الأقصى المبارك...) إن هذه التسمية المتداولة في وسائل الإعلام، علينا أن نستبدل بها كلمة (الأقصى)؛ لأن اليهود يدخلون إلى الأقصى. وساحاتُ الأقصى هي جزء من الأقصى والمساحة التي تفضل بها الدكتور (١٤٤,٠٠٠ م٢) تحوي مجموعة من معالم الدولة الإسلامية العريقة التي احتضنت المسجد، وقبل ذلك وُجد فيه عدد من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومن ثَمَّ فنحن نتكلم عن سلسلة حضارية حقيقية داخل القدس ولا يوجد أي أثر تاريخي لليهود تحت القدس على الإطلاق.

إننا عندما نذكر المسجد الأقصى فإننا حقيقةً نتحدث عن ستة مساجد: المسجد القبلي، والمسجد المرواني، والمسجد القديم (وهو تحت المسجد القبلي)، ومسجد النساء في الجهة الجنوبية ، ومصلى النساء. هذا إذا اعتبرنا قبة الصخرة مسجداً، وممكن نعتبره في القباب، فنقول: مسجد قبة الصخرة، ثم مسجد البراق، ثم المسجد الغربي هذه ستة مساجد وبإضافة قبة الصخرة تصبح سبعة. وداخل المسجد الأقصى المبارك ١٥ قبةً وكل قبة لها محراب وكان العلماء في الزمن الماضي يعلِّمون الناس تحت هذه القباب ثم إذا نودي للصلاة فكلٌّ يصلي في مكانه؛ لاتساع مساحة مسجد الأقصى المبارك، وفيه أيضاً أبواب عريقة و ٣٦ مدرسةً في داخل مسجد الأقصى المبارك و ٢٦ مصطبةً (والمصطبة عبارة عن بقعة مرتفعة عن الأرض مسطحة، كان يجلس عليها طلبة العلم، وهي ما زالت موجودة حتى الآن).

إن الأمة لا بد أن تعي جميع هذا الوصف وهناك معلومة جديدة تضاف إلى ما تفضل به الدكتور في ما يخص الكُنُس الستين نشرتها مؤسسة الأقصى لأعمار المقدسات، وهي أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي أصبحت تطوِّق المسجد الأقصى بأكثر من ١٠٠ كنيس يهودي وهو ما نبَّه إليه الشيخ رائد صلاح. وأشير هنا إلى مسألة هامة، وهي: ما المقصود بتهويد المسجد الأقصى المبارك؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نفهم أن هناك عناصر أساسية ثلاثة للمسجد الأقصى المبارك، هي: أرض المسجد الأقصى المبارك، وحدود المسجد الأقصى المبارك بزواياه الأربعة مع السور الموجود عليه، والقبلة؛ فإذا ما قلنا: المسجد الأقصى المبارك، فإن المقصود هو القبلة أي البقعة ثم الحدود المعروفة والمشهورة على مدار التاريخ والمتوارثة من الأنبياء ثم من ملك إلى ملك إلى ملك إلى أن وصلت إلينا، وهناك بحث علمي صدر عن جامعة نابلس لأحد الباحثين المهندسين تحدث فيه عن تطابق زوايا المسجد الأقصى المبارك مع زوايا الكعبة مع فارق الحجم؛ فإذا أخذنا انطلاقاً من الحجر الأسود خطاً مستقيماً على استقامة الركن الذي بعده فإننا سنصل إلى المسجد الأقصى المبارك مباشرة؛ وكما أن مكة منتصف العالم كذلك المسجد الأقصى المبارك منتصف مركز اليابسة.

أما بالنسبة لموضوع التهويد فقد شمل المسجد الأقصى المبارك فوق الأرض وتحت الأرض، بل حتى سماء القدس!

البيان: كيف ذلك؟

■ الأستاذ سمير سعيد:

أثناء اتفاقيات أوسلو في عام ١٩٩٣م تحدث الشيخ رائد صلاح وقال: اتصل بي أحد هؤلاء الأشخاص المشاركين في المفاوضات، فقال لي: يا شيخ رائد! انتبه فقد اتفقوا على أن تكون الأرض تحت المسجد القبلي والسماء أيضاً لليهود

ويبقى المبنى مع الفلسطينيين هذا من عام ١٩٩٣ - ١٩٩٤ فرجع الشيخ رائد يبحث عمَّا تحت الأرض، وأثناء البحث جاء أحد الآثاريين الفلسطينيين وقال للشيخ: عمَّ تبحث؟ فأخبره الشيخ عمَّا علم من خبر الاتفاقية، فقال: أنا أدلك ولكن بشرط أن تكتم عني (هذه القصة سمعتها من الشيخ شخصياً). قال: فأتينا إلى بقعة في الجدار نفسه فدفعها الشاب؛ فإذا بها باب متطابق مع الحجارة لا يمكن أن يُكتَشَف من فِعْل يهود. قال الشيخ: نزلنا بسرداب فاكتشفنا مسجدين: المسجد المرواني تحت الأرض وفيه آلاف الأطنان من التراب؛ إذ لم يُفتَتَح على مدار خمسمائة سنة، واكتشفنا المسجد القديم تحت المسجد الأقصى المبارك. واستطاع الشيخ رائد - بفضل الله عز وجل - خلال عامي (١٩٩٦م و ١٩٩٧م) أن ينتهي من ترميم المسجدين؛ المسجد المرواني استصلح منه أربع آلاف متر مربع، ثم المسجد القديم استصلحه أيضاً وقامت بعض الدول بتزويده بالسجاد لكلا المسجدين.

إن مخطط اليهود الآن يقوم على ثلاث قضايا وأرجو أن يُنتَبه لهذه جيداً: لَمَّا وصل اليهود إلى مرحلة لا يستطيعون فيها الهدم لبناء الهيكل المزعوم بدؤوا يخططون بطريقة أخرى للوصول إلى أهدافهم وذلك من خلال نهج سياسة عزل المسجد الأقصى المبارك عن محيطه، وبدؤوا يضعون المخططات المتعلقة بهذه القضية؛ فأصدروا ما يسمى بالقدس أولاً، وهي مذكرة يهودية اكتشفت في عام ٢٠٠٧م، تتحدث بالتفصيل عن موضوع تهويدِ كامل محيط المسجد الأقصى المبارك وصولاً للخطوة الثانية، وهي التقسيم.

واعتبر اليهود اليوم أن قضية تقسيم المسجد الأقصى أخفُّ عليهم من الوصول إلى مرحلة الهدم فلجؤوا إلى سياسة الجرعة جرعة؛ حتى يتلقى العالم كله - سواء المجتمع الدولي أو الإقليمي أو العربي أو حتى الشعب الفلسطيني - الصدمة دون ردة فعل تُذكر.

■ الدكتور عبد الغني التميمي:

هم طبعاً يضخمون الموضوع ويُظهِرُون أن المطلوب هدمَ المسجد الأقصى؛ بحيث يبقى الناس مهيئين نفسياً لهدم المسجد الأقصى ومن ثَمَّ يخفُّ عندهم موضوع التقسيم أو التجزئة وكأن المسجدِ الأقصى محفوظٌ وما حصل له شيء.

وكان اليهود قد رصدوا مبالغ تقدَّر بـ ٤٠٠ مليون دولار أمريكي لتهويد القدس، وأدخلوا المنطقة الشرقية للقدس، تلك التي لم تكن في المعادلة الصهيونية ولا المنطقة الجنوبية كذلك؛ حتى يقوموا بعملية عزل المسجد الأقصى المبارك؛ فأدخلوا في مخططهم مقبرة الرحمة (وهي إحدى المقابر الإسلامية على سور الأقصى كاملاً من الجهة الشرقية، تبدأ من الجنوب إلى الشمال مسطحها قرابة ١٨٠٠٠م٢ وقد نصَّت وثيقة (القدس أولاً) على أنها حديقة توراتية. ولم يتخذوا الإجراء السابق في مقبرة (مأمن الله) التي كانت موجودة في الجهة الغربية بمعنى: أنهم نبشوا القبور، فثارت ضجة إعلامية، فأبقوا المقبرة كما هي وأخذت الناقلات تصبُّ التراب فوق القبور، وبدؤوا يزرعون فيها فوق القبور فأنشؤوا الحديقة فوق القبور، ولم ينبشوا قبور الصحابة أو القبور الموجودة في هذه المنطقة؛ أذن بدأت كل سياسات اليهود تختلف في ما يتعلق بموضوع المسجد الأقصى المبارك في هذا الجانب.

وفي ما يتعلق بموضوع الكُنُس فقد ذكرنا أن ثمة ١٠٠ كنيس، وكل كنيس يُفتَتَح على مستوى عالٍ؛ فمثلاً كنيس سلسلة الأجيال الموجود تحت الحائط الغربي في المسجد الأقصى المبارك افتُتِح على يد (موشي كتساف) رئيس الدولة في عام ٢٠٠٦م، وهناك مجموعة كُنُس أخرى موجودة منها كنيس الخراب الذي بدؤوا العمل به منذ عام ٢٠٠١م بسياسة الجرعة جرعة إلى أن انتهى كنيس الخراب يوم الإثنين ٢٠١٠/٣/١٥م.

وهنا أنبِّه إلى أن الأنفاق شيء والكُنُس شيء آخر؛ فهناك حفريات تحت المسجد الأقصى مع أنفاق، وهناك حفريات وكُنُس. ومن خلال هذه الكُنُس بدؤوا يأتوا بالسياح من العالم إلى داخل فلسطين ويقومون بمسح الأدمغة، وبدأت الاقتحامات اليهودية (وهي جزء من التهويد أيضاً)؛ إذن أحاطوا بالمسجد الأقصى المبارك من ثلاث جهات: الغرب والجنوب والشرق، ورصدوا ميزانية تقدِّر بـ ٤٠٠ مليون دولار، مع مشاركة على مختلف المستويات: الكنيست، رئيس الحكومة، رئيس الدولة، ولم يبقَ إلا التنفيذ؛ وهم انتقلوا فعلاً من مرحلة التخطيط التي كانت في عام ٢٠٠٧م إلى مرحلة التنفيذ الآن. هذا مختصر ما يجري في منطقة القدس اليوم.

البيان: لو تحدَّثنا بشكل مفصَّل عمَّا يسمى بقائمة التراث اليهودي التي يروج لها الإعلام الصهيوني؟

■ الدكتور زيد عمر:

أودُّ أن لا يستغرقنا الحديث التاريخي كثيراً وأن نربط هذا الأمر بالواقع؛ ففي دراسة لأستاذٍ صهيوني في علم

الاجتماع في جامعة حيفا، يقـول: «المحيط الثقافي المغاير لدولة إسرائيل يفرض عليها أن تبقي عدواً دائماً لها، وبقاء هذا العدو هو سـر بقائها؛ وبناءً على ذلك لا بد من إشعار المواطن الإسـرائيلي أن له عـدواً دائمـاً في هـذه المنطقة...». باعتقادي أن هذه الفكرة أنما تتحقق من خلال هذه الإجراءات التي تجري داخل المسجد الأقصى؛ فاليهودي يعرف ما يعنيه المسـجد الأقصى للمسـلمين، ومن ثَمَّ فأي إجراءات تنال المسجد الأقصى، فستعني بالنسبة له مزيداً من العداوة في العالم الإسلامي والعربي ثم الفلسطيني المحيط به، أيضاً.

ويقصد اليهود من هذه الإجراءات المتتالية، المتسـارعة فـي هذه الأيام بـثَّ اليأس في نفوس المسـلمين، وخاصة الفلسـطينيين (أي: ليس لكم شـيء في الأقصى)، وإبرازَ قوَّتهم، وخفضَ سقف التوقعات في المباحثات التي ربما قد تجري في المسـتقبل، ومن هنا أعتقدُ أن هذه الاستفزازات التي يقـوم بها اليهود هي مقصودة في حدِّ ذاتها وليسـت عرضـاً للإجراءات. أقول ذلك لنعلـم أن الإجراءات وردود الأفعال التي يتخـذها المجتمـع الـدولي، واهمُّ مَنْ يعتقد أنه سـيكون لها أثر إيجـابي على الفلسطينيين وعلى الأقصى وأنها ستحدُّ من هذا الاندفاع الإسرائيلي.

■ الأستاذ سمير سعيد:

تمشياً مع سياسـة الخطى المتدرجة فإن اليهود يخترعون أشـياء جديدة وهذا يبدأ من المؤسسـة السياسـية ثم تعطى للمؤسسة الدينية؛ فيقومون بالإفتاء والتسويغ؛ فإذا أرادوا شيئاً قانونياً قدموه للجهة القانونية، (سواء الكنيست الإسرائيلي أو المحكمة الإسـرائيلية العليا)؛ فتقوم بسـنِّها كقانون ثم يكون الإعلان (أي: سياسيٌّ يخترع، وحاخامٌ يشرِّع أو يفتري، وقانونيٌّ يسـوِّغ، وإعلاميٌّ يسـوِّق). إنها رباعية يهودية تعمل اليوم في تسويق كل المشاريع الصهيونية، ومنها قصة التراث اليهودي.

ما قصة التراث اليهـودي؟ هي عبارة عن افتعالٍ جديد لشـيء جديد غيرِ موجود أصلاً بالنسـبة لهم؛ حيث بدؤوا يقولون - مثلاً -: إن المكان الفلاني تراث يهودي، ومن خلال هذا الادعاء قاموا بضم عـددٍ من المدن والمناطق والأماكن. وهذه السياسـة ما هي إلا مسـوغ للمؤسسـة الصهيونية السياسـية أو الدينية؛ لاختراع أشـياء جديدة يلتف حولها العالـم من أجل تحديد الهـدف والتقدم نحو هدم الأقصى وبناء الهيكل. هذا خلاصة ما يقوم به اليهود.

وقائمـة (التراث اليهودي) تضم ١٥٠ مَعلَماً إسـلامياً، وهـذه القائمة موجودة لدى الحكومة الإسـرائيلية، وحاول كثير من القِطاعات ومراكز الدراسـات البحث عن القائمة حتـى يعرفوا ما بداخلها، فما وجدوها إلا على مكتب رئيس الوزراء، وهي قائمة خاصةٌ سياسـيةٌ بالدرجة الأُولَى ثم بعد ذلك يمكن أن تكون تراثاً وقائمةً دينيةً.

ماذا تحتوي هـذه القائمة؟ تضم هـذه القائمة أماكن مقدسـة: كالمسجد الأقصى المبارك؛ حيث تقول القائمة: إن سـور البلدة القديمة جزء من التراث، والمسجدَ الإبراهيمي جزء من التراث، ومسجدَ بلال بن رباح في منطقة بيت لحم جزء من التراث، وحيَّ سـلوان في داخل القدس عدَّوه جزءاً من التـراث اليهودي، وكذلك الجبال التي تقوم عليها مدينة نابلس (جبل عيبال وجبل جرزيم) عدُّوها من التراث اليهودي بمعنى أن القائمة شـملت كلاً من: الضفة الغربية، القدس، المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨م، ثم جاؤوا إلى بعض المدن، مثل: مدينة قيسارية، وبيسان، وعسـقلان، واعتبروها جزءاً من التـراث اليهودي، مـع أن هذه البلدان تُعـدُّ أقدم حتى من الوجود اليهودي داخل فلسطين؛ فهي قديمة جداً للغاية، من ذلك أيضاً منطقة مرج ابن عامر التي تبدأ من عكا أو حيفا إلى أن تصل إلى جنين ثم إلى طبريا. هذا المثلث كلُّه ضُمَّ إلى التراث اليهودي بما فيه منطقة حطين ومنطقة مجدُّو (وهي ما يعتقد اليهود أن معركة (هرمجدُّون) ستكون في المستقبل في هذا المكان)، ثم هناك قلعة في منطقة يافا اسمها: قلعة رأس العين، ضمُّوها أيضـاً إلى هذه القائمة وغير ذلك من المناطق، ثـم القبور؛ حيث ضموا منطقةً زعموا أن فيها قبر النبي يوسف - عليه السـلام - وكذلك قبر (راحيل) زوجة يوسـف - عليه السلام - الكائن حول مسجد بلال (وللتنبيه فإن هذا المكان دُفِن فيـه أحمد عبد العزيز المجاهد الذي قُتِل عـام ١٩٤٨م في طريقه وهـو عائد مـن القـدس إلى الخليل ثم إلى غزة لشـأن مَّا)، ثم المقابر الإسـلامية التي تكلمنا عنها أيضاً ضُمَّت إلى التراث اليهودي.

إذن القائمة شملت مدناً، وقرىً، ومساجد، وقبوراً ومواقعَ إلى غير ذلك؛ وكل ذلك تحت شعار: المواقع التاريخية. ومنها ما يتعلق بكَنِيس الخراب الذي تم افتتاحه في ٣/١٥ /٢٠١٠م والذي عُدَّ أيضاً جزءاً من التراث اليهودي، وتقول مؤسسـة الأقصى: إن كنيس الخراب مشـروع تهويـدي من الدرجة الأولى، وهو مرتبط ببناء الهيكل الثالث المزعوم، وهو مشروع تتبناه الحكومة الصهيونية وشـركاتٌ استيطانية تابعةٌ لها. وإن كلَّ من سـاهم في هذا المشـروع من المتبرعين اليهود كان يربط بين بنائه وكونِه خطـوةً متقدمة في بناء الهيكل.

لذلك سـيُعلَن عن قضية خطيرة جـداً وهي: أول نقطة في بناء الهيكل.

ولهذا الكنيس مزايا مـن وجهة نظرهم: فهو يطل على المسـجد الأقصى وعلى قبة الصخرة، وسيُغير مَعلَم القدس البـارز (وهو المسـجد الأقصـى)؛ بظهوره أعلـى من قبة الصخرة، ويكون أجملَ مـن قبة الصخرة أيضاً. وهو كنيس مقبَّب بالطريقة نفسها؛ لأن المنظر في داخل منطقة القدس هو منظر أيوبي عباسي إسلامي بكل ما تعنيه الكلمة.

ومـن القضايا المهمة أن الحكومة الإسـرائيلية تعمَّدت أن تضع رسم المسـجد الإبراهيمي ومسجد بلال وغيره من المواقع داخل الكنيس. وهكذا فإن كل ما سـبق ذكره متعلق للأسف الشديد بما يسمى: التراث اليهودي.

البيان: ثمة سـؤالان نتوجـه بهما إلى فضيلة الشـيخ عبد الغني التميمي - حفظه الله -:

أولاً: هل يتوقع فضيلته أن يُستَنقَذ المسجد الأقصى من خـلال تجربـة المفاوضـات التي مـرت علـى القضية الفلسطينية؟

وثانيـاً: مـا المطلوب مـن الأمـة إزاء هـذه التحديات الكبرى؟

■ الدكتور عبد الغني التميمي:

أما بالنسبة للسؤال الأول الذي تفضلتم به: فالواقع أن المفاوضات أثبتت فشلها الذريع باعتراف أهلها وليس تجنياً عليهـم، بل هم اعترفوا بأن هذه المفاوضات على مدى اثنتي عشرة سَنَة لم تؤدِّ إلى شيء ولم تستنقذ من فلسطين شيئاً، بل ما زالت الجرافات والحفارات وآلة المسـتعمر الصهيوني تهضم الأرض هضماً وتضم آلاف الدونمات والهكتارات إلى المستعمرات والمغتصبات وخاصةً في الأماكن الإستراتيجية، ويُبنَى عليها آلاف الوحدات السكنية لشذاذ الآفاق القادمين من أطراف الدنيا؛ فلم يلاحظ الشـعب الفلسطيني أن هذه المفاوضات أَجدَت شـيئاً، و كلمة (شيئاً) أقولها هكذا نكرةً في سـياق النقد: يعني مهما كان هذا الشـيء تافهاً، فإنها ما قدَّمته للشـعب الفلسـطيني، بل علـى العكس من ذلك هذه المفاوضـات كان ثمنها القضاء على مقاومة الشـعب الفلسـطيني، ومحاولة تطبيع الشـعب الفلسطيني إلى حدٍّ كبير جداً، ومحاولة وإيصالـه إلى مرحلة من اليأس يتوهم عندهـا أنه لا مجال ولا خِيار آخـر أمامه؛ أي: نفاوض ثم نفاوض ثم نفاوض... وهكذا. وأؤكد أن هذا ليس تجنياً، بل هو الواقع على الأرض، وهو ما يعترف به أصحاب المشـروع



المنظمات والمؤسسات اليهودية العاملة لإقامة الهيكل المزعوم

١ - جماعة «غوش أمونيم».
٢ - منظمة «يشيفات أتريت كوهانين».
٣ - حركة الاستيلاء على الأقصى.
٤ - مؤسسة الهيكل المقدس.
٥ - منظمة «سيودس شيسون».
٦ - مجموعة «أل هار هشام».
٧ - جماعة أمناء جبل الهيكل.
٨ - منظمة «بيتار».
٩ - حركة «إعادة التاج لما كان عليه».
١٠ - مجموعة (حشمونائيم).
١١ - قبيلة يهودا.
١٢ - حركة «كاخ».
١٣ - جمعية صندوق جبل الهيكل.
١٤ - منظمة «حاي فكيام» مؤيدي الهيكل.
١٥ - منظمة «عطيرات كوهنايم».
١٦ - حركة «حبَّاد».
١٧ - معهد أبحاث الهيكل.
١٨ - أبناء جبل الهيكل.
١٩ - غوليستا.
٢٠ - جمعية الحركة التحضيرية لبناء الهيكل.
٢١ - مدرسة الفكرة اليهودية.
٢٢ - نساء من جبل الهيكل المقدس.
٢٣ - أنصار الهيكل.
٢٤ - الحركة لإقامة الهيكل المقدَّس.
٢٥ - نشطاء مستقلون بارزون.

التفاوضي.

إن المغتصِب ينهب الأرض ويحفر الأنفاق تحت المسجد الأقصى ويخطط وينفذ كثيراً مما يخطط في سبيل ابتلاع أرض فلسطين والمفاوضاتُ جاريةٌ، والابتسامات تُوزَّع، والعناق... وما إلى ذلك؛ فأنا أعتقد جازماً أن هذه المفاوضات لن تؤدي إلى ما يصبو إليه الشعب الفلسطيني والأمة المسلمة من تحرير هذه المقدسات التي تهم كلَّ مسلم.

إن هذا المشروع ساقطٌ من أصله، وفاشلٌ، وما أدى إلى شيء، ويجب أن يملك أصحابه الشجاعة للاعتراف بهذا الأمر وأن يديروا ظهورهم لهذا المشروع الذي ما أوصل الشعب الفلسطيني إلا إلى طريق مسدود؛ فمن بداية المشروع التفاوضي إلى اليوم لم يُزَل من الضفة الفلسطينية حاجز واحد من الحواجز العسكرية التي يقيمها العدو الصهيوني، بل هذه الحواجز تزداد حتى بلغت قرابة ٦٠٠ حاجزٍ في هذه البقعة الصغيرة من الضفة الغربية؛ فإذا كانت هذه المفاوضات لا تزيل حاجزاً واحداً، ولا يُسمَح بالتحدث حتى عن مثل هذا فيها؛ فلا أدري فيم كانوا يتفاوضون طيلة تلك المدة؟

أما في ما يتعلق بدَوْر الأمة فدورها كبير، ونحن متفائلون بدور أمتنا الإسلامية، ونحمد الله - سبحانه - أن هذه الأمة حيةٌ وأن أهل الخير فيها كُثُر ونحن - بعد الله عز وجل - نأمل في أمتنا المسلمة الكثير، وواجب الأمة الذي يجب أن تركِّز عليه هو موضوع تثبيت إخواننا المقدسيين وتشجيعهم ودعمهم؛ لأنهم - كما قلنا سابقاً - يتعرضون إلى حربٍ باردةٍ طاحنةٍ؛ من أجل إخراجهم من أرضهم؛ فيُمنَوعون من ترميم بيوتهم المتصدعة، وتُفرَض عليهم الضرائب الباهظة، ويُمَنعون من استحداث أيِّ بناءٍ في بيت المقدس، وقائمة الممنوعات على المقدسيين قد لا يكون لها حصر؛ ومع ذلك نجدهم - بفضل الله - صابرين وصامدين في أرضهم، ومرابطين يتحملون الكثير من الأذى؛ من أجل الدفاع عن المسجد الأقصى، ومن أجل الاعتكاف في المسجد الأقصى ولا ننسى أيضاً دور إخواننا في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م وتسييرَهم للحافلات والباصات؛ ليبقى المسجد الأقصى عامراً على مدى ٢٤ ساعة، والوفود تأتي إليه وتذهب...

إن واجب الأمة جدُّ كبير؛ ونحن من هذا المنبر المبارك نناشد عموم الأمة: من علماء وحكام وشعوب أن لا يعتبروا هذه القضية قضية فلسطينية، وإنما هي قضية الأمة الإسلامية جميعاً؛ فإذا ما طُعِنَت في هذا المقتل، فإن هذا سيكون له أثر كبير على باقي الأمة الإسلامية؛ فاليوم هو يوم التنادي إلى الكرامة، والنجدة، التنادي إلى إبراز النخوة الإسلامية والحمية الإسلامية انتصاراً وغضباً لله؛ فنحن إنما ندافع عن هذه الأرض؛ لأنها مقدسة لا لأنها فلسطينية، ولأن الله - عز وجل - أراد أن نحميها وأن ندافع عنها؛ فالآن - كما سبق البيان - يتعرض المسجد الأقصى إلى التقسيم، وهم يتكلمون عن موضوع الهدم من أجل أن يمهدوا للتقسيم؛ فتتجه أبصار الأمة إلى الهدم ثم إذا جاء موضوع التقسيم كان وَقْعه أقلَّ وأخفَّ على مسامع الأمة ومشاعرها فيمر بسرعة وسهولة، وبدون مقاومة. وأكرر مناشدة الأمة - وأخص العلماء والخطباء - أن لا تمرَّ جمعة على الخطباء في كل العالم الإسلامي دون أن يعرِّج الخطيب على ما يجري للمسجد الأقصى، وأعتقد أن من الواجب عليه شرعاً أن يذكر إخوانه والمصلين بأن المسجد الأقصى في خطر، وأن المقدسات في بيت المقدس في خطر... فهذا ليس شأناً فلسطينياً إنه شأن الأمة؛ فالأقصى ثالث المساجد الثلاثة التي تُشَد إليها الرحال في الدنيا كلِّها. والقدس ثاني مدينة مقدسة على وجه الأرض عند المسلمين؛ فأقل الواجب أن يذكِّر الخطيب وينبِّه، وأن يلفت النظر إلى ما يجري في الأرض المقدسة؛ فهذا من جملة الواجب الذي لا يكلِّف كثيراً ولا ينبغي لنا أن تطحننا الآلة الإعلامية الصهيونية؛ فنقلِّل من أهمية هذا الأمر.

■ الأستاذ سمير سعيد:

أحب أن أذكر بمسألة هامة أنه عندما خطط اليهود لقيام دولتهم كان ضمن المخطط شيء اسمه: تنمية الوعي القومي الصهيوني عن المشروع. ونحن نسمِّي هذه الخطوة: تعريف شعوب العالم الإسلامية وغيرها بمكانة القدس وطبيعة التهديدات، وطبيعة التهويد الذي يجري فيها؛ وهذا واجب على الأمة طبعاً (العلماء وغيرهم)، وكذلك تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني، والجمعيات والمنظمات الخيرية في كل العالم الإسلامي للعمل لمشروع القدس وأن يكون من أَوْلى أولوياتها، وأيضاً تقديم المزيد من الدعم المادي (بالذات) وبمقدار ما يصل إلى القدس من دعم ماديٍّ يكون هناك مشاريعُ لتثبيت وجود الشعب الفلسطيني في الداخل؛ لأن اليهود يفرضون ضرائب باهظة جداً على الشعب الفلسطيني؛ حتى لا يستطيع أن يقوم بهذه الأعباء في هذا

الجانب، ثم لا بد لنا أن نتحول من مرحلة القول إلى مرحلة الفعل، ولا بد أن نتحول من مرحلة التعاطف إلى مرحلة التعاضد، ولا بد لنا أن نتحول أيضاً من مرحلة المشاعر إلى مرحلة الشعائر نحو القدس والمسجد الأقصى المبارك، وكذلك أن نتحول فعلاً من مرحلة الدعم المؤقت إلى الحالة الرسالية في قضية القدس.

هذه رسالة كل مسلم وليست رسالة الشعب الفلسطيني وحدَه في الداخل، وكذلك ينبغي أن نواجه المشروع بمشروع، وأن نواجه الخطة بخطة، وأن نواجه البرنامج ببرنامج؛ فاليهود يعملون بخطط وبرامج ومشاريع؛ فلا يُعقَل أن يكون ردُّ فعلنا مجرد كلام، أيضاً نريد عملاً دائماً وإن قَلَّ، وأن تدخلَ قضية القدس إلى كل بيت وأسرة وفرد في المجتمع، وأن تكون قضية القدس جزءاً من الخطة الذاتية لكل مسلم؛ لا بد أن تنعكس قضية القدس وفلسطين على السلوك الشخصي للمسلم؛ بمعنى أن تستغرق قضية القدس كلَّ مسلم.

البيان: في ظل حالة اليأس من الحلول التفاوضية والضغط الهائل الذي يتعرض له المسلمون في فلسطين، هل يمكن أن يحدث انفجار داخل الشعب الفلسطيني؟

■ الدكتور عبد الغني التميمي:

الحقيقة الانفجار في تصوري موجود داخل الشعب الفلسطيني. ونسبة انتقال ذلك إلى الشارع وتحوُّله إلى انتفاضة ثالثة، وحركة جارفة قد تصل إلى ٥٠ ٪؛ ذلك أن الشعب الفلسطيني تعود عند الأزمات والمنعطفات أن يفجِّر انتفاضته وأن ينتفض ضد العدو الغاصب، لكن يوجد - مع الأسف - من أبناء جلدتنا مَنْ يجثمون على صدر الشعب الفلسطيني، ويعيقون حركته، ويكبِّلون يديه أن يتحرك في هذا الجانب أو أن يقدِّم شيئاً! والضفة الفلسطينية التي هي دائماً ما تكون في طليعة الانتفاضة ضد العدو الصهيوني أصبح المجاهدون والمقاومون فيها في سجون السلطة يعانون أشد المعاناة؛ حيث يتعرضون للقتل وللشبْح والآلام الكثيرة، ومع وجود هذه السلطة قد يكون الأمل ضعيفاً بقيام الانتفاضة وإن كنَّا لا نستبعد ذلك ولا نعتبره مستحيلاً، لكن اعتبار أن هذا العائق عائق كبير وأن عدم قيام انتفاضة ثالثة هو جزء من المطلوب تحقيقه ضمن خريطة الطريق؛ فيأخذ المفاوضون راحتهم في التوقيع على برامج العدو الصهيوني مع ضمان عدم الوقوف ضدها بأي شكل من الأشكال، خاصة الشكل الشعبي.



فتوى بتحريم بيع أرض من فلسطين لليهود للشيخ محمد رشيد رضا، رحمه الله[1]

إنَّ من يبيعْ شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنكليز، فهو كمن يبيعهم المسجد الأقصى، وكمن يبيع الوطن كله، لأن ما يشترونه وسيلة إلى ذلك، وإلى جعل الحجاز على خطر؛ فرُتبة الأرض من هذه البلاد، هي كرقبة الإنسان من جسده، وهي بهذا تُعَدُّ شرعاً من المنافع الإسلامية العامة لا من الأملاك الشخصية الخاصة.

وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل، وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام، ولا أذكر هنا كلَّ ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة؛ وإنما أقترح على كل من يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله خاتم النبيين أن، يبث هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة، الذين يصرون على خيانتهم في كل شيءٍ: المعاشرة، والمعاملة، والزواج، والكلام، حتى رد السلام.

وَرَدَ في صحيح مسلم أن الله - تعالى - وعد رسوله ﷺ لأمته أن لا يسلط عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها... إلخ وقد بيَّنتُ في شرحه في جزء التفسير السابع (ص ٤٩٥ و ٤٩٦ طبعة ثانية) أنَّه ما زال ملك الإسلام عن قطر إلا بخيانة من المسلمين؛ فتوبوا إلى الله أيها الخائنون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٧ - ٢٨].

(١) نُشِرَت هذه الفتوى في جريدة (الجامعة العربية) الصادرة في فلسطين بتاريخ ١١ فبراير ١٩٣٥، عدد (١٥٤١).

البيان: مـا هـي انعكاسـات التصعيـد الصهيـوني الحـالي على الوضـع الداخلـي الفلسـطيني والإقليمي والدولي؟

■ الأستاذ سمير سعيد:

يمكننا أن نجمل هذه الانعكاسات في ثلاث نقاط:

الأولى: ازدياد حجم النقمة لدى الرأي العام العالمي ضد السياسات الصهيونية الداخلية.

الثانية: هي وضع السـلطة الفلسـطينية وبعض الدول الأخـرى التي تراهن علـى المفاوضات فـي موقع محرج، والدليـل ما تناقلته وسـائل الإعلام مؤخراً مـن أن وزيرة خارجية أمريكا هيلاري كلنتون كلَّمت نتنياهو ٤٣ دقيقة وهي توبِّخه على التصرف الذي حصل منه في ما يتعلق بالإعلان عن بناء ١٦٠٠ مستوطنة.

الثالثة: إيجاد الظروف المواتية لبلورة اصطفاف فلسطيني على قاعدة: مواجهة الهجمة الاستيطانية اليهودية، والدفاع عـن الأرض والمقدسـات، والتوقف في هـذه المرحلة عن التفاوض مع العدو.

الرابعة: تعزيز موقف حلف المقاومة في داخل فلسـطين وحتى الدول المجاورة تجاه الصَّلَف الصهيوني.

أخيراً: هـل سـتقوم انتفاضة بعد هذه القضايا أم لا؟ كل ما سـبق يعزز قيـام انتفاضة فلسـطينية ثالثة، إضافة إلى موضـوع الجدار، والحواجز، وكذلـك موضوع الضغط الصهيوني داخل الضفة الغربية، والحالة الاقتصادية، وزيادة البطالة مع حضور قضية القدس الأساسية... كل هذا يدعم بعضه إلى أن تكون هناك انتفاضة فلسـطينية ثالثة، إن شاء الله.

البيان: نسـأل الله - سـبحانـه وتعـالى - لنـا ولكم التوفيـق ونشـكـر أصحـاب الفضيلـة علـى هـذا اللقاء المبـارك، ونسـأله - عـز وجـل - أن يعزّ دينـه وأن ينصر أولياءه.

وصلى الله وسـلم على أشـرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المغتصبات الصهيونية في القدس

١ - مستوطنة آدم.
٢ - التلة الفرنسية (جفعات شابيرا).
٣ - الجامعة العبرية.
٤ - الحي اليهودي.
٥ - أورسيمح.
٦ - أرموت هلتسيف.
٧ - إيلي ديفيد (نوكديم).
٨ - بسـجات زئيف.
٩ - بسجات أومر.
١٠ - نكواع أومر.
١١ - تلبيوت الشرقية (تلبيوت مزراحي).
١٢ - تسفون يروشلايم (النبي يعقوب الجنوبية).
١٣ - تلة الطائرة (جفعات هتموس).
١٤ - جبعون حداشاه (متسبية جبعون).
١٥ - هارجيلو (روتس جيلو).
١٦ - جبعات زئيف (جبعون).
١٧ - جفعات همفتار.
١٨ - جبعات هارادر .
١٩ - رامت كدرون (متسبية يهودا).
٢٠ - رومات هداسا.
٢١ - رامات أشكول.
٢٢ - راموت (النبي صموئيل).
٢٣ - سانهدريا مورحيفت.
٢٤ - عطاروت.
٢٥ - عنتوت (علمون).
٢٦ - كيدار (نيئوت أدوميم).
٢٧ - مفو مودعيم.
٢٨ - ميشور أدوميم.
٢٩ - معاليه أدوميم (أ).
٣٠ - معاليه أدوميم (ب).
٣١ - نهلات دفنا (معلوت دفنا).
٣٢ - نفي يعقوب.
٣٣ - جبعات هارادار.
٣٤ - هارادار (ب).
٣٥ - قرية داود.
٣٦ - مستوطنة جبل أبو غنيم.
٣٧ - معلوت دفنا.
٣٨ - جبعات هماتوس.
٣٩ - هار حوماه.
٤٠ - الحي اليهودي في القدس.
٤١ - منتزه كندا.

المسجد الأقصى

ومخططات التخريب والتهويد والسياسة:

قراءة توثيقية

د.مصطفى عطية جمعة
Mostafa_ateia123@yahoo.com



منذ سقوط القدس الشرقية في أيدي اليهود عام ١٩٦٧م، والصهاينة يسعون إلى تنفيذ مزاعمهم الدينية حول الهيكل، وحول تهويد القدس، وسنقوم برصد أبرز الاعتداءات على الأقصى ومحيطه في نقاط مركّزة، من أجل المزيد من التعرف التفصيلي على هذه الاعتداءات.

فعند سقوط المدينة، قامت إسرائيل بتغيير معالم القدس في الطرق وعملت على إزالة الأحياء والحارات العربية؛ بدعوى تيسير زيارة اليهود لحائط المبكى؛ فأزالت حارة المغاربة التي تُجاوِر المبكى، وبدأت في إجراء الحفريات حول المسجد الأقصى وتحته بدعوى البحث عن آثار هيكل سليمان، وهو ما هدد المسجد الأقصى في أساساته؛ فجرى توسيع الشوارع التي تخترق خط الهدنة، وتعبيدُها من جديد، وهدم ١٣٥ منزلاً عربياً في

حي المغاربة مقابل حائط المبكى، ثم افتُتِح القِطاع اليهودي في القدس الغربية وتم دمجه في القدس الشرقية، وحُلَّ مجلس البلدية العربية، وألحق ببلدية القدس، ودُمِجَت كل القطاعات المدنية العربية في منظومة الحكم الإسرائيلي[1]، في الوقت الذي انتابت اليهودَ في العالم عامة، وفي إسرائيل خاصة حالةٌ من الهوس الديني بسبب «نجاحهم المفاجئ، والعجيب في الوصول إلى المدينة القديمة (القدس الشرقية)».

لقد خاضت إسرائيل الحرب ضد مصر لأسباب بالغة الأهمية متعلقةٍ بالأمن، لكن إسرائيل ما إن خرجت منتصرة على جميع الجبهات، حتى بدت النتيجة الأشد مغزىً في عقول ومشاعر الإسرائيليين واليهود الآخرين؛ وهي أنَّ أطماعهم ليست قابعة في سيناء، بل في القدس»[2].

لقد وصل الاستهتار بإسرائيل إلى أنها أقامت عروضاً عسكرية في القدس، عام ١٩٦٨م، وقد صدر قراران من الأمم المتحدة في العام نفسه يأسفان لهذه التجاوزات، ولكن إسرائيل لم تأبه لهما.

واتخذت اليونيسكو - بحكم أنها مؤسسة دولية تتبع الأمم المتحدة تُعنَى بالحفاظ على الثقافة والتراث في العالم - قرارها في خريف عام ١٩٦٨م بمطالبة إسرائيل بالحفاظ على المتلكات الثقافية (الحرم القدسي والآثار الإسلامية) في القدس القديمة، وأكد مجلس الأمن في قراره رقم (٢٦٧) في ٣/ ٧ / ١٩٦٩م، على أهمية توقُّف إسرائيل عن إجراءاتها لتغيير وضع القدس، ولكن إسرائيل لم تنصع، ومن أمثلة تحدياتها السافرة: تحويلها «المدرسة التنكزية» - وهي إحدى مدارس القدس الشهيرة التي أنشأها المماليك عام ٧٢٩هـ - إلى مركز للشرطة العسكرية، دون أي نظر لطبيعتها الأثرية والثقافية[3].

وسبق لعصابات اليهود أن قصفوا المسجد الأقصى بالقنابل إبَّان حرب عام ١٩٤٨م؛ حيث استشهد بعض المصلين فيه، وعقب احتلال القدس عام ١٩٦٧م. وصرح وزير الأديان الصهيوني وقتها في مؤتمر ديني كبير عُقِد في القدس بأن: «أرض الحرم مُلْكٌ يهودي بحق الاحتلال وبحق شراء أجدادهم لها منذ ألفي سنة»[4].

وقد وقَّع وزير مالية إسرائيل في تلك الفترة قراراً باستملاك الحي المعروف باسم الحي اليهودي في القدس القديمة المحتلة؛ لقربه من المسجد الأقصى؛ والحقيقة أن هذا الحي - كما يقول علماء الآثار التوراتيون - مكمِّل لحائط المبكى، وكذلك يدَّعي التوراتيون أن التتمة الشرقية لحائط المبكى تقع تحت المسجد الأقصى، وأن القسم الجنوبي منه على مستوى أساساته. وهذا ادعاء شديد الخطورة؛ لأنه يعني هدم الأقصى؛ لإقامة الهيكل. وقد كان اليهود يدَّعون بعد حرب ١٩٦٧م أن هدم الأقصى سينهي تعلُّق المسلمين بالقدس، وهو ما يسهِّل نسيان القضية وإنهاءها تماماً من وعي المسلمين[5].

إن مراسم الاحتفالات عند حائط المبكى، والتخلصَ العاجلَ من حي المغاربة، وضمَّ القدس العربية، تمثِّل في عقول الإسرائيليين «إعلاناً ثانياً من الاستقلال السياسي والعاطفي، يضاهي إعلان قيام دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨م، واعتبر الرأي العام الصهيوني ضمِّ القدس عملاً لا يُقبَل التفاوض عليه ولا يمكن الرجوع عنه»[6].

وفي ١٦ أغسطس استولى الحاخام الأكبر في إسرائيل «راف فسيم» بصورة علنية على منبر كلية البنات العربيات القريبة من حائط المبكى، وجعل منه داراً للمحكمة الربانية، مدعياً أن هذه الدار كانت مجاورة لهيكل سليمان قديماً[7]. وهذا يعني مواصلة نهج محاصرة الحرم القدسي من كل الجهات، على أمل الانقضاض عليه.

و فور احتلال القدس الشرقية هرع «بن غوريون» في (٨ حزيران ١٩٦٧م) إلى حائط المبكى، وتطلَّع باشمئزازٍ إلى إشارة «البراق» المحفورة بالسيراميك وقال: «يجب إنزال هذا الشعار» فأُنزِل في الحال. ثم سارع زهاء مئتي ألف صهيوني

(١) تهويد فلسطين، إعداد وتحرير: د. إبراهيم أبو لغد، ترجمة: د. أسعد رزق، منشورات: رابطة الاجتماعيين بالكويت، ومركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، فبراير ١٩٧٢م، ص ٣٨٤.

(٢) تهويد فلسطين، مرجع سابق، ص٣٨٣.

(٣) راجع المعلومات السابقة في: فلسطين والقدس في التاريخ، إدارة المعلومات والأبحاث، بوكالة الأنباء الكويتية (كونا)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص١٥٩ - ١٦٠.

(٤) حريق المسجد الأقصى، د. ميشال غريب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٠م، ص٣٢، نقلاً عن جريدة الأخبار القاهرية عددي: ٢٢ - ٢٥ أغسطس ١٩٦٩م.

(٥) جريدة الأنوار اللبنانية، ٢٦ / ٨ / ١٩٦٩م.

(٦) تهويد القدس، ص٣٩٣.

(٧) جريدة الأنوار، ٢٦ / ٨ / ١٩٦٩م.

إلى المسجد الأقصى عبر طريق البراق الشريف وأدوا صلاة نزول التوراة، كما أدخل اليهود إلى الحرم الإبراهيمي خزانة فيها نسخة من التوراة (المحرفة) وبعض الكتب الدينية، وصلى اليهود في ساحة الحرم الإبراهيمي ستة أيام متتالية، وانسحبوا منه بعد معارضات شديدة من المسلمين، ولكنهم أبقوا على الخزانة بكتبها[1].

كما دعا الحاخام العسكري الأكبر «سلومو غورين» في أغسطس عام ١٩٦٧م المؤمنين من اليهود للصلاة في صحن الأقصى المبارك، وكان سيدعو صراحة خلال هذه الصلاة إلى إعادة تشييد الهيكل مكان الأقصى، ولكن خشيَت الحكومة الإسرائيلية من ثورة المسلمين، فألغت الدعوة[2].

ونجد أن جريدة نيويورك تايمز قد نشرت في ١١ حزيران عام ١٩٦٨م، خريطة مشروع إعادة بناء الأماكن المقدسة، وقد اختفى الحرم القدسي منها، وحل محلَّه صورةٌ لهيكل سليمان المزعوم[3].

الحفريات أسفل المسجد الأقصى:

سارت خطط اليهود في الحفريات - وقد سبقت الإشارة إلى بعضها - بهدف إضعاف أساسات المسجد



الأقصى ومن ثَمَّ تصدُّعه وتهاويه؛ ففي ١٨ يوليو عام ١٩٦٧م، بدأت الحفريات في آخر حائط المبكى الشمالي، وأُعلِن عن العثور على بقايا بناءٍ مجهولٍ (اتضح فيما بعد أنه من الآثار الإسلامية)، ثم واصلوا الحفر تحت المحكمة الإسلامية الشرعية المجاورة للأقصى شمال حائط المبكى. وفي يوليو عام ١٩٦٧م، استقدم المنقِّبون بلدوزراً للتنقيب بجانب أساسات الأقصى، وقاموا بنسف بعض البيوت الملاصقة للأقصى بمتفجرات عالية القوة. فاحتج على ذلك رئيس اللجنة الإسلامية العليا ورئيس الأوقاف وقتها الشيخ حلمي المحتسب، وأرسل رسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي، ولكن الأخير لم يعطِ الأمر اهتماماً.

جدير بالذكر أن اليهود يزعمون أسطورة عجيبة، ويؤمنون بها إيماناً مطلقاً، وهي أن تحت المسجد الأقصى ثلاثة أسوار، ضمنها غرفة مغطاة بالذهب الصافي، وأن هذه الغرفة حاوية للوصايا العشر التي خلَّفها النبي موسى، عليه السلام، وتدعى الغرفة: «قدس الأقداس» ولا حقَّ في دخولها إلا للحاخام الأكبر؛ فإن دخلها سواه وجب قتلُه[4]، وشاء الله أن يحفظ الأقصى، وظهر كذب هذه المزاعم عام ١٩٩٨م، بالإعلان عن عدم وجود أي آثار تدل على الهيكل، وقد أعلن في يوليو عام ١٩٩٨م فريق من علماء الآثار العاملين في دائرة الآثار الإسرائيلية بطلان الادعاء بأن: داود التوراتي، هو الذي أنشأ القدس، وقال العالم «روني ريك»: « آسف لأن السيد داود والسيد سليمان لم يظهرا في هذه القصة»، وترتب على ذلك رحيل فِرَق البحث الغربية والإسرائيلية إلى أماكن أخرى. ثم ظهر - بناءً على ذلك - اتجاه جديد يدعو إلى فصل العلاقة بين الآثار التاريخية وما جاء في الكتاب المقدس، باعتبار أن الكتاب المقدس التوراتي كتابٌ ديني روحي، بينما الآثار ملموسات مادية، ومن رواد هذا الاتجاه العلماء: «لاب، ودوفو، وديغر، وفرانكن، وهم رجال دين عاملون بالآثار»[5].

- وفي ٢٩ / ١ / ١٩٧٦م، أصدرت مجموعة الصلح الإسرائيلية في القدس قراراً استفزازياً يقضي بحق اليهود في أداء طقوسهم الدينية في ساحة المسجد الأقصى.
- وفي ٣٠ / ٧ / ١٩٨٠م، صدر إعلان ضمِّ القدس سياسياً للدولة العبرية، وإعلانها عاصمة موحَّدة أبدية لإسرائيل.
- وفي ٢٨ / ٨ / ١٩٨١م، قام موظفو الشؤون الدينية الإسرائيلية بحفر نفقٍ شمال حائط المبكى تحت المسجد الأقصى.

(١) جريدة الجمهورية المصرية، والفاينشيال تايمز البريطانية، في ٢٤ أغسطس ١٩٦٩م

(٢) جريدة لوفيغارو الفرنسية، عدد (١٨)، / ٨ / ١٩٦٧م.

(٣) جريدة نيويورك تايمز، ١١ / ٦ / ١٩٦٨ م.

(٤) جريدة الأهرام (القاهرية)، والحياة البيروتية، في ٢٤ / ٨ / ١٩٦٩ م.

(٥) انظر: القدس والآثار، م س.

• وفي ٢٥ / ٧ / ١٩٨٢م، تم اكتشاف مخطط أعده ياؤول ليرنر - أحد أتباع الحاخام المتطرف «مائير كاهانا» قائد حركة كاخ - لتدمير قبة الصخرة المشرفة.

• وفي ١٠ / ٣ / ١٩٨٣م، حاولت كتلة غوش أمونيم اليهودية الإرهابية السيطرة على الأقصى بالقنابل والرشاشات.

• وفي ٨ / ١٠ / ١٩٩٠م، قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بارتكاب مجزرة بحق المصلين في المسجد الأقصى، وذلك إثر قيامها بإطلاق النار عليهم في ساحات الأقصى بعد أداء الصلاة؛ حيث قتلت حوالي عشرين شخصاً وجرحت ١٥٠ آخرين.

• وفي ٢٤ / ٩ / ١٩٩٦م، قامت سلطات الاحتلال بافتتاح النفق الثالث تحت منطقة الحرم القدسي عشية عيد الغفران اليهودي، ويمتد هذا النفق حوالي ٤٠٠ متر تحت المجمع العربي الإسلامي مجاوراً لأساسات المسجد الأقصى.

• وفي ١ / ٦ / ٢٠٠٠م، يفاوض اليهود الفلسطينيين لإعطائهم قرية أبو ردس بديلاً عن القدس[1].

حريق المسجد الأقصى:

في شهر أغسطس عام ١٩٦٩م حدث حريق المسجد الأقصى، وهو الذي يعد الحلقة الأشد في مسلسل استهداف المسجد الأقصى، ومن المهم التوقف عنده بشكل تفصيلي، لمعرفة حجم الكارثة، ومدى التآمر اليهودي فيها.

فقد أقدم شاب أسترالي الجنسية، مسيحي الديانة يدعى: «دنيس مايكل روهان» على إحراق المسجد الأقصى في وضح النهار، بسكب مواد حارقة في أماكن متعددة في المسجد: (القبة، منبر صلاح الدين، السلالم)، وامتدت النيران إلى الأعمدة والمفروشات بسرعة، ولولا مسارعة المسلمين حول الأقصى لإطفاء الحريق، وحضورُ سيارت الإطفاء من الخليل ورام الله، لقضى الحريق على المسجد بأكمله؛ وخاصة أن سيارات الإطفاء الإسرائيلية وصلت بعد الحريق بساعة، في حين أن المسجد يقع في وسط المدينة. وعندما وصلوا لم يكن لديهم أجهزة إطفاء حديثة لمكافحة الحرائق ولا المواد الكيميائية اللازمة لهذا النوع من الحرائق، وما أكثرها في إسرائيل! فاستعملوا وسائل الإطفاء العادية؛ وهي خراطيم المياه.

لقد انتشى اليهود سعادة بعد سماعهم نبأ الحريق، وأسرعوا إلى ارتياد المسجد الأقصى شباناً وفتيات بالملابس الخلاعية؛ حيث أخذوا يرقصون ويلتقطون الصور. في حين ارتبكت السلطات اليهودية بادئ الأمر؛ حيث ادَّعوا أن الحريق ناتج عن احتكاك الأسلاك الكهربائية في المسجد، وهو ما اتضح زيفه؛ لأن الأسلاك معزولة تماماً طبقاً لتقارير هندسية، وأن المسجد فيه احتياطات فنية ضد كل حريق.

وتبيَّن بعد ذلك حجم المهزلة التي صنعتها إسرائيل،



وكيف أنها صاغت فصولاً من هذه الدراما المصنوعة من أجل إيهام العرب أنها بعيدة تماماً عن هذا الفعل؛ فقد صرَّح مفتي القدس في الآونة الأخيرة الشيخ «سعد الدين العلمي» أن السلطات الإسرائيلية أخذت منه بالقوة مفتاح أحد أبواب المسجد، في فترة سابقة، وثبت بعد ذلك أن الفاعل «دنيس» دخل المسجد بفتح أحد أبوابه، كما أن تعدُّد أمكنة الحريق في المسجد، يدل على أن هناك أشخاصاً آخرين كانوا مشتركين في الحادث، وذكر شهود عيان أنهم خمسة وليس واحداً.

وقد اشتدت ثورة العرب في القدس وما حولها، وهو ما دفع السلطات الإسرائيلية إلى أن تعلن أنها قبضت على الفاعل بعد سويعات من الحادث؛ وكأنها كانت على علم مسبق به. وأعلنت الشرطة أن الفاعل مسيحي من أستراليا، وأنه حضر إلى إسرائيل وأقام بها منذ خمسة أشهر في

(١) راجع المعلومات والتواريخ المذكورة أعلاه في كتاب: حاضر العالم الإسلامي (الآلام والآمال)، د. توفيق الواعي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص١٢٧.

إحدى المستعمرات، وهي مستعمرة «كيبوتس أولبان» التي تبعد أربعة وستين كيلو متراً إلى الشمال من تل أبيب، وأنه مختلٌّ عقلياً، ويعاني من هوسٍ ديني بسبب تأثُّره بأفكار متشدِّدة من جماعة يهودية، تدعى: (كنيسة الله) وكان عمره ثمانية وعشرين عاماً وقتئذٍ، وقد صرَّح والده في أستراليا بأن ابنه لم يكن على علاقة بأي حزب أو جماعة دينية أو سياسية طيلة حياته. وفي المحاكمة تظاهر «دنيس» بالجنون، وراح يتحدث عن أشياء خيالية، وروايات دينية، وزعم أنه أحرق الأقصى تنفيذاً لأمر من الله، وزعم أنه عضو نظامي في جماعة (كنيسة الله) منذ ثلاث سنوات، وأنه يؤدي لها ١٠ ٪ من دخله المادي (وهي ضريبة توراتية). وراح يسرد روايات طويلة من التوراة عن قبائل إسرائيل العشر الموزعة الآن في العالم، وغير ذلك من الأساطير؛ غير أن هذا الكلام يضاد ما ذكره السفير الأسترالي عن «دنيس»، وما ذكره والد دنيس عن ابنه. وقامت هيئة المحكمة بتحويل المتهم إلى أطباء نفسيين إسرائيليين، فأصدروا تقارير تثبت وجود حالة من الشذوذ النفسي والانحراف في شخصية دنيس (ازدواج شخصيته)، وهو ما استدعى وَضْعَه في إحدى المصحَّات للعلاج، وجاء حُكْم المحكمة بأن دنيس غيرُ مذنب، ويوصى بوضعه في مستشفى للأمراض العقلية[١].

خطط تهويد الأقصى وما حوله:

نتيجة المخططات اليهودية المتابعة، ووسط تقاعسٍ عربي إسلامي، نجحت المخططات اليهودية في تهويد القدس، ومن خلال الأرقام تظهر النتائج جليةً واضحةً؛ ففي عام ١٩١٧م – وكانت خطط التهويد في بدئها – كانت نسبة الأراضي التي يملكها العرب في القدس (٩٠ ٪)، وأربعة بالمئة فقط لليهود، وكانت نسبة السكان العرب في المدينة (٧٥ ٪)، في مقابل (٢٥ ٪) لليهود، والمجموع الكلي للسكان (٤٠,٠٠٠) نسمة.

أما إحصاء عام ١٩٩٤م، فتصل نسبة الأراضي التي يملكها العرب في القدس إلى (١٠ ٪) ويحاولون الحفاظ على (٤ ٪) أخرى، بينما يملكون اليهود النسبة المتبقية (٨٦ ٪). وأصبحت نسبة السكان العرب في القدس (٢٦ ٪) في مقابل (٧٤ ٪) لليهود، ومجموع سكان القدس كلها (٥٨٧,٠٠٠) نسمة[٢].

كما توسع المخطط اليهودي في المشروع الأخير الذي صدَّق عليه وزير الدفاع «إسحاق مردخاي» منذ سنوات لإقامة القدس الكبرى بالمفهوم الإسرائيلي؛ حيث تصل مساحتها إلى (٦٠٠ كم٢) أو ما يعادل (١٠ ٪) من مساحة الضفة الغربية كلها، والسعيُ إلى تهويد المدينة المقدسة كلِّها، عبر ربط المستوطنات الواقعة في المنطقة الشرقية وخارج حدود بلدية القدس مع المستوطنات داخل حدود بلدية القدس ومن ثَمَّ تحويل القرى العربية إلى مناطق محاصرة، مع إقامة أحزمة من الشوارع والأنفاق لربط هذه المستوطنات، وحَفْزِ اليهود على الإقامة في القدس؛ لمواجهة الزيادة العربية الكبيرة بسبب كثرة المواليد؛ حيث يحارب العربُ اليهودَ بسلاح الإنجاب، وتتوقع الدراسات السكانية أن يكون العرب أغلبية في القدس في حدود عام ٢٠٥٠م؛ حيث يشير بحث إسرائيلي إلى أن نسبة نمو السكان اليهود في القدس وصلت (١٤٠٪) في مقابل (٢٥٧٪) لدى العرب، وذلك منذ عام ١٩٦٧م[٣].

وازداد الأمر خطورة، مع الإعلان عن خطة «الحوض المقدَّس» التي تستهدف جَمْع المواقع الدينية اليهودية المزعومة في القدس، والتي لا يمكن التنازل عنها، في إطار جغرافي واحد، في مساحة تقدَّر بـ (٢,٥ كم٢)، ومن المقرر إنجازها عام ٢٠١٠م. كما اعتمدت السياسة اليهودية سياسة قدسية المكان؛ بهدف الاستيلاء على مواقع تاريخية في المدينة، وبالذات في ما يطلقون عليه الحوض المقدس، وتحويلها – بحكم القانون – إلى أماكن مقدسة يهودية، وفي إطار هذه السياسة حولت بلدية القدس أكثر من ٣٢٦ موقعاً إلى أماكن مقدسة داخل المدينة[٤].

أما سياسة تهويد الأقصى فهي تضم منظومة من السياسات، نعرض أبرزها:

- سياسة ما فوق سطح الأرض (ساحات المسجد الأقصى):

وتشمُل إجراءاتِ منع البناء، ومنع الترميم إلا بأذونات عبر إجراءات تعجيزية، وصدورَ قرار ما يسمى بمحكمة

(١) راجع: حريق المسجد الأقصى، ص ٣٨ – ٤٥؛ حيث ضمَّن روايات موثقة عن جرائد عربية وأجنبية، مثل: المحرر (بيروت)، الغارديان (بريطانيا)، الأهرام (القاهرة)، لوموند (باريس) وغيرها.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، ص١٢٧.

(٣) المشروع الصهيوني لتهويد القدس، د. خليل التفكجي، مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٧٥٦، يونيو ٢٠٠٦م (ملف القدس وأربعين عاماً في قبضة الأفعى)، ص١٥.

(٤) الحوض المقدس: أحدث مخططات السيطرة على القدس، عبد الرحمن فرحانة، مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٧٥٦، يونيو ٢٠٠٦م (ملف القدس وأربعين عاماً في قبضة الأفعى)، ص١٩.

العدل العليا بأن ساحة الأقصى تحت السيادة الصهيونية، والتخطيط لبناء كنيسين يهوديين في الزاويتين الشمالية: الغربية والشرقية.

- سياسة ما تحت ساحة الأقصى:

وهي من أعلى سياسات التهويد وتيرةً ومعظمها يجري في الخفاء، ومنها: حفر شبكات أنفاق متشعبة يصل طول بعضها إلى (٦٠٠م)، وبعضها يخطَّط لـه أن يصل إلى مقارِّ المباني الحكومية داخل المدينة. وبناءُ كنيس من طابقين في الزاوية الجنوبية الغربية، وتفريغُ الأرض لكشف أساسات الأقصى، واستخدامُ المذيبات الكيماوية للتأثير على أساسات المسجد، وإنشاءُ مبنى «قافلة الأجيال» الذي يحوي عدة غرف تتحدث عن التاريخ اليهودي. كما يسعون إلى بناء كنيس غرب ساحة الأقصى على مساحة (٥٠ م). كما قاموا بتركيب عشرات كاميرات المراقبة على أسوار المسجد لمراقبة المصلين، وتركيب أجهزة خاصة حول الساحات تُصدِر شحنات كهربائية لتفريق تجمعات المصلين داخل ساحات المسجد[١].

وكذلك هناك مخطط خطير يراد بالأقصى مستقبلاً يتضمن النظريات الآتية التي يمكن تنفيذ إحداها:

١ - نظرية الأعمدة العشرة:

وتدعو إلى بناء عشرة أعمدة بعدد الوصايا العشر قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى؛ بحيث تكون الأعمدة على ساحة المسجد حالياً، ومن ثَمَّ يقام عليها الهيكل.

٢ - نظرية الشكل العمودي:

تطالِب هذه النظرية بإقامة الهيكل قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى بشكل عمودي؛ بحيث يصبح الهيكل أعلى من المسجد مع ساحة المسجد من الداخل.

٣ - نظرية الترانسفير العمراني:

وتقوم هذه النظرية على فكرة حفر مقطعٍ التفافي حول مسجد قبة الصخرة بعمقٍ كبيرٍ، ونقلِ المسجد كما هو خارج القدس، وإقامةِ الهيكل مكانه.

٤ - نظرية الهيكل الكامل:

وهي تدعو إلى هدم الأقصى برمَّته، وإنشاء الهيكل مكانه[٢].

أما سيناريوهات القدس بوصفها عاصمة مستقبلية للدولة الفلسطينية، فتدور حول أربعة سيناريوهات، وهي:

نتيجة المخططات اليهودية المتابعة، ووسط تقاعس عربي إسلامي، نجحت المخططات اليهودية في تهويد القدس، ومن خلال الأرقام تظهر النتائج جلية واضحة.

السيناريو الأول:

ظهر عام ١٩٩٥م، ويدعو إلى تدشين عاصمة للفلسطينيين خارج القدس بمساحة (١٠) آلاف دونم، أما الأقصى والبلدة القديمة فيكوِّنان حياً من أحياء القدس اليهودية، على أن تدار من قِبَل مجلس منتخَب من الديانات الثلاث، ويرأس المجلسَ رئيسُ البلدية اليهودي، ونائبه يكون رئيسَ بلدية القدس العربية المفتوحة.

السيناريو الثاني:

برز عام ١٩٩٤م، وجوهره أن القدس مدينة واحدة مفتوحة للجميع، يرأسها يهودي. وتقسم إلى أحياء تُدار في شكل حكم ذاتي، لكنها تتبع البلدية الكبرى، أما الأماكن المقدسة - بما فيها الأقصى - فتدار من قِبَل الأديان المختلفة.

السيناريو الثالث:

تبلورَ عام ١٩٩٥م، ويدعو إلى إنشاء بلديتين: عربية ويهودية، تتبعان لبلديةٍ أعلى. والأحياء العربية تحصل على شبه استقلال ذاتي، أما الأماكن المقدسة للمسلمين - وخاصة الأقصى - فتدار بصورة مشتركة: فلسطينية أردنية يهودية.

السيناريو الرابع:

ظهر عام ٢٠٠٠م، وعرضه «إيهود باراك» في «كامب ديفيد ٢» على الرئيس الراحل ياسر عرفات، ويقضي بأنَّ ما تحت الأقصى يكون لليهود، وما فوقه يكون للعرب، على أن ينشئ معبدين يهوديين في ساحة الأقصى في الزاويتين: الشمالية الغربية والشمالية الشرقية[٣].

وبَعْدُ: هذه هي الصورة المستقبلية التي يخطط لها اليهود في فلسطين، بينما نحن نكتفي بدور المتلقي أو المستقبل، ضمن سياسة رد الفعل، لا الفعل، والله المستعان.

(١) المصدر السابق، ص٢٠.
(٢) المصدر السابق، ص٢٠.
(٣) المصدر السابق، ص٢٠.

حقيقة زيف الخلاف الأمريكي الصهيوني حول القدس

د. عدنان أبو عامر(*)



انشغلت الأوساط الفلسطينية والعربية والدولية خلال الأسابيع القليلة الماضية، بما قيل: إنه خلاف أمريكي صهيوني وصل حد «الأزمة» في علاقات الجانبين، بسبب إعلان حكومة «بنيامين نتنياهو» عن خططٍ استيطانيةٍ جديدة في قلب القدس المحتلة.

ولما كانت العلاقات السياسية والإستراتيجية بين واشنطن وتل أبيب ليست كباقي العلاقات بين أي دولتين في العالم، فقد ركّز الإعلام الصهيوني على حقيقة هذه العلاقات من جهة، و«ضآلة» تلك الأزمة التي تحدَّث عنها كثيرٌ من المحللين والمراقبين.

الشريان الاقتصادي:

تتعدد أوجه الدعم الأمريكي للصهاينة في مختلف مجالات الحياة، ولعل من أبرزها المجال الاقتصادي؛ حيث تحدَّث المحلل الاقتصادي البارز «سيفر بلوتسكر» قائلاً في صحيفة «هآرتس»: بدون الدعم الأمريكي لن يكون بوسع تل أبيب التفرغ لتنمية اقتصادها، وستضطر إلى شدِّ الحزام بألم شديد، في ضوء أن الحكومة السابقة بزعامة «إيهود أولمرت» تلقَّت من الرئيس الأمريكي السابق «جورج بوش الابن» وعداً بزيادة المساعدات العسكرية تصل إلى الربع؛ بمعدل ثلاثة مليارات دولار في السنة على مدى عقد من الزمان، من ٢٠٠٨ – ٢٠١٨، وبناءً على ذلك ارتفعت المساعدات السنوية إلى ٢,٨ مليار دولار، وستستمر في الارتفاع في السنوات القادمة؛ ومن ثَمَّ فإن أي أزمة حقيقية – وليست مفتعلة – بين واشنطن وتل أبيب، ستتطلب من الأخيرة القيام بعدد من الإجراءات القاسية، ومنها: تقليص المخصصات، الامتناع عن الاستثمار في البنى التحتية، تقليص الدعم للبحث والتطوير، كبح جماح الأجور.

ويخرج الباحث بخلاصة مفادها: أن الاقتصاد الإسرائيلي دون «المساعدات الأمريكية» سينمو بوتيرة أبطأ بكثير، ومستوى المعيشة فيها سيتوقف عن الارتفاع.

وفي المقابل، ركزت الدوريات الاقتصادية الصهيونية الصادرة مؤخراً – ومنها مجلة «غلوبس» – على أن الولايات المتحدة هي المشتري الأكبر للصادرات الإسرائيلية؛ حيث صدَّرت السنة الماضية للسوق الأمريكية منتجات بقيمة ١٧ مليار دولار، واستوردت منها بضائع بقيمة ٦ مليار دولار.

وقد أشارت الكاتبة «أورلي أزولاي» إلى أهمية المساعدات العسكرية المقدَّمة من واشنطن إلى تل أبيب؛ حيث تبلغ سنوياً ٢,٧٥ مليار دولار، مخصصة لشراء وسائلَ قتالية متطورة من إنتاج أمريكي.

كما أن الجيش الإسرائيلي مبنيٌّ معظمه – إن لم يكن كله – على الوسائل المتطورة من إنتاجٍ أمريكي؛ فالطائرات

(*) كاتب فلسطيني.

القتاليـــة (إف ١٦ وإف ١٥)، والمروحيـــات القتالية من طراز (أباتشي وكوبرا)، وطائرة النقل من طراز كرانف، ومروحيات (بلاك هوك ويســـعور)، وقطـــع الغيار، والقذائـــف الذكية، والأسلحة الأساسية، ووسائل الإنذار المبكر المتطورة، وأجهزة مضادات الطائرات، ومشـــروع حيتس الإســـرائيلي؛ كل ذلك بتمويل من المساعدات الأمريكية.

وذلك طبعـــاً إلى جانب حصول تل أبيـــب على منظومة الأقمـــار الصناعية الأمريكية وعلى الإنذارات المبكرة بإطلاق الصواريخ، والتعاون الاستخباري مع الأمريكيين، وتقاسمهما المعلومـــات الحرجة، مـــع وجود اتفاق أنه فـــي وقت الحرب تبعث واشـــنطن قطاراً جوياً بقطع الغيار والمعدات العسكرية والذخيرة إلى تل أبيب.

كما أن القـــدرات التكنولوجية العليا لتل أبيب في المجال العســـكري: كالمنظومات الاســـتخبارية، والقتال الإلكتروني، والتشـــفير، والجساسات... وما شـــابه، ما كان لها أن تصل لها بالصدفة، بـــل بفضل العلاقة الحميمـــة مع الصناعات الأمريكية، والاطلاع على التكنولوجيات العليا لديها.

نقد الاستيطان وبناؤه:

أثار الكاتب «شـــمعون شـــيفر» أبرزُ المحللـــين الصهاينة تســـاؤلاً غريباً يتضمن انتقـــاداً للازدواجيـــة الأمريكية في نقدها لبناء المســـتوطنات، وفي الوقت ذاتـــه تمويلها لإقامة هذه المشاريع الاســـتيطانية، فقال: بالإضافة لحيوية الدعم السياسي الأمريكي لوجود إســـرائيل، فإن المستوطنات التي يعتقد الأمريكيون أنه يجب إخلاؤها، قد بُنِيَت بالمساعدة التي هم أنفسهم منحوها لإسرائيل.

ويســـتذكر الكاتب ما حصل معه فـــي بداية الثمانينيات، حين سأله دبلوماســـي أمريكي قرأ عن خطةٍ لإقامة كتلة من المســـتوطنات في منطقة نابلس: من أين بالضبط ســـتأتون بالمال؛ فحكومتكـــم تتحدث عن ضائقـــة اقتصادية؟ أجابه: سيأتي منكم، أنتم الأمريكيين!

وثمة كاتـــب آخر هـــو «أليكس فيشـــمان» ذو الصلات الوثيقة مع المؤسســـة الأمنية استبعد حقيقة أن هناك خلافاً حقيقياً مع الإدارة الأمريكية، مطالباً بأن تكون مجرد «سحابة صيف» سرعان ما تنقشع. وأشار إلى أن السند الإستراتيجي الأمريكي هو الذخر الأمني الأكبر والأهم لدى تل أبيب اليوم، وبفضل هذا الذخر يمكنها أن تبقى على مدى الزمن برفاهيةٍ في ظروف المواجهة المتواصلة.

ويثير الكاتب تســـاؤلاً يحمل إجابته في مضمونه بقوله: لنقل: إن حكومة تل أبيب يمكنها أن تُطلِق ابتداءً من يوم غدٍ، طائرات ســـلاح الجو لقصف بعض العواصم المجاورة دون أن تُبْلِغ الإدارة الأمريكية أو تنسِّـــق معها، ولنقل: إن سلاح الجو جاهـــز لتنفيذ مهمـــات بعيدة المدى من هـــذا النوع، وإن في وِسْعِه أن يقدِّم إنجازات دراماتيكية؛ إذن ماذا؟ ماذا سيحصل بعد دقيقة من عودة الطائرات للبلاد؟ ماذا ســـيحصل بعد أن تتبدد سُـــحُب الدخان من فوق الأهداف؟ هل تل أبيب قادرة على ترجمة هذا الإنجاز العســـكري إلى إنجاز سياسي، دون الظهير الأمريكي؟

ويواصل أليكس فيشمان: هذا السند الإستراتيجي مبنيٌّ على سلســـلة طويلة جداً من التفاهمـــات والاتفاقات الأمنية التي وقعت على مدى الســـنين، ولا يـــدور الحديث فقط عن اتفاقات مكتوبـــة فقط؛ حيث توجد تقاليد بعيدة الســـنين، وعلاقات شخصية بين الزعماء، ومصالح اقتصادية أمنية.

ولذلك شهدت عشـــرات السنين الماضية نشوبَ خلافات صهيونية مع واشنطن، وهو شيء لا يُمنَع بين أفضل الأصدقاء والحلفـــاء، لكن الجديد ربمـــا هو أنه لم يجـــرِ التعبير عن هذه الخلافـــات علناً على مدى عام، بل بُحثت بســـرية بين ممثليهما.

سر العداوة:

لا بد أن نذكر هنا استطلاعاً للرأي أجراه معهد «غالوب» عـــن مكانة الكيان الصهيوني في الرأي العام الأمريكي، وكان التأييد آخـــذاً في الازديـــاد، وهو ما جعـــل الرئيس أوباما ومساعديه اليهوديين، أن يحلموا فقط بالضغط على تل أبيب؛ لأنهم أسرى رأيٍ عامٍّ مفرطٍ في المناصرة.

وبعد مرور أســـابيع قليلة - كما يذكـــر «بن درور يميني» - بدأت الأروقـــة الجـــامعيـــة الأمـــريكيـــة تعـــج بظـــاهـــرة معاداة الكيان الصهيوني، كما أن عدد النشـــرات المعادية للصهاينة بلغت حداً لم يســـبق له مثيـــل من قَبْل، ولـــم تعد عداوتهم محصـــورةً في النخب المثقفة... وهكـــذا لا يوجد أي تناقض بين اســـتطلاع الرأي عن موالاة الكيان ومعاداته في الدوائر الجامعية والإدارة الأمريكية.

أخيراً: إن ما حصل من أزمةٍ وجدت طريقها إلى وســـائل الإعلام بين إدارتَي: «أوباما ونتنياهو» تتجاوز الرجلين بكثير؛ لأن ما يجمع الكيانَين أكثر مما يفرقهما، والمصلحة الأساسية بينهما تتمثل في الإطاحة بأي مشـــروع إسلامي في المنطقة، وهو الأمر الذي يجعلهما يقفزان على أي خلاف.

أفيقي أمتي

أَفـيـقـي أُمَّـتي وخُـذي طَـريـقَـكِ لـلـعُـلا صُـعُـدَا
وهُـبِّـي وانْـهَـضـي قُـدُمـاً فـمَـنْ سَـلَـكَ الـعُـلا سَـعِـدَا
ولا تُـصْـغـي لِـمُـؤتَـفِـكٍ شَـقِـيٍّ يَـعْـشَـقُ الـزَّبَـدَا
أطـاعَ الـنـفـسَ والـشَّـيْـطـا نَ واسْـتَـخْـذَى ومـا رَشَـدَا

❊ ❊ ❊

أفَـيـقـي فـالـعِـدى كُـثُـرٌ وكُـلٌّ يَـبْـتَـغـيـكِ رَدَى
وقَـدْ جـاؤوكِ مِـنْ فَـوْقٍ ومِـنْ تَـحْـتٍ لهُـمْ عُـمَـدَا
لُـهـم زَجَـلٌ خَـبِـيـثُ الـنَّـفْـ ـسِ قَـدْ مَـدُّوا إلـيْـكِ يَـدَا:
يَـداً في كَـفِّـهـا فِـتَـنٌ، وأُخـرَى تَـفْـلـقُ الـكَـبِـدَا

❊ ❊ ❊

أَفـيـقـي فـالـزَّمـان يَـدُو رُ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ مُـجْـتَـهِـدَا
فَـيَـمْـنَـحُ كُـلَّ ذي لُـبٍّ هُـدَاهُ، ويَـمْـقُـتُ الـبُـلَـدَا
فَـمـنْ حَـيَّـاهُ مُـبْـتَـسِـماً، لِـرَبِّ الـعَـرْشِ قَـدْ سَـجَـدَا
أَطـابَ جَـنـاهُ مُـبْـتَـهِـجاً وَعُـدَّ لـذَاكَ في الـسُّـعَـدَا

❊ ❊ ❊

أفـيـقـي فَـالـطـريـقُ الـصَّـعْـ ـبُ يَـسْـهُـلُ إنْ مُـلِـئْـتِ هُـدَى
ويَـنْـجُـبُ فـيـكِ كُـلُّ فَـتًى أَصَـاخَ الـسَّـمْـعَ واجْـتَـهَـدَا
فَـهُـبِّـي مِـنْ رُقَـادِ الـذُّلِّ لا يَحْـزُنْـكِ مَـنْ جَـحَـدَا
وكُـونِـي بَـهْـجَـةً لِـلْـخَـلْـ ـقِ عُـودِي لـلـزَّمـانِ نَـدَى

❊ ❊ ❊

مَـــــروان كُـجُـك
mrkujuk@yahoo.com

أَفـيـقـي الآن فـالـبُـرْكـا ... نُ يُـنْـذِرُ ثـائـراً خَـمَـدَا:
إذا مـا كُـنْـتَ مُـنْـتَـظِـراً ... عَـدُوّاً يُـنْـصِـفُ الـبَـلَـدَا
فـأَشْـقَـى الـنـاسِ أَنـتَ إذَنْ ... وَلَـوْ أصـبـحْـتَ مُـعْـتَـمَـدَا
عَـدُوُّ اللّهِ مَـهْـمـا كَـا ... نَ عَـدْلاً خَـانَ مـا وَعَـدَا

* * *

أَفـيـقـي أُمَّـتي وذَرِي ... سَـبِـيـلاً أَوْهَـنَ الـعَـضُـدَا
وأَضْـحَـيْـنـا بِـهِ هَـمَـلاً ... وصِـرْنـا لـلـعِـداة صَـدَى
إذا شـاؤُوا لـنـا شَـيْـئـاً ... وقَـدُّوا جَـمْـعَـنـا قِـدَدَا
حَـمِـدْنـا فِـعْـلَـهـمْ وغَـدَوْا ... لَـنـا مِـنْ أَمْـرِنـا رَشَـدَا

* * *

أفـيـقـي أُمَّـتي فـالـلّـ ... ـهُ يَـمْـقُـتُ مَـنْ بِـهِ جَـحَـدَا
ويَـكْـتُـبُ نـصْـرَهُ لـلـطُّـهـ ... ـرِ يَـجْـعَـلُ عَـيْـشَـهـمْ رَغَـدَا
إذا اعـتَـصَـمُـوا بِحَـبْـلِ الـلّـ ... ـهِ عَـزَّ جَـمْـعَـهـمْ مَـدَدَا
وأَوْرَثَـهـمْ فِـجَـاجَ الأَرْ ... ضِ والأَغْـوارَ والـنُّـجُـدَا

* * *

أَفـيـقـي أُمَّـتي ولِـدِي ... رِجـالاً لـلـوَغَـى أُسُـدَا
وأبـطـالاً مَـيَـامِـنَـةً ... وعُـمَّـاراً لَـنـا جُـدُدَا
إذا عـزَمُـوا عَـلـى أَمْـرٍ ... رَأَوْا فـي الـلّـهِ مُـسْـتَـنَـدَا
فـلَـمْ يَـزِغُـوا ولمْ يَـهِـنُـوا ... وجَـدُّوا في الـعُـلا صُـعُـدَا

* * *

[المسلمون.. والعالم]

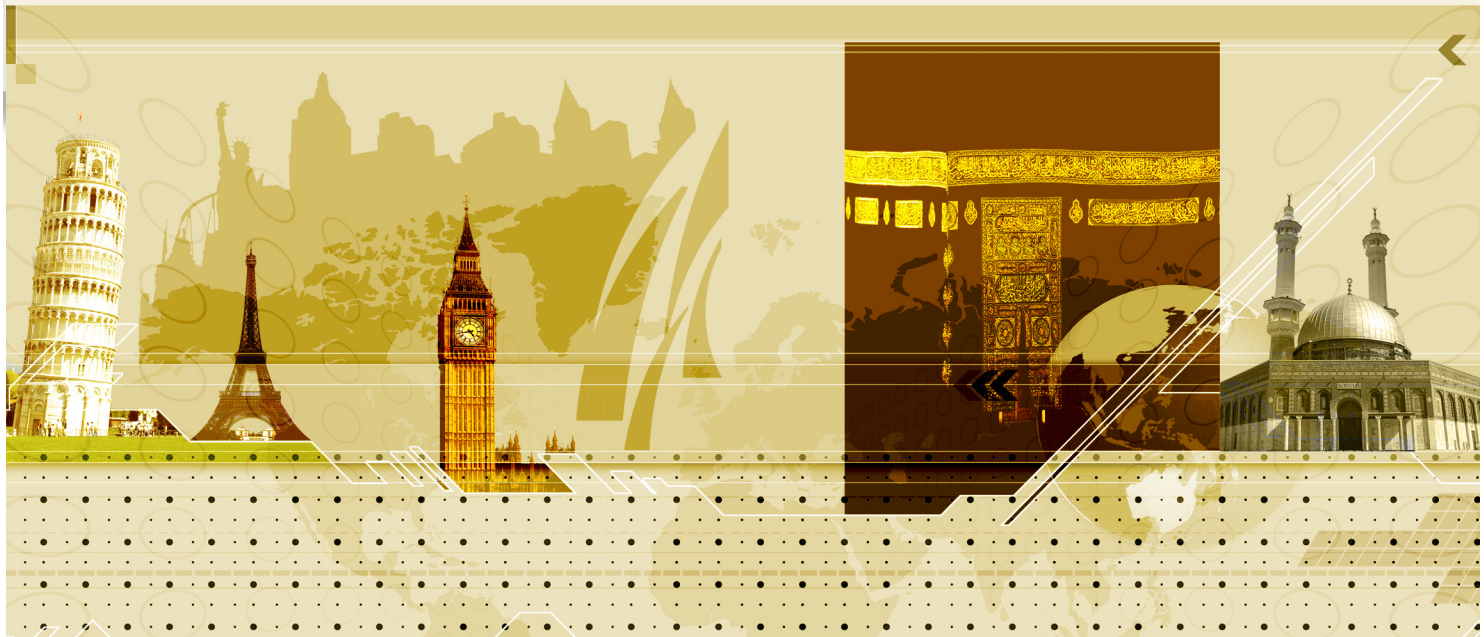

النموذج العراقي... من التالي؟
أحمد فهمي

كيفية الخروج من المستنقع الأفغاني
خواجة محمد العصامي

ربيع ساخن في باكستان
د. محمد علي غوري

مرصد الأحداث
جلال الشايب

جديد

مجلة البيان

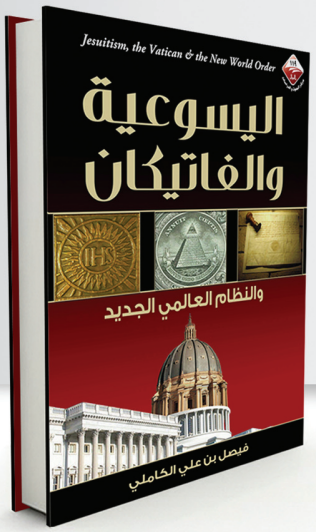





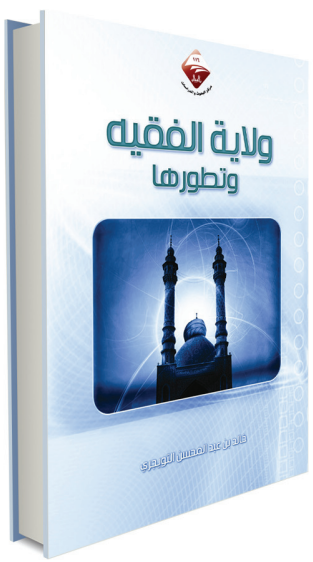





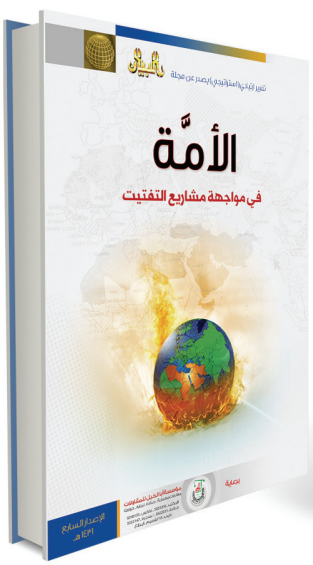

تحت إشراف / د. محمد بن عبد الله الدويش

النموذج العراقي... مَن التالي؟ (٢-٢)

أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

اللاعب الإيراني:

«فتِّش عن إيران»... هذه المقولة واقعية جداً في المشرق العربي والإسلامي؛ إذ لم يعد ممكناً فصل إيران أو استبعادها في أي أزمة سياسية: في فلسطين، ولبنان، واليمن، والعراق، وأفغانستان...

«ولا تفتِّش عن العرب»؛ لأنه لا توجد قوة عربية أو (إسلامية) تمتلك تأثيراً مماثلاً في تلك الأزمات، بل يمكن القول: إن القوى العربية مجتمعة لا توازي الحضور الإيراني في الأزمة العراقية (كمثال).

وقد تحدثت في مقال سابق نُشِر في البيان (عدد ٢٧٠، بعنوان: الرباعية الإيرانية في المرمى الأفغاني) عن الإستراتيجية الرباعية التي تتبعها إيران في أفغانستان، وهي الإستراتيجية ذاتها التي تطبَّق في العراق، والخطوط العامة نفسها مع اختلاف في التفاصيل، وهي:

١ - التواصل:

تتميز إستراتيجية طهران في العراق بأنها كتلة من المتناقضات التي يصعب فهمها حتى على كثير من مراكز الدراسات الغربية؛ فهي إستراتيجية طائفية ولكنها براغماتية؛ تتوافق مع الاحتلال الأمريكي وتدبِّر له المكائد، وتحتضن القوى الشيعية وتُشعِل الصراعات بينها، وتتآمر على العرب السُّنة وتمد جسور التواصل مع بعض قواهم.

قبل خمسة أعوام أصدرت مجموعة الأزمات الدولية دراسة بعنوان: «إيران... ما مدى النفوذ في العراق؟» وخلصت الدراسة بعد استقصاءات وحوارات وتحقيقات ميدانية إلى أن أغلب ما يقال عن تغلغل إيراني في العراق هو محض مبالغة. والآن لا توجد أدنى مبالغة في القول بأن السياسة العراقية تعوم على «بحيرة» إيرانية.

ويكمن التميُّز الإيراني في القدرة الهائلة على تكوين علاقات تتجاوز أي خلافات عقدية أو تاريخية، حتى وإن اصطبغت بالدماء في بعض محطاتها، وينطبق ذلك على علاقة الحرس الثوري مع مجموعات القاعدة وجماعات إسلامية كردية، مثل أنصار الإسلام، كما ينطبق على العلاقة مع التيار الصدري التي تطورت من مرحلة العداء التاريخي إلى أن أصبحت إيران الملاذ الآمن لزعيم التيار مقتدى الصدر، الذي يقبع هناك بحجة مواصلة «بحث الخارج»، وهو المرحلة الأخيرة من التعليم الحوزوي الذي يصل به إلى رتبة الاجتهاد ولقب «حجة الإسلام».

لكن حقيقة الأمر أن الصدر لا يأمن على نفسه في العراق بعد أن سَعَّر رئيس الوزراء نوري المالكي حرباً على تياره ممثَّلاً في جناحه العسكري جيش المهدي. هذا الجيش الذي تخترقه قوات القدس الإيرانية حتى النخاع، وبينما تلقَّت مجموعات تابعة له التدريب والسلاح من إيران، تولى المالكي تصفية هذه المجموعات محتفظاً في الوقت ذات بعلاقة متينة مع طهران، تتذبذب أحياناً ولكنها تبقى في اتصال.

وعندما تأزمت العملية الانتخابية وازدحمت كافة القوى السياسية عند عتبة «تسمية رئيس الوزراء»، تلفَّت الجميع إلى القبلة الإيرانية للتباحث والتشاور في ظل الولي الفقيه، ولم يسلم من ذلك العَلماني «إياد علاوي»، الذي وجَّه لوماً وعتاباً إلى طهران؛ كونها لم توجِّه له الدعوة للتشاور حول الرئيس القادم كما فعلت مع بقية القوى، وهذا المستوى من «لمِّ الشمل» وجَمْع الخيوط في باقة واحدة، لم تصل إليه حتى سلطات الاحتلال الأمريكي في العراق.

٢ - الانتظار:

قبل عشرين عاماً (١٩٩٠م) كان مجرد الاشتباه في علاقة أحد الأشخاص بجهة إيرانية كفيل بأن يتلقى رصاصة الرحمة بواسطة الأمن العراقي الصدامي، وبعدها بعامين (١٩٩٢م)، قمع صدام حسين تمرداً شيعياً مدعوماً من إيران أدى إلى هروب عدد كبير من القيادات ورجال الدين إلى إيران، ثم بعد ذلك بعام (١٩٩٣م) خضع الحزام الشيعي للحماية الغربية وبدأ التسرب الإيراني بهدوء، وقبل سبعة أعوام (٢٠٠٣م) لم تكن هناك علاقة ديبلوماسية بين طهران وبغداد.

أما الآن، فتعد إيران الشريك التجاري الأول للعراق، وتمتد شبكات المؤسسات الخيرية والاستخباراتية التابعة للحرس الثوري في كل مكان بأرض الرافدين، كما تضم قوات الأمن والجيش بين صفوفها آلافاً من عناصر الميليشيات الشيعية التي تلقَّت تدريبها في إيران أو على أيدي ضباط الحرس الثوري، وبحسب تقدير الأخضر الإبراهيمي فإن نسبة هؤلاء تصل إلى ٨٠ ٪، كما أن قوة حماية المرقدين في النجف وكربلاء يشرف عليها ضباط من الاستخبارات الإيرانية، وتُعدُّ العناصر «النائمة» و «الصاحية» التابعة للحرس الثوري في ربوع العراق بعشرات الألوف.

إن المشكلة هنا أنه لا توجد أي وسيلة معروفة لوقف العلاقة المتينة بين المكاسب الإيرانية وعامل الزمن؛ فالأمر أشبه بالساعة السكانية التي لا تتوقف أبداً، وبينما تتحدث واشنطن عن سحب قواتها من العراق في الأمد المنظور، فإنه لا توجد أي بارقة أمل في جلاء الاحتلال الإيراني عاجلاً أو آجلاً، والأنكى أن المقاومة العراقية تتركز على الاحتلال الأمريكي مع إعراض تام عن التغلغل الإيراني ما ظهر منه وما بطن، وبعض قادتها (المقاومة) يفترضون أن العراقيين سيكونون قادرين على حل أزماتهم بأنفسهم بمجرد الانسحاب الأمريكي!

٣ - التحريك:

وداد فرنسيس مستشارة الحاكم الأمريكي السابق في العراق بول بريمر، تنقل عنه قوله: «أشعر دائماً أن مجلس الحكم مخترق لصلح إيران كلما نظرت إلى عمامة عبد العزيز الحكيم».

«عمامة الحكيم» التي تسيطر عليها إيران تحمل مغزىً مهماً؛ فهي تجمع ما بين الديني والسياسي، وكلاهما يخضع للنفوذ الإيراني، وقد تتابعت على زعامة المجلس الأعلى ثلاثة عمامات يكشف حالها عن تغيُّرٍ في الإستراتيجية الإيرانية تجاه الكتل الشيعية:

العمامة الأولى: محمد باقر الحكيم، وكان يجمع بين المرجعية الدينية والزعامة السياسية بكفاءة.

والعمامة الثانية: عبد العزيز الحكيم؛ حيث الكفاءة السياسية والضعف الديني.

العمامة الثالثة: عمار الحكيم، الذي جمع بين العجز السياسي والضعف الديني.

هذا الاتجاه «الهابط» في مستوى زعامة المجلس أحدث ارتباكاً مؤقتاً في طهران؛ كون المجلس يمثل الذراع القوية التي

تكلَّفت مئات الملايين من الدولارات في بنائها وتجهيزها، ولكنها تتعرض الآن للشلل بسبب الزعامة الجديدة (عمار) الذي كان الصدريون يطلقون عليه لقب: «كتكوت الحوزة»، واتسع الخرق «المجلسي» مع تململُ قياداته من قائدهم (الحكيم)، وبروز خلافات على السطح مع جلال الدين الصغير وغيره.

وكان البديل المطروح هو سرعة احتواء التيار الصدري المنافس الشرس للمجلس، وبعد سلسلة من الصراعات، والمعارك، وحروبِ الاستنزاف، وعمليات الاختراق التي بدأت قبل تفشِّي مرض «سرطان الرئة» في جسد عبد العزيز الحكيم، تم تأمين الصدريين على مستوى القاعدة والقيادة، وتحوَّل التيار الصدري إلى كتلة «متآلفة» مع المجلس في تحالفٍ سياسيٍ واحد خاض انتخابات عام ٢٠٠٥م وعام ٢٠١٠م، ويتزعمه في طبعته الأخيرة: عمار الحكيم.

تَكَشَّف بُعْد النظر الإيراني عندما نجح التيار الصدري في حصد ٤٠ مقعداً في الانتخابات الأخيرة، وكان المشهد معبِّراً في إيران؛ حيث اجتمع قادة المجلس مع قادة الصدريين بزعامة مقتدى، على خلفية الاحتفال بعيد النيروز الفارسي، ولم يلبث أن طار إلى مرافقتهم وفد المالكي.

وبعيداً عن تيارَي الصدر والحكيم وبعض الأحزاب الشيعية الصغيرة، فإن نوري المالكي يظل بالنسبة لطهران خِياراً ثالثاً محتمَلاً وليس مهملاً، وقد ترعرع المالكي سياسياً في إيران إبَّان حقبة الثمانينيات ضمن قيادات حزب الدعوة قبل أن ينسحب مع بعض رفاقه لاحقاً من إيران إلى سوريا، بسبب خلافات حول انضمام الحزب إلى المجلس الأعلى.

ويلخِّص السفير الأمريكي السابق في العراق رايان كروكر إستراتيجية إيران في تحريك حلفائها الشيعة، بقوله: «بناءً على ما أراه على الأرض، أعتقدُ أنهم يسعون إلى وجود دولة يستطيعون بوسيلة أو بأخرى السيطرة عليها وإضعافها إلى الحد الذي تستطيع معه إيران تحديد جدول أعمالها»[1].

إن هذا المفهوم يشكل تناقضاً؛ فطهران لا تحرِّك أتباعها في العراق من أجل تأسيس دولة قوية، ولكنها تحركهم من أجل إبقاء العراق في مستوى من الضعف يمكِّنها من السيطرة عليه كليّاً؛ لذلك يمكن مع تدقيق النظر ملاحظة أنه لا تُبذَل جهودٌ حقيقية من قِبَل الإيرانيين لجمع كلمة الشيعة في العراق؛ لأن تَفرُّقَهم يخدم مصالح طهران أكثر من تجمُّعهم.

(١) موقع صوت كردستان: ١٨ / ٨ / ٢٠٠٧م.

محدِّدات لفهم العملية الانتخابية في العراق:

كيف نفهم تعقيدات الأزمة الانتخابية في العراق وما تتضمنه من خلافات وإشكالات حول تشكيل الحكومة وتوزيع مناصبها؟

على ضوء ما ذُكر سابقاً عن إستراتيجية اللاعبَين الرئيسيين في العراق: (أمريكا - إيران)، يمكن تكوين عددٍ من المحددات التي تُعِين على فهم العملية الانتخابية واستيعابها في العراق بعيداً عن جدليات التحالفات وصراعات الكتل:

أولاً: صلاحيات الحكومة والبرلمان محدودة وتتقاطع مع مناطق نفوذ متعددة مستقلة:

إن القرار السياسي لدولة العراق لا يجري اتخاذه في أروقة البرلمان، أو في مكاتب رئاسة الوزراء، أو غرف مؤسسة الرئاسة؛ فهناك حسابات وتوازنات وقوى أخرى تشارك في اتخاذ القرار في أعلى مستوياته وأدناها على السواء. وفي مقدمة أولئك المشاركين النفوذ الأمريكي كقوة احتلال؛ حيث المستشارون الأمريكيون حاضرون في كافة الوزارات، كما يلعب القادة العسكريون دوراً بارزاً في إدارة الشؤون العامة واليومية، وهناك خطوط حمراء مرسومة للمسؤولين لا يمكن لهم تجاوزها، وما يصدر من صرخات اعتراض هنا أو هناك هي مجرد زوبعة في فنجان؛ فمن لا يعجبه الأمر أو يفقد تأثيره فعليه أن ينصرف من «اللعبة» السياسية، أو يُصرَف عنوة، كما حدث مع الحزب الإسلامي الذي حصد من خلال كتلته «التوافق» ٤٤ مقعداً في انتخابات عام ٢٠٠٥م، وعندما انتهى دوره في دَفْع العرب السُّنة للمشاركة في العملية السياسية لم يُسمح له بأكثر من ٦ مقاعد في انتخابات ٢٠١٠م.

يأتي بعد ذلك النفوذ الإيراني على كافة المستويات وفي مختلف المؤسسات والأجهزة، ثم الحكم الذاتي الكردي؛ حيث لا مجال لفرض قرارات سيادية على كردستان لا يوافق عليها تحالف «طالباني - بارزاني».

وقد صاغت الإدارة الأمريكية النظام السياسي العراقي بطريقة تزيد في عرقلته وتعقيده؛ حيث يحق للرئيس أو نائبيه الاعتراض على أي قانون يقره البرلمان بالأغلبية، فيعيده لتعديله.

وهناك مجالس المحافظات التي تتمتع بصلاحيات واسعة، كما أن الدستور يقر نظام الفيدرالية المعلق حتى الآن؛

حيث تختلف القوى السياسية في تفسيرها لمفهوم الفيدرالية وحدودها، وهو نظام في حال تطبيقه سيحوِّل مؤسسات الدولة المركزية إلى هياكل مجوفة فاقدة التأثير.

وجدير بالذكر أن إيران تستطيع أن تنقل لأتباعها في العراق خبرتها العريقة في التعامل مع أجنحة متعارضة داخل جهاز الدولة، وتقدِّم تجربةُ الرئيس السابق (محمد خاتمي) تصوراً دقيقاً عن تلك الخبرة؛ حيث لم يمنع وجود رئيس إصلاحي على رأس الجهاز التنفيذي من سيطرة المحافظين على المفاصل المهمة للدولة وتحويل خاتمي إلى واجهة هشة، وكذلك فإن وجود رئيس حكومة عَلماني موالٍ للأمريكيين، لن يعرقل الأجندة الإيرانية في العراق؛ ولذلك وجَّهت طهران تابعها الأول (عمار الحكيم) لكي يعلن في تصريح مفاجئ أنه لن يشارك في حكومة لا يشارك فيها علاوي... أليس الأمر مشوقاً؟

ثانياً: مدة الحكومة والمجلس خمس سنوات فقط:

ويعني هذا أنه بعد أربع سنوات سيبدأ ضجيج الانتخابات من جديد، وبعد ثلاثة أعوام سيرتفع صراخ المتنافسين على انتخابات المحافظات؛ أي أن فوز إحدى الكتل بأغلبية مقعد أو اثنين ليس نهاية العالم.

إن هذه المدد القصيرة للحكم ينظر إليها كثيرون على أنها من مثالب الديمقراطية، وهي تتسبب في اختزال الانتماءات الكبرى ونموِّ الانتماءات الصغرى، وبمعنى آخر: تتنامى المصالح الشخصية حتى تستحوذَ على مصالح الدولة أو الطائفة أو الحزب، وهو ما كان ملموساً بقوة في سنوات «الديمقراطية العراقية» السابقة، سواء في حقبتها الجعفرية أو المالكية.

ومن الانتقادات الموجَّهة إلى النظام السياسي العراقي أن قيمة رواتب وبدلات ومكافآت مسؤوليه لا تتناسب مع الأحوال الاقتصادية لعموم البلد؛ إذ تبلغ ميزانية مجلس النواب – على سبيل المثال – عدة مئات من ملايين الدولارات، وفي ظل غيبة رقابة مالية نزيهة تتعدد وسائل الكسب غير المشروع. وهذه كلها حوافز لتكالب مختلف القوى والأشخاص على الفوز بنصيب من الكعكة العراقية.

ونظرة متفحصة إلى الحراك السياسي الدائر حالياً تؤكد هذا التحليل؛ فالإئتلاف الوطني الشيعي «تفسَّخ» إلى شقيه «الصدري» الذي «صَدَّر» الخلاف لجماهيره؛ فنَظَّم انتخابات فرعيةً بينهم لاختيار رئيس الوزراء القادم، و «الشق المجلسي» شرع في تبادل الغزل مع علاوي، بينما يترقب قادة الائتلاف عادل عبد المهدي، وحسين الشهرستاني، أيَّ منصبٍ يلوح في الأفق.

أما قائمة المالكي فيسودها التململ؛ فقائدها حصد العدد الأكبر من الأصوات في الانتخابات، والتي تجاوزت ستمائة ألف صوت في بغداد، إلا أن تمسُّكه بمنصبه قد يتسبب في خسارة كبيرة للإئتلاف؛ لذا يترقب هؤلاء أي إشارة من هنا أو هناك لدفع مرشَّح آخر للمنصب بخلاف المالكي.

والأكراد لم يَسلَموا من الحسبة المعقَّدة: فحزب الطالباني خسر ثمانية مقاعد بسبب تيار التغيير المنشق، وهو ما أضعف موقفه مع حليفه (أو غريمه) حزب البارزاني؛ لذلك هناك احتمال أن يخسر الطالباني رئاسة الجمهورية التي يطمح إليها في مقابل تولِّي هوشيار زيباري (حليف البارزاني) رئاسة مجلس النواب، تاركين المنصب الآخر لمرشح عربي سُني.

أما العرب السنة فهم الخاسرون الحقيقيون في هذه الانتخابات؛ فهم لا في العير ولا في النفير، وأي مرشح يقدمونه لأي منصب (رئيس الجمهورية أو نائبه)، لا بد أن يوافق عليه الشيعة، ويكفي أنهم حذفوا ذاكرتهم واختاروا إياد علاوي الذي أشرف على مذابح الفلوجة.

ثالثاً: لا توجد خطوط حمراء في مجال التحالفات السياسية:

في عام ٢٠٠٥م تحالف المجلس مع التيار الصدري مع حزب الدعوة، وهذه الأطراف الثلاثة لها تاريخ حافل من الصراع، وكان أنصار الدعوة والمجلس يتقاتلون في مدينة قُم الإيرانية على خروج مواكب العزاء في محرم إبان مرحلة المنفى، وحتى احتلال العراق. ولم تنقضِ أعوام قليلة بعد انتخابات عام ٢٠٠٥م حتى انفرط عِقْد التحالف فخرج الصدريون، ثم تكتل المالكي مع آخرين ليشكل «ائتلاف دولة القانون»، مدشناً صراعاً دموياً مع الصدريين، وفي الانتخابات الأخيرة عاد المجلس ليتحالف من جديد مع التيار الصدري، بينما توجه المالكي صوب السُّنة محاولاً اختراقهم عن طريق مجالس الصحوة (التي كان يعترض بشدة على ضمِّ عناصرها إلى قوات الجيش والشرطة)، ولكنه أخفق؛ حيث «غفت» الصحوة عميقاً ولم تَفُز ولو بمقعد واحد يريح المالكي من غيظه من «إياد علاوي».

وعندما أدرك المالكي افتقاره إلى دعم منافسيه الشيعة الذين أدار لهم ظهره قبل أعوام، يمَّم صوب طهران محاولاً استرضاء الصدريين واستمالتهم، وبدأ بعضهم يروج لاحتمال ترشيح محمد جعفر الصدر، الحصان الأسود لدولة القانون، الذي كان ترشُّحه مفاجأة؛ فهو ابن المرجع الشيعي المعروف محمد باقر الصدر، وقد حصل على المركز الثاني في عدد الأصوات في بغداد، ومن المعروف أيضاً أن زوجة مقتدى الصدر هي أخت جعفر الصدر، وربما من أجل ذلك وضعه قادة التيار ضمن قائمة رؤساء الوزارة المقترحين في استفتاءٍ داخل التيار لاختيار أصلحهم، وهم بالإضافة لجعفر: علاوي، وإبراهيم الجعفري، والمالكي، وعادل عبد المهدي.

وخلاصة ما هنالك أنه لا يمكن القول بوجود خطوط حمراء على تحالف جهة شيعية مع أخرى، ومع الغزل المتبادل بين التابع المخلص لإيران (عمار الحكيم) والتابع المخلص لواشنطن (إياد علاوي) انكشفت الحقيقة المرة.

إن الأمر في مجمله يعود إلى «حسبة» المصالح المتوقعة من أي تحالف، وما يتردد عن تمنُّع بعضهم إنما هو لتعظيم الثمن وتكثير المكاسب، ولو كانت الدماء تحول دون إتمام التحالفات لَـمَا «ائتلف» الصدريون مع «الحكيميين» في تحالف واحد.

رابعاً: التقلبات الحادة سِمَة الحياة السياسية:

من مجلس النواب السابق، لم ينجح في الانتخابات الأخيرة سوى ٦٣ نائباً (وعدد نواب المجلس القادم ٣٢٥ نائباً) وسقط عدد كبير من المشاهير، أبرزهم جلال الصغير أحد الحاقدين على العرب السُّنة، ولم يحظَ إلا بـ ٢٦ صوتاً فقط، ورفيقه في المجلس الأعلى همام حمودي لم ينَل غير ٥٠ صوتاً، رغم أنه كان رئيس لجنة كتابة الدستور في البرلمان السابق.

ولا توجد فترة صلاحية لأي تحالف أو تكتل شيعي، وقياساً على الانتخابات السابقة، فإن عُمُر التحالف لا يتجاوز عاماً أو عامين؛ فهي كلها ائتلافات «فك وتركيب» قابلة لإعادة صياغتها وَفْقَ المعطيات المتجددة دوماً.

خامساً: غلبة البواعث الدينية على الناخب الشيعي مقارنة بالناخب السُّني:

لا تزال البواعث الطائفية هي المسيطرة على الناخب الشيعي؛ فالأحزاب التي يختارها كلها أحزاب دينية لها ماضٍ عريقٌ من التعصب الطائفي: كالمجلس الأعلى، والتيار الصدري، وحزب الدعوة بتفريعاته المختلفة، والفضيلة... إلخ.

لا تزال البواعث الطائفية هي المسيطرة على الناخب الشيعي؛ فالأحزاب التي يختارها كلها أحزاب دينية لها ماضٍ عريقٌ من التعصب الطائفي

والأسماء الخمسة التي طرحها الصدريون لرئاسة الوزراء، أربعة منهم ينتمون إلى أحزاب دينية.

وفي المقابل تخلَّى العرب السُّنة الذين يعيشون حالة من التخبط وافتقاد الزعامات، تخلَّوا عن تأييد الأحزاب الدينية بعد أن تعرضوا للخذلان من الحزب الإسلامي، وكانت النكاية في توجههم صوب تحالُف عَلماني يترأسه شيعي، حتى إن قادة الائتلاف الوطني يَصِفون علاوي بأنه «مرشح العرب السُّنة».

سادساً: النظام الانتخابي العراقي «المُفلتَر»:

يمكن النظر إلى النظام الانتخابي العراقي بوصفه نظاماً «مُفلتَراً»، بمعنى أن المرشحين يمرون من خلاله في عدد من «الفلاتر» (أي: المُرشِحات الانتخابية) التي تضمن عدم وجود مفاجآت غير محسوبة، وهي:

«**الفلتر» الأول:** يتمثل في هيئة اجتثاث البعث، التي تحولت إلى لجنة العدالة والمساءلة؛ ومهمتها تنحية المغضوب عليهم لتحقيق التوازن الأوَّلي في خريطة المترشحين، ومن الطريف أن رئيس اللجنة «علي اللاَّمي» كان هو نفسه مترشحاً للانتخابات ولكنه خسر ولم يحصل على أكثر من ٦٩٧ صوتاً، لتتحقق العدالة بصورة أخرى. (يلزم أن يحصل المترشح على ١٠٠ ألف صوت على الأقل ليفوز بأحد المقاعد).

ويبدو أن هذه اللجنة «اقتباس إيراني»؛ حيث يتولى «مجلس تشخيص مصلحة النظام» غربلة المترشحين لمجلس الشورى الإيراني، أو لمنصب الرئاسة.

«**الفلتر» الثاني:** هو نظام التصويت وعدِّ الأصوات وفرزها الذي يستغرق أسبوعين تقريباً خلافاً للأنظمة المتبعة في دول العالم الديمقراطية وحتى الملتحفة بها، وهي مدة تسمح لكل من تسوِّل له نفسه (أو يتوسل إليه غيره) أن يُعيد ترتيب الأوراق ويُجري عملية قصٍّ ولصقٍ لتغيير النتائج، وقد انتقد محافظ كربلاء «آمال الدين الهر» الآلية الانتخابية التي تضمَّنت اضطلاع شركات أجنبية بعملية الفرز الإلكتروني، مردداً مطلب «ائتلاف دولة القانون» بإعادة الفرز اليدوي.

ومـــن الطريف تعـــرُّض الانتخابات في أفغانســـتان لمواقف مشـــابهة؛ فقد اتهم الرئيـــس الأفغاني حامد كـــرزاي المراقبين الأجانب في انتخابات الرئاســـة الأخيرة بالتلاعب في النتائج في محاولة لإضعافه، كاشفاً أن من يُفترَض بهم الحكم على مصداقية الانتخابات هم من يزوِّرونها، في تعريضٍ واضحٍ بدور واشنطن.

«**الفلتر» الثالث:** هو مؤسســـات إعادة التفسير والتأويل: مثـــل المحكمة الاتحادية، وهي تتولى حـــلَّ المنازعات وتقديم التفسيرات الدســـتورية للإشـــكالات الانتخابية، كما حدث عندمـــا أيَّدتْ ادعاء نوري المالكي بـــأن الحائز على الأغلبية البرلمانية لا الانتخابية، هو الذي يكلَّف بتشكيل الحكومة.

«**الفلتر» الرابع:** هو الملفات السرية التي يجري إبرازها لاحقاً ضد أي نائب يتجاوز الخطوط الحمراء، فيعلو صوته وترتفع نبرته فوق المسموح، وعادة ما يكون هؤلاء من العرب السُّنة؛ حيث يجري اتهامهم بدعم وتمويل الإرهاب كما حدث مع محمد الدايني.

النموذج العراقي... مَن التالي؟

بعـــض برامـــج الكمبيوتر يجري طرحهـــا في إصدارات للدعاية تُتيح اســـتخداماً محدوداً فقط، وتُســـمَّى «نســـخة للعرض» أو بالإنجليزية «ديمو» demo.

تلك هي (الديمو – قراطية) المقدَّمة للاستهلاك في عالمنا العربي، مجرد نُسَخٍ للعرض فقط، وليست نسخاً كاملة.

فقـــد تجمعت في النظام السياســـي العراقي «الديمو – قراطي» عدة مزايا وســـمات تجعله تجربـــة «نموذجاً» يمكن تســـويقه إلى دول أخرى عربية وإسلامية. والخطير هنا أن هذه الســـمات تحظى بتوافقٍ مصلحـــيٍّ (إيراني – أمريكي)، والأخطر أن الدول المراد تســـويق النموذج إليها (أو ســـوقها إليه) هي – في غالبيتها – دول لا تحظى بالرضى الإيراني.

أبرز سمات «الديمود – قراطية» في نموذجها العراقي:

١ – ضوضـــاء ولا طحن: لمدة عام كامـــل تقريباً تُجيَّش الدولة بكاملها لأجـــل الانتخابات البرلمانية «المبرمَجة»، وعام آخر مـــن أجل التحضير لانتخابـــات المحافظات «المؤدلجة»، وقبـــل كل انتخابات تحالفات وتكتلات، وبعـــد كل انتخابات إعادة تشـــكيلٍ لتحالفات وتكتلاتٍ أخـــرى، وترتفع صيحات الفائزين وآهات الخاسرين.... وتحيا الديمقراطية.

٢ – إطلاق العِنان لكافة القوى والمكوِّنات العرقية والدينية: بمعنى أن كل ما يمكن أن يقسِّم المجتمع يُستدعى ويُنمَّى ويُعظَّم من أجل تقسيم المجتمع إلى شرائح وفئات متصارعة على كعكة الانتخابات، وقد ارتفعت في العراق أصوات لم يكن أحد يعلم أنها تعيش في العراق أصلاً، واحتـــاج كثير من المتابعين إلى اســـتحضار موسوعات الفِرَق والأديان للاطلاع على تعريفاتٍ وتفسيراتٍ للفسيفساء المجهولة المكتشَفة حديثاً.

٣ – تحـــوُّل العراق إلى ســـاحة لصراع القـــوى الدولية والإقليميـــة: أو بعبارة أخرى تحوَّلَ إلى «ملعب للإيجار»؛ فكل متصارعَين يبتغيان تصفية حساباتهما يتفقان على موعدٍ للِّقاء في العراق، تماماً كما حدث في لبنان ويحدث في الســـودان، وتُبذل جهود حثيثة (أو حوثية) لنقله إلى اليمن.

٤ – ضـــمُّ العراق إلى معادلة تـــوازن إقليمية مختلة في غير صالـــح العراق: لكـــن لصالح بعض القـــوى الإقليمية، وهي هنا: إيـــران، تركيا، ســـوريا، وتَمَثَّـــل الاختلال في قضـــم أجزاء من المساحات المشـــتَرَكة في المصالح بين هذه الدول والعراق، ومثال ذلك توزيع مياه دجلة والفرات؛ حيث يعاني العراق من أزمة مائية حادة، سببها الرئيس تراجع كميات المياه الواردة من تركيا وسوريا وإيران، بالإضافة إلى قلَّة الأمطار. وتبلغ كمية المياه المقرَّرة للعراق من الفرات حالياً ١٣ مليار متر مكعب، بينما كانت تبلغ في السابق ٢٨ مليار متر مكعب، ويبلغ معدل التدفق في مياه دجلة ٢٨٠ متراً مكعباً في الثانية، بعد أن كان ٥٠٠ متر مكعب في السبعينيات.

أيضا من الوضعيـــات المختلة: الظلم الذي يتعرض له العرب السُّنة، على كافة المســـتويات (السياسية والاقتصادية والدينية)، حتى باتوا يتســـولون من يمثلهم، وحتى المقاومة السُّـــنية لا يبدو أنها تملك حالياً رؤية واضحة وتصوُّراً شـــاملاً حول المستقبل في العراق... وهذا ظلم متراكم لا يمكن حذفه أو نسيانه...

إن هذه الوضعيات المختلة تؤذن بدورات صراع وحروب قادمة في المستقبل استهدف صانعو النظام وَضْع بذرتها حالياً، ومن ثَمَّ حصاد مكاسبها مستقبلاً.

إن أفغانستان، لبنان، الســـودان، العراق، دول تعرضت كلها لأحوال متشابهة أنتجت – أو في طريقها – وضعاً مختلاً ينشغل فيه أهل البلد بأنفســـهم فـــي وضعية معقدة لا يبدو لها حلٌّ في الأفـــق القريب أو المنظـــور، والحل الوحيد المطـــروح يتمثل في تدخُّلات خارجية من أجل ضبط الإيقاع.

والسؤال الآن، ليس عن كيفية تجاوز أو حل الأزمات في هذه البلدان، ولكـــن عن: من هو النموذج التالي على قائمة «الفوضى الخلاَّقة»، أو «الديمو – قراطية»؟



ربيع ساخن في باكستان

د. محمد علي غوري

رغم أن فصل الربيع في باكستان من أجمل الفصول وأكثرها اعتدالاً؛ حيث تزدان فيها الحدائق وأرصفة الشوارع بأنواعٍ من الزهور الزاهية، ورغم أن الربيع يطل ضاحكاً على ربوع باكستان من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، فإن ربيع هذا العام سيكون ساخناً جداً.

وذلك لما قد تشهده البلاد من تطورات خطيرة على المستوى السياسي، وخاصة في شهرَي: فبراير ومارس؛ إذ يتوقع المحللون السياسيون في هذين الشهرين هزة عنيفة قد تصيب الحكومة ورئيس البلاد السيد آصف علي زرداري. وكان المحللون يتوقعون سقوط حكومة حزب الشعب في شهر نوفمبر أو ديسمبر من العام المنصرم، ولكن يبدو أن رئيس البلاد السيد آصف زرداري (الحاكم الفعلي للبلاد رغم أن النظام فيها برلماني، وليس رئاسياً) استطاع أن يجدد ثقة الأمريكان فيه، رغم تدهور الأوضاع في البلاد تدهوراً كبيراً، وهذا بطبيعة الحال لا يهم أمريكا؛ فالذي يهمها بالدرجة الأولى هو مصالحها في المنطقة؛ فما دامت تتحقق فلا يهمها بعد ذلك من يحكم البلاد: عسكري أو مدني، أمين أو لص، ولا يهمها كذلك مصير الديمقراطية التي تتشدق بها في المحافل الدولية.

إن البلاد تشهد أوضاعاً لا تُحسَد عليها، وهي ماضية في تدهورها على كافة المستويات؛ فقد أحال الغلاء الفاحش حياة الناس إلى جحيم يصطلون به صباح مساء. وزيادةً على هذا الغلاء الذي كسر أظهر الكثيرين تعاني الأسواق والمحلات من نقصٍ حادٍّ في المواد التموينية الأساسية الضرورية للشعب؛ فالسكر الذي ارتفع سعره خلال الأشهر القليلة الماضية إلى أكثر من ١٠٠ ٪ يكاد يكون مفقوداً في مناطق كثيرة، رغم أن سعر قصب السكر باقٍ كما هو، وهذا يعني أن المزارعين والفلاحين – وهم يمثلون أغلبية الشعب الباكستاني – لم يستفيدوا من هذه الزيادة في الأسعار، وإنما الذي استفاد منها هم أصحاب مصانع السكر، وهؤلاء جلُّهم: إما وزراء أو أعضاء في البرلمان من الحزب الحاكم ومن المعارضة (إن صحت هذه التسمية؛ لأن هناك من لا يعتبرها معارضة؛ لضعفها) والضحية هو الشعب المسكين الذي تنهال عليه المشاكل والمصائب من كل حَدَب وصوب. ورغم أن نتاج القمح في الأعوام الأخيرة وفير وفرة ملحوظة، فإن سعر الدقيق ارتفع ارتفاعاً مذهلاً، وهو أيضاً مفقودٌ مثل السكر، ومخبَّأ في مخازن المحتكرين من الوزراء وأعضاء البرلمان.

لقد كانت أسواق الأحد ملاذاً للطبقة الفقيرة والمتوسطة. أما الآن فقد تلبدت غيوم الغلاء المتفشي في سمائها؛ فلم يعد

بمقدور الرجل العادي أن يلبي طلبات أسـرتة من الضروريات: من الغذاء والكسـوة، ناهيك عن الأشياء الأخرى مثل: الكهرباء والغـاز والوقود، التي تُمنَح للشـعب بالقطارة. ومن الأشـياء المضحكة المبكية أن شـعار حزب الشعب الذي أطلقته مؤسسة (ذو الفقار علي بوتو)، وأطلقته من بعده ابنته بي نظير بوتو، هو نفسه الذي يطلقه الآن آصف علي زرداري ووزراؤه، وهو: خبز وثوب وبيت لكل مواطن!

ومن أهم أسباب الغلاء وزيادة الأسعار، الاحتكار والهبوط المستمر للروبية الباكستانية في مقابل العملات الأخرى؛ حيث كان الـدولار الواحد في أواخر عهد الجنرال برويز مشـرف يعادل ستين روبية، وأما الآن فهو يعادل أكثر من خمس وثمانين روبية؛ وذلك – كما يقول خبراء الاقتصاد أمثال الدكتور شاهد صديقي – بسـبب سوء التخطيط والفساد الإداري المتمثل في صور السلب والنهب المستمر من قِبَل المسؤولين في البلاد، وعلى رأسـهم رئيس البلاد. وهذا ليس ادعاءً؛ فقد أصدرت محكمة النقض أو التمييز – وهي أكبر محكـمة في السـلَّم القضائي الباكسـتاني – حكمها التاريخي في السادس عشر من ديسمبر عام ٢٠٠٩م الذي قضت بموجبه ببطلان المرسـوم الرئاسـي الذي أصدره مشرف بالاتفاق مع أمريكا والمعارضة التي كانت تهدده آنذاك والتي تمثلت بالراحلة بي نظير بوتو زعيمة حزب الشعب الباكستاني وقتها. وكان هذا المرسوم الذي غدا كأن لم يكن، قد أسقط عن ٨٠٤١ شخصاً من كافة الطبقات كلَّ التهم الموجَّهة إليهم، وعلى رأس هـؤلاء الوزراء وأعضاء البرلمان من الحزب الحاكم والأحزاب الأخرى، يتصدرهم رئيس البلاد، ومن بين هؤلاء سـفير باكستان لدى الولايات المتحدة حسين حقاني رأس الحربة في العلاقات الأمريكية الباكسـتانية المشـبوهة. وقد انحصرت هذه التهم في الفساد الإداري والسرقات وسوء اسـتغلال السلطة والتهريب وعدم ردِّ القروض المالية الضخمة إلى بنوك الدولة وخيانة الأمانة، وما إلى ذلك. ومنذ أن أصدرت أكبـر محكمة في البلاد حكمها المشـار إليـه تعيش الحكومة ورئيس البـلاد في قلق كبير رغم تمتع رئيس البلاد بالحصانة السياسـية وَفْقاً للمادة (رقم ٢٤٨) من الدسـتور الباكستاني؛ ونتيجـة لهذا القلق هوجم القضاء والصحافة والإعلام بقنواته المتعددة التي أصبح لها دور كبير في نشـر الوعي بين الناس، وقد حمَّل رئيس البلاد القضاء مسؤولية إعدام مؤسس الحزب ذو الفقار علي بوتو، وقـال بلهجة فيها الكثير من التهديد بأن القضاة يظنون أنهم بتأشيرة من أقلامهم يستطيعون أن يقضوا عليه وعلى حكومة حزبه، ولكن هذا لن يكون؛ فهو – كما يدعي – أقوى منهم! ومن الجدير بالملاحظة أن هذه اللهجة لم تفارقه في خطبـه الأخيرة، وهو الأمر الذي يدل على أنه يشـعر أن البساط يكاد يُسحَب من تحت قدميه.

تعاني البلاد اليوم من أزمة حادة نتجت عن صراع سافر بين السلطتين: التنفيذية والقضائية فيما يتعلق بالمرسوم أو القانون الأسود الذي سبقت الإشـارة إليه، كما يسميه بعضهم، والذي حكم القضاء بعدم شـرعيته، وحدد طُرُق محاسبة المستفيدين منه بغض النظر عن مناصبهم ورُتَبِهم.

وأيضاً فيما يتعلق بتعيين القضاة في الأقاليم الأربعة، فقد اقترحت محكمة التمييز أو النقض – وهي المسؤولة عن النظام القضائي في البلاد – أسـماء بعض القضاة كـي يعيَّنوا بدل القضـاة الذين انتهت خدماتهم في محاكـم هذه الأقاليم في البنجاب؛ حيث تعاني هذه المحاكم من نقص شـديد في عدد القضاة؛ وقد وصل هذا النقص في محاكم البنجاب إلى أربعين قاضيـاً، ولكن الحكومة – وهي السـلطة التنفيذية في البلاد – تماطل في ذلك تمهيداً لتعيين قضاة يوالونها.

بالإضافة إلى التدخل الأمريكي في شؤون البلاد، واختراقها للحـدود، وضربهـا المناطق المتاخمة لأفغانسـتان، وسـكوت الحكومة الباكسـتانية عن تلك الاختراقات، وقيامها بمهاجمة الإعلام الذي كشـف الحقائق للناس، ووَصْفِه بأنه متحيز إلى جهات معادية لباكستان ومصلحتها... كل هذا أدى إلى زعزعة ثقة الناس بالحكومة وبرئيس البلاد وقلَّل من شـعبيتها كثيراً، حتى وصل الأمر إلى المطالبة باستقالة رئيس البلاد.

لكل ذلك يتوقع المحللون السياسيون أن يكون شهرا: فبراير ومارس – وهما من أشـهر فصل الربيع – سـاخنين جداً على المستوى السياسي؛ إذ قد تشهد البلاد تغييرات مهمة، ولكن إلى أين ستتجه الأمور؟

يتوقع بعضهم حل البرلمـان وإجراء انتخابات جديدة، ولن يسـتفيد منها إلا حزب الرابطة الإسلامية التابع لنواز شريف. ويتوقع آخـرون تدخُّل الجيش مرة أخرى لحل الأزمة، وإن كان هذا من الحلول المستبعدة، ولا سيما أن البلاد تنفست الصعداء بتخلصها من حكم عسكري عشش فيها لأكثر من ثماني سنوات، زرع فيها مفاسد كثيرة ما زالت تعاني منها؛ فهل يمكن أن يقدِّم لنا القضاء الذي كان المسـمارَ الأخير في نعش برويز مشرف حلاً للأزمة التي تعاني منها البلاد؟

هذا ما ستخبرنا به الأشهر القليلة القادمة إن شاء الله.

كيفية الخروج من المستنقع الأفغاني

خواجة محمد العصامي

من المشَاهَد المحسوس، بل المعقول أن ما أُخِذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، وها هي الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها مرةً أخرى يجتمعون في لندن لمناقشة الأوضاع في أفغانستان والمصالحة الوطنية بين الشعب الأفغاني، ولكن: هل ستعطي مثل هذه المؤتمرات نتائج مؤثرة على أرض الواقع؟



هذا ما سيحاول هذا المقال أن يتعرض له، من خلال تحليل الواقع التاريخي والعملي لأفغانستان:

إن الشعب الأفغاني معروف بمقاومته لكل الغزاة الذين غزوا أرضهم قديماً وحديثاً؛ فمن الإسكندر المقدوني الذي استولى على رقعة كبيرة من العالم إلى أن وصل إلى كابل فقاومه أهل كابل مقاومة مستميتة دفاعاً عن حرمهم حتى جُرِح الإسكندر في شمال كابل. ومن هنالك اتجه شرقاً إلى بلاد الهند بعد هزيمة نكراء نزلت بجنوده، وترك أفغانستان ولم يجرؤ مرة أخرى على الإقدام والتوغل في الأراضي الأفغانية، ثم جاء الفتح الإسلامي إلى بلاد الأفغان مبكراً، وذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وفُتحَت كابل؛ ولكن أهلها ارتدوا مرتين، إلى أن قبلوا الإسلام طواعيةً في عهد عثمان ذي النورين بقيادة الأحنف بن قيس للجيوش الإسلامية الفاتحة؛ ومن تلك اللحظة وحتى الآن أصبحت كابل قلعةً منيعةً حصينةً من قلاع الإسلام، وقاومت جميع الغزاة

لقد بدا واضحاً في الغرب أن الساسة يريدون الجواب على السؤال الآتي: لماذا نستمر في الحرب؟ وهل الاستمرار فيها يقدم لنا الأفضل؟

المعتديـــن على أرضها؛ فهزم الأفغـــانُ الإنجليز ثلاث مرات في معارك فاصلة؛ ففي معركة قندهار الشهيرة في منطقة (ميوند) قُتِل أربعة عشر ألف جنديٍّ من القوات البريطانية، ولم يبقَ أحد منهم، ثم ســـوَّلتْ لروســـيا نفسها أن تصل إلى المياه الدافئة في الخليج العربي؛ فاختارت أن تمر على قلب الشـــعب الأفغاني؛ ولكنها هُزمَت وانسحبت عام ١٩٨٩ من القرن الميلادي الماضي، ثم تجاهل العالم كله قضية الأفغان فتقاتلوا فيمـــا بينهم، وتفرقوا إلى دويلات صغيرة شـــمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، حتى مُهِّدَ الطريقُ لولادة حركة طالبان عام ١٩٩٤م، وخلال عامين من الزمن اســـتولت الحركة على معظم الأراضـــي الأفغانية بما فيها العاصمـــة كابل؛ ولكن بقيت هناك مقاومة ضئيلة في شـــمال أفغانستان، وخاصة في وادي بنجشـــير، وخـــلال هذه الفترة أكملـــت الولايات المتحدة الأمريكية خططها للاســـتيلاء على أفغانستان؛ فلما حدثت أحداث أيلول سبتمبر عام ٢٠٠١م، اندفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى احتلال بلاد الأفغان، وإقناع العالم كله (رغبة أو رهبة) بخطر حركة طالبان على مدنيَّة العالم كلها؛ وأنهم من الرجعيين الذين يريدون للعالم أن يتقوقع ويقبع في الكهوف والأدغال.

ولكن بعد مرور ثماني ســـنوات على هذه الحرب؛ ووَضْع قائمة سوداء بأسماء ناشـــطي حركة طالبان البالغ عددهم ١٤٤ شـــخصاً، يأتي المسؤول الدولي الخاص إلى أفغانستان (كاي إيدي) ويؤكد على أنه: «لا بد أن تُحذف أســـماء بعض رمـــوز حركة طالبان من القائمة الســـوداء» وزاد: «إذا أردنا التوجـــه إلى النتيجة الصحيحة، ينبغـــي أن نُجري الحوار مع الذي يملك القوة وأظن أن الوقت قد حان».

ويقول وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس: «إن طالبان جزء من المصالحة السياسية في هذا الوقت لذلك».

ويضيف رئيس حلف الناتو الجنرال ستانلي ميكريستل: «كجندي؛ فإن إحساســـي الشـــخصي، هو أن هذه الحرب كافية».

هـــذه هي الحقيقة على أرض الواقـــع رغم مرور ثمانية أعوام من الحرب في أفغانستان. لقد بدا واضحاً في الغرب أن الساســـة يريدون الجواب على السؤال الآتي: لماذا نستمر في الحرب؟ وهل الاستمرار فيها يقدم لنا الأفضل؟

مع أنه ليســـت هناك أية نتيجة إيجابيـــة تُذكَر، وليس الحال بأفضل مما كان عليه في عام ٢٠٠٤م، وأضاف: (إنه – حســـب ظني – يستطيع أيٌّ من الأفغان أن يلعب دوره في القرار السياســـي الأفغاني. نحن لا نريد رجوع القاعدة مرة أخرى إلى هذه المنطقة).

والســـؤال الذي يفرض نفســـه هو: هل تنجح مثل هذه البيانات السياسية في ترويض الحركة؟

أعتقد أنه لا يمكن في الوقـــت الحاضر إخضاع حركة طالبان؛ فحركـــة طالبان لم ترضَ فـــي البداية قبل اندلاع الحرب – وهي صاحبة القرار والحكم في أفغانستان – بأنْ تســـلِّم زعيم القـــاعدة إلـــى التحالـــف الدولي لمحاكمته مع عروض ووعودٍ مغرية مـــن قِبَـــل الحلفاء، كان منها: إعطاء حركة طالبان الحرية المطلقة في كيفية تســـيير دفة الحكم في نظامها الداخلي، ودَفْع مبلغ يســـاوي ثلاثة بلايين دولار، وتثبيت حكومة ســـنيَّة ضد المدِّ الشـــيعي في المنطقة؛ لكن الحركة ضربت بكل هـــذه المغريات عرض الحائط للحفاظ على حياة مســـلم لم تثبت إدانته رســـمياً في محاكمة دولية علنية أمام قضاءٍ نزيه محايد؛ فكيف ترضى الآن بالمصالحة مع حكومة كرزاي تحت المظلة الأمريكية وحلف الناتو؟ وهذا يذكرنا ببيت شعر قيل قديماً:

لم أرتـضِ العيشَ والأيـامُ مقبلةٌ
فكيف أرضى وقد ولَّتْ على عجلِ؟

وخاصة بعـــد المقاومة الضارية ضد قوات الاحتلال في أفغانستان خلال ثمانية الأعوام الماضية، وإثباتها للعالم كله أنها قادرةٌ الضرب على الوتر الذي يؤلم الحكومة الأفغانية، وقوات التحالف الدولي (كمّاً وكيفاً، زماناً ومكاناً)، والتحكم في إدارة الولايات والمديريات التي تحررها.

فالسؤال الذي يثور هنا هو: هل ستنجح مساعي الرئيس الأفغاني حامد كرزاي الذي يجمع الأموال من الدول المعنية بالحـــرب على الإرهـــاب لفصل مقاتلي حركـــة طالبان عن زعمائهم وقادتهم الميدانيين بإغداق الأموال عليهم؟

هـــذه الأخـــرى غيـــر ممكنـــة فـــي الوقت الحالـــي؛ لأن ما يغنمـــه مقاتلو حركة طالبان من قـــوات التحالف، ومما تفرضه الحركة من الأتاوى والرســـوم على تلك مقابل عدم التعـــرض لهم أكثر بكثير مما ســـيعرضه عليهم كرزاي؛ فَلِمَ

يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

فالتاريخ الأفغاني قد أثبت عملياً عبر مرور الزمن بأنه: لا يمكن السيطرة على الأفغان عن طريق القوة والبطش؛ ولكن يمكن خداعهم أو شراء بعضهم مؤقتاً، وتصريحات بعض جنرالات قوات التحالف الدولي معروفةٌ في هذا الصدد.

إذاً ما هو الحل الأمثل في النظر (الأمريكي - الغربي) لمشكلة كابل؟

أعتقد أنهم إذا اضطروا اضطراراً مُلجئاً فسوف يبدؤون بسحب قواتهم تدريجياً من ساحات المعركة، وسوف يقبعون بعد ذلك في القواعد العسكرية التي أنشؤوها خلال ثمانية الأعوام الماضية؛ وهذه مؤامرةٌ ومكيدة خطيرة جداً؛ حيث استطاعت أمريكا أن تسيطر على القواعد العسكرية الأساسية في أفغانستان؛ ففي الشمال قاعدة باغرام الجوية، وفي الجنوب قاعدة قندهار، وفي الشرق قاعدة جلال آباد، وفي الغرب قاعدة (شيندند) في مدينة هرات، ومن ثَمَّ يبدؤون بمشاهدة الفيلم الأمريكي من خلال الأقمار الصناعية في قواعدهم العسكرية، ويتركون الأفغان يتقاتلون فيما بينهم ويدخلون في حربٍ أهليةٍ مرةً أخرى.



ومن خلال هذه الضوضاء والبلبلة السياسية سيضغطون على الجمهوريات في آسيا الوسطى وروسيا والصين والدول المجاورة؛ ومِنْ ثَمَّ يبدؤون بنهب خيرات البلاد الآسيوية الغنية بالمعادن الثمينة المختلفة؛ والغاز الطبيعي والبترول على رأسها.

ولكن: هل ستنجح هذه الخطة أم سيكون مصير الولايات المتحدة كمصير حليفتها بريطانيا من قَبْل والاتحاد السوفييتي (سابقاً)؟

أعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية وصلت إلى حد ادَّعت فيه الألوهية بلسان حالها وإن لم تدَّعها بلسان مقالها، وما اكتمل شيء إلا بدأ بالنقصان، وما جال وصال الكِبْرُ والغرور في رأس أحد من الجبابرة، إلا وقد مهد الله لهم الطريق لملاقاة الأفغان، والتاريخ يعيد نفسه، وما أشبه الليلة بالبارحة، والأيام حبلى بالعجائب والكمال لله وحده: ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين** ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقد أزف زوال الظلم والظالمين؛ مهما قيل عنها: بأنَّها الدولة العظمى؛ فإن بريطانيا كانت الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، ومن قَبْلِ ذلك انتشر المثل: إذا جاءك الخبر بأن التتار قد هزموا فلا تصدق؛ وقدْ هزمهم الله بإخلاص قائد المسلمين وقتها الظاهر بيبرس في معركة فاصلة قرب فلسطين السليبة، فكَّ الله أسرها.

وقد رأينا تساقط الاتحاد السوفييتي، ولعله جاء دور الولايات المتحدة الأمريكية، والواقع شاهدٌ على ذلك، بعد حربٍ دامت ثمانية أعوام لم تستطع أن تغير الواقع الموجود، ولم توفر للشعب الأفغاني الديمقراطيةَ المزعومةَ التي احتلت من أجلها البلاد؛ وقد استشرى الفساد الإداري، والقتل والنهب والسلب في المدن الكبرى. والمتورطون في هذه الأعمال هم من أتباع النظام الحالي؛ وقد وصلت روح العوام إلى الحلقوم، وبلغ السيل الزبى؛ جرَّاء القصف العشوائي لأماكن المدنيين العزَّل من قِبَل قوات التحالف الدولي وخاصة في الجنوب والجنوب الشرقي؛ وهو ما يؤدي إلى مزيدٍ من الكراهية ضد حكومة كابل وقوات الاحتلال؛ وهو الأمر الذي يساعد الحركات الجهادية التي تسعى لأجل تحرير الأرض من الاحتلال والفوز بنصيب الأسد.

جوال

بالمليون

للإشتراك

ارسل رسالة فارغة

STC الاتصالات السعودية ٨٨٠٠٤

موبايلي mobily ٦٣٦٣٩٣



رسائلنا تحكي أهدافنا



مرصد الأخبار

علاقة إسرائيل وأمريكا (رباط لا ينفصم)

وصفت وزيرة الخارجية الأمريكية (هيلاري كلينتون) العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل بأنها: رباط وثيق لا انفصام له، مؤكدةً في الوقت ذاته التزام بلادها المطلق بأمن إسرائيل.

جاءت تصريحات كلينتون لتضع حداً للخلاف الدبلوماسي الظاهر الذي هزَّ العلاقات بين واشنطن وتل أبيب خلال الأيام الماضية، بعد أن تحدثت الولايات المتحدة بلهجة حادة في أعقاب إعلان إسرائيل الموافقة على مشروعٍ لبناء وحداتٍ سكنيةٍ استيطانية جديدة في القدس الشرقية.

ومما يعضد هذه التصريحات: ما بثته إذاعة صوت إسرائيل على لسان وزيرة خارجيتها السابقة (تسيبي ليفني) بعد ما ربطت بين المصالح الإسرائيلية والمصالح الأمريكية؛ حيث قالت: إنها واحدة وإن التهديدات على إسرائيل هي تهديدات على الولايات المتحدة، مؤكدة أن المجتمع الدولي بأكمله يدرك هذه الحقائق التي تشكِّل الأساس في العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة.

[جريدتا الشروق واليوم السابع المصريتان]

الحلم الأمريكي في الوصول إلى النموذج الإسرائيلي

«علينا انتهاج نظام مقاربٍ للنموذج الإسرائيلي في التفاعل مع المسافرين». بهذا الكلام فاهَ مرشح الرئيس الأمريكي لرئاسة إدارة أمن المواصلات (روبرت هاردينغ) خلال جلسة استماع بمجلس الشيوخ، وذلك في مقترح لتبنِّي نموذج مشابه لأمن المطارات الإسرائيلية؛ حيث ينخرط ضباط الأمن في حوارات تتسم بالعدائية مع المسافرين؛ لتحديد ما إذا كانوا يمثلون تهديداً على الرحلة.

وأضاف روبرت: إنه رغم إخضاع الفاحصين في المطارات الأمريكية لتدريبات تستغرق أسبوعاً حول كيفية الحوار مع المسافرين، وانتشار نحو ألفين من ضباط «مراقبة السلوك» المدرَّبين تدريباً خاصاً، في المطارات لرصد أي تصرفات مريبة؛ إلا أننا لسنا على المستوى الإسرائيلي نفسه.

[تليفزيون CNN ٢٠١٠/٣/٢٥]

جلال الشايب
ielshayeb@hotmail.com

تزايد العنصرية الأوروبية ضد المسلمين

كشف تقرير سنوي تصدره الولايات المتحدة حول وضع حقوق الإنسان في العالم، عن تزايد العنصرية ضد المسلمين في بعض البلاد الأوروبية خلال العام الماضي، وتمثل ذلك في إشكالية بناء المساجد في الدول الأوروبية، بالإضافة إلى حظر المآذن في سويسرا، وأزمة الحجاب، وحظر ارتداء الملابس الدينية في الأماكن العامة في فرنسا، وكذا مَنْع المدرسات من ارتداء الحجاب أو النقاب أثناء العمل في ألمانيا وهولندا.

ورصد التقرير تصاعد الشعارات الطائفية ضد المسلمين، وذكر أن: «الترويع والشجار والتخريب المتعمَّد للممتلكات وكتابة الشعارات باستخدام لغة بذيئة، كانت شائعة في البلاد الأوروبية»؛ وهو ما يؤكد على العنصرية الدينية الموجودة في دول الشمال والجنوب.

[موقع المصريون الإلكتروني ٢٠١٠/٣/١٢]

طالبان تردُّ على تحذيرات أوباما بقذائف صاروخية

في تحدٍ قوي لزيارة أوباما لأفغانستان تبنَّت حركة طالبان المسؤولية عن تحطم مروحية للناتو ومقتل مَنْ كان على متنها، وكذا إطلاقها صاروخاً على قاعدة باغرام الجوية شمال كابول، قائلة في بيان لها: «تم إطلاق ثلاثة صواريخ على القاعدة وهو ما أدى إلى خسائر فادحة».

جاء ذلك بعد ساعات من مغادرة أوباما لأفغانستان، وكان قد تعهد خلال زيارته بالانتصار على طالبان، مؤكداً على النصر الكامل بقوله: «مع شركائنا سننتصر وأنا واثق تماماً من ذلك».

[شبكة محيط ٢٠١٠/٢/٢٩]



حرية أديان أم حركة استيطان؟

في الكويت لا يوجد كويتي مسيحي، لكن هناك نصارى حصلوا على الجنسية الكويتية، عددهم ١٩٢ شخصاً فقط، ووَفْقَ أرشيفٍ رسمي، فإن معظمهم من فلسطين والعراق والشام، جاؤوا إلى الكويت منذ الثلاثينيات والأربعينيات، للعمل كأطباء وممرضين ومترجمين، واستوطنوا الكويت وطابت لهم الإقامة فيها، والكويتيون سلسون في العلاقات الثقافية، فأُعطُوا الجنسية الكويتية. وقد شُيِّدت ٣٥ كنيسةً، بمعدل كنيسة لكل خمسة!

ألا يدعو هذا الأمر إلى التساؤل: لماذا هذه الكنائس المنتشرة مثل الزعتر البري في الكويت؟ كل هذه وسائل للتدخُّل؛ فهذه ليست أماكن للعبادة كما يراها الأمريكان، ونحن لسنا ضد النصارى أبداً، لكن أن تنشأ ٣٥ كنيسة؛ فهذا يعني وجودَ غرض سياسي وليس دينياً. لقد انتقل الأمريكان في الخليج من مرحلة الاحتلال إلى مرحلة الاستيطان، من عملية الـ (occupation) إلى عملية الـ (settlement).

[من مقال بعنوان: «أي مستقبل للجزيرة العربية في زمن الاحتكارات؟» كتبه د. عبدالله النفيسي]

جوزيف بايدن: أنا صهيوني!

نقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الصهيونية عن نائب الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن قوله: إنه «صهيوني» رغم كونه غيرَ يهودي، بينما رحَّب رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو به، مشيداً به كصديق كبير لدولة الاحتلال.

وتأتي تصريحات بايدن في الوقت الذي وافقت فيه سلطة رام الله وبعض الدول العربية – بطلب أمريكي – على عودة المفاوضات غير المباشرة مع الكيان الصهيوني، رغم الجرائم المتواصلة التي يقوم بها جيش الاحتلال بحق القدس والمقدسات ورغم مخططاته المتواصلة لـ «الاستيطان» والاستيلاء على أراضي الفلسطينيين وتهجيرهم وهَدْم منازلهم.

ومن الجدير بالذكر أنه تم الإعلان عن مشروع عَزْم الحكومة الإسرائيلية على بناء ٦٠٠ ألف وحدة استيطانية بالقدس الشرقية خلال وجود بايدن في فلسطين المحتلة، وهو ما أدى إلى حدوث خلافٍ بين الحكومتين؛ حتى إن بعضهم سارع في تفسير الموقف وقتها بين الولايات المتحدة و «إسرائيل» بأنه توترٌ يشوب العلاقات بينهما، إلا أن الرئيس الأمريكي «باراك أوباما» اعتبر أن ما جرى هو «خلاف في الرأي بين صديقين».

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠١٠/٣/٦]

حراك يسوعي حول انتخابات ٢٠١٠ واستفتاء ٢٠١١ بالسودان

قامت قيادة «الحركة الدولية للطلاب الكاثوليك» بالسودان، وبدعم قوي من الكاهنين اليسوعيين: الأب «هانز بوتمان»، والأب «جون شاشو» بتنظيم فريقٍ وورشةِ عملٍ تحت شعار: «صوِّتْ بمسؤولية». وقد تناولت ورشة العمل الموضوعات التالية:

١ – تعريف باتفاقية السلام الشاملة والاستفتاء.

٢ – دور «بعثة الأمم المتحدة في السودان» ومنظمات الأمم المتحدة في الانتخابات والاستفتاء.

٣ – معوقات الانتخابات السودانية وكيفية تجاوزها.

٤ – إمكانية إجراء الاستفتاء في الوقت المحدد والتحديات المتوقعة.

٥ – موقف الكنيسة من الانتخابات والاستفتاء.

٦ – ما هي «الحركة الدولية للطلاب الكاثوليك بالسودان» IMCS؟

٧ – الدور السياسي لـ «الحركة الدولية للطلاب الكاثوليك بالسودان» في إفريقيا.

وقد حظي اللقاء بمشاركة بعض المنظمات التابعة للأمم المتحدة: كـ «بعثة الأمم المتحدة في السودان» UNMIS، و«برنامج الأمم المتحدة الإنمائي» UNDP، والمرجعيات الكنسية، وقيادات طلابية من كينيا ومكتب إفريقيا الكبرى Pan-African التابع لـ «الحركة الدولية للطلاب الكاثوليك بالسودان» IMCS. كما تميز اللقاء بحلقات نقاش حول مستقبل السودان، سواء تم الانفصال أم لم يتم. ثم ركز الطلاب على كيفية نَشْر هذا الفكر إلى الرجل العامي بشكل مبسط.

[عن موقع «الحركة الدولية للطلاب الكاثوليك» بالسودان]

مرصد الأرقام

– لا توجد إحصاءات دقيقة تتعلق بعدد اللاجئين والمهجرين والمهاجرين العراقيين، والأرقام الوحيدة المتاحة قدمتها مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وهي أرقام العراقيين المسجَّلين لدى مكاتب المفوضية في دول جوار العراق؛ فبحسب أرقام المفوضية فإن حوالي ٣٠٠ ألف عراقي مسجلون في دول الجوار العراقي ولبنان ومصر ودول مجلس التعاون الخليجي وَفْقَ الآتي:

سورية ٢١٨ ألف، الأردن ٤٦ ألف، لبنان ١٠ آلاف، مصر ٩ آلاف، تركيا ٧ آلاف، إيران ٤ آلاف. [موقع BBC ٢٠١٠/٣/٦]

– أكد الدكتور محمد الجاسر، محافظ «مؤسسة النقد السعودي»، أن حجم أصول المؤسسات المالية الإسلامية تجاوز ٨٢٢ مليار دولار، وحجمَ إصدار الصكوك الإسلامية بلغ نحو ١٠٠ مليار دولار في نهاية العام الماضي.

ولفت الجاسر الانتباه – خلال فعاليات المؤتمر الخامس للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية – إلى أن المصارف والمؤسسات الإسلامية تشكِّل نحو ١٥ ٪ من أصول أكبر ٣٠ مصرفاً في الشرق الأوسط، وأن نحو ٤٣٠ مصرفاً ومؤسسة مالية تعمل في أكثر من ٧٥ دولة، وأن إجمالي أصول الصناديق الاستثمارية الإسلامية في نهاية الربع الثالث من عام ٢٠٠٩ تقدَّر بنحو ٢٧ مليار دولار، موزعة على ٤٧٨ صندوقاً استثمارياً إسلامياً في العالم.

[جريدة الشرق الأوسط ٢٠١٠/٣/١٦]

– كشف تقرير لمجلس العموم البريطاني عن أن أكثر من ٥٠ ألف مواطن يموتون في المملكة المتحدة سنوياً بسبب الهواء الفاسد الذي يؤدي إلى إصابة آلاف الناس بأمراض خطيرة.

وأشارت صحيفة (ذي إندبندنت أون صنداي) أن البلاد تواجه تهديداً بدفع غرامات تصل إلى ٣٠٠ مليون جنيه إسترليني (أي: ما يزيد على ٤٥٠ مليون دولار) بسبب عدم الإيفاء بأرقام حدَّدتها الأمم المتحدة لخفض التلوث إلى مستويات آمنة.

ويتلقى ما يقارب ٥,٥ مليون مواطن علاجاً بالمستشفيات بسبب الإصابة بالربو، وكان أكثر من تسعين ألف شخص قد دخلوا المستشفى نتيجة هذا المرض.

[موقع الجزيرة عن إندبندنت ٢٠١٠/٣/٢١]

شهد الربع الأول من العام الحالي ارتفاعاً كبيراً في خسائر قوات حلف شمال الأطلسي (ناتو) بأفغانستان؛ إذ بلغت حتى اليوم ١٣٤ قتيلاً مقارنة بـ ٧٨ قتيلاً في الفترة نفسها من عام ٢٠٠٩ وَفْقَ آخر إحصائية استقتها وكالة الصحافة الفرنسية من موقع إلكتروني مستقل.

ومن المقرر أن يبلغ قِوام القوات الأجنبية التي تقودها واشنطن والناتو بأفغانستان ١٥٠ ألف جندي بحلول أغسطس المقبل، في إطار إستراتيجية أميركية جديدة لإدارة الرئيس باراك أوباما لقمع ما يصفونه بتمرد حركة طالبان الذي يدخل عامه التاسع. [الفرنسية والجزيرة ٢٠١٠/٣/٢٥]

الموسوعة السياسية

أبارتيد «Apartheid»:

مصطلح يرمز إلى سياسة اتبعتها حكومة البيض في جمهورية جنوب إفريقيا للتمييز العنصري بين سكانها من البيض والسود منذ أن أُعلنت في عام ١٩٤٨م وإلى حين إلغائها عام ١٩٩١م، وهي الدولة الوحيدة (بخلاف إسرائيل) في العالم التي أعلنت صراحة عدم المساواة بين رعاياها وتبنيها سياسة تمييزية ضد ٨٠ ٪ من السكان، ولم تعترف بأي مواثيق دولية، وخاصة بحماية حقوق الإنسان.

وتقوم سياسة الأبارتيد على التصنيف العنصري لسكان جنوب إفريقيا (وكذلك إسرائيل) إلى أجناسٍ والفصل الجغرافي – أي تحديد أماكن السكن والإقامة – بين هذه الأجناس.

أما التصنيف وقتها فقسم السكان إلى بيض و أفارقة وملونين؛ فالبيض هم السادة المنحدرون من أصول أوروبية، وبلغ تعدادهم أقل من ٤ ملايين نسمة، والبانتو وهم السكان الأصليون الأفارقة الذين يبلغون حوالي ١٥ مليون نسمة؛ والآسيويون وهم يزيدون على نصف المليون قليلاً، والملونون أي المنحدرون من أصل مختلط، ويبلغ عددهم أقل من مليونين بقليل. وإذا نظرنا إلى وضع تعامل الحكومة الصهيونية مع الفلسطينيين فسنجدها نسخة كربون عن النظام السابق؛ فأهل البلد الأصليين هم الكثرة المنبوذون (الأفارقة)، والمستعمِرون القلة هم الأسياد(البيض)، ولهم كامل الحقوق.

ويحدد نظام الأبارتيد لكلٍّ من هذه الفئات أماكن السكن، ونوعية العمل، ونوعية التعليم، وحدود الحرية في العمل والتحرك والزواج والترفيه، والحقوق السياسية كما هو معمول به داخل الأراضي المحتلة تماماً؛ فهناك الجُدُر العازلة، والأسلاك الشائكة، والحواجز في الطرقات تتحكم فيمن يدخل ومن يخرج، والسياسيات الصهيونية داخل القدس لَخَير دليل على ذلك.

[بتصرف من الموسوعة السياسية – د. عبد الوهاب الكيالي ومجموعة مؤلفين]



س: ما معنى العولمة، وما هي أبعادها؟

ج: يتلخص مفهوم العولمة في قول «توماس فريدمان»: «نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة؛ فالعولمة هي الأمركة، والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطيرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق. إن صندوق النقد الدولي قطة أليفة بالمقارنة مع العولمة. في الماضي كان الكبير يأكل الصغير، أما الآن فالسريع يأكل البطيء».

وعن أبعاد العولمة:

هناك ثمانية معانٍ مختلفة تجمع أبعاد مفهوم العولمة أو الأمركة في صيغته البنائية والعملية، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

١ - العولمة المالية: تصف ما يطلق عليه: السوق الآنية العالمية للنتاجات المالية المتعامَل بها في كبريات المدن المالية - الغربية بالأساس - على مدار اليوم، ومن ثَمَّ تصبح النتاجات المتعامل بها في غيرها من مدن العالم مجرد تابع يدور في فلك أسواق المال الكبرى صعوداً وهبوطاً.

٢ - العولمة التكنولوجية: تصف المجموعة المترابطة: من تكنولوجيا الكمبيوتر والاتصالات وعمليات ربطها بالأقمار الصناعية وهي التي نجم عنها ظاهرة انضغاط الزمان والمكان والانتقال الفوري للمعلومات عبر العالم.

٣ - العولمة الاقتصادية: تصف نُظُم الإنتاج الجديدة التي توصف بالمتكاملة، وتشير إلى تمكين الشركات الكونية المتعديةِ الجنسية - الغربية بالأساس - من استغلال عناصر الإنتاج عبر العالم على اتساعه لا سيما العالم الإسلامي الذاخر بثرواته وموارده الأولية والبشرية كذلك، بما يعني هيمنة نمط الإنتاج الرأسمالي.

٤ - العولمة البيئية: تسعى من خلالها القوى الغربية إلى محاولة غسل يديها مما تقترفه بحق كوكب الأرض من تلويثٍ وإفسادٍ كنتاج لنهضتها التكنولوجية والتقنية دون أدنى مسؤولية عن مخاطر تلك التقنيات وآثارها البيئية المدمرة.

٥ - العولمة الجغرافية: تعني إعادة تنظيم الحيِّز أو المساحة في الكوكب، بين القوى الغربية المهيمنة، عبر تقاسم مناطق النفوذ والأسواق في العالم، بدعوى الشراكة تارة، والتكاملية والاعتمادية تارة أخرى.

٦ - العولمة السوسيولوجية: هي الخيال الرومانسي الجامح الذي تسعى القوى الغربية للترويج له عبر مقولات من قبيل: «المجتمع العالمي»، وهي المقولات التي تعني ذوبان الكل الإنساني في الجزء الغربي «المتحضر»، «الرسالي»، الذي يقدم النموذج المثالي لما يجب أن يكون عليه البشر جميعاً حتى يلحقوا بركب الحضارة والتقدم الذي يزعم الغرب احتكاره بالأساس.

٧ - العولمة الثقافية: تبقى خير مكمل للشعارات السوسيولوجية الزائفة والبراقة التي تروج لها القوى الغربية؛ حيث تسعى تلك القوى إلى ما يمكن وصفه بتغريب الثقافة، وقولبة نمط الحياة الاجتماعية للدول والشعوب بكل ما تحتويه هذه العملية من طمسٍ للشخصية الوطنية، وتساهُلٍ أمام الوافد الغربي: من السلع الاستهلاكية والكمالية وصولاً إلى الأفكار والمفاهيم.

٨ - العولمة السياسية: تأتي العولمة السياسية لتحيط التجليات السابقة للعولمة بسياج واقٍ يحميها ويُشَرِّعُها على أرض الواقع عن طريق لبرلة الثقافة السياسية للدول والمجتمعات وصعود النموذج الفكري والسياسي الليبرالي على الصعيد العالمي. ومن ثَمَّ لم تعد السياسة - بهذا المعنى - محلية، كما لم تعد هناك حدود فاصلة للقرارات والتشريعات والسياسات التي أخذت تنتقل بحرية عبر القارات، ويرتبط بعضها ببعض.

[بتصرف من مقال «الأُمَّة.. وحروب العولمة الثمانية» للأستاذ مصطفى علاَّم، موقع قاوم ٢٠١٠/٣/١٩]

المسلمون في قارة أستراليا

أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

- كان أول وصولٍ للمسلمين في عام ١٢٢٣هـ - ١٨٥٠ م؛ حين استقدمت الحكومة الأسترالية ١٢ من مستكشفي الصحراء ومعهم ١٢٠ جملاً، لاكتشاف مجاهل الصحراء الأسترالية. ثم تتابعت هجرات المسلمين بعد ذلك منذ عام ١٣٣٤هـ واستمرت حتى بداية الحرب العالمية الثانية، ثم توقفت وبدأت بأعداد كبيرة منذ عام ١٩٥٤م.

- عدد المسلمين ٨٠٠,٠٠٠ ثماني مئة ألف نسمة يمثلون نسبة ٣,١٨ ٪ من إجمالي السكان البالغ عددهم ٢٠ مليون نسمة.

- ويمثل الإسلام الدين الثاني بعد المسيحية بِفِرَقها المختلفة. ويتركز المسلمون في مدينتَي: ملبورن وسيدني.

- في أستراليا ٦٠ مسجداً بُنِي أوَّلُها عام ١٣١٤هـ ويوجد مساجد ومراكز إسلامية في داردن، ونيو كاسل، وملبورن، وسيدني، وتسمانيا.

- يُصدِر الاتحاد الإسلامي الأسترالي عدة مجلات ونشرات بالعربية والإنجليزية والأردية، منها: مجلة المنار، ومجلة النور، ومجلة الإسلام التي يصدرها اتحاد الطلاب المسلمين.

- من المؤسسات والهيئات الإسلامية العاملة في أستراليا: جمعية الدعوة الإسلامية، وجمعية اتحاد المسلمين في أستراليا (أمة)، وجمعية الدعوة الإسلامية لغرب أستراليا، وجمعية النساء المسلمات في أستراليا، والمركز الإسلامي للمعلومات والخدمات بأستراليا.

- بلغ عدد الأستراليين الذين اعتنقوا الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م أربعة آلاف شخص منهم ألفين في العام الذي تلى هذه الأحداث.

- ظهرت هيئة متطرفة في أستراليا، وهي: هيئة مكافحة انتشار الإسلام؛ حيث تشنُّ حملات مسعورة ضد المسلمين والإسلام.

- اللوبي الصهيوني يؤثر على معظم الأحزاب الأسترالية، وخاصة أكبر حزبين، وهما: حزب العمال وحزب المحافظين؛ وهو ما يضيِّق على المسلمين ويُفْقِدهم الدور السياسي.

- يسعى المسلمون إلى تشكيل ائتلاف بين المجالس الإسلامية للولايات الأسترالية في اتحادٍ إسلامي على المستوى الوطني؛ لمواجهة التفاخر العرقي الذي يفرِّق ويقسِّم الجالية الإسلامية على الرغم من أنهم حالياً يعاصرون الجيل الثاني والثالث من المسلمين من مواليد أستراليا.

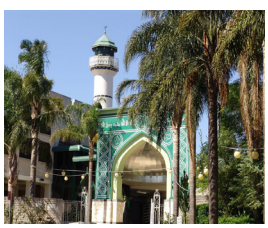

المصادر:

- موقع فاكت بوك.
- موقع فاكت لايف.
- كتاب الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، د سيد عبد المجيد أبو بكر.
- موقع إسلام أون لاين.
- موقع إسلام وي.
- موقع المركز الإسلامي للمعلومات والخدمات أستراليا ملبورن.

الآن..



" من لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أُغلق عليه باب التدبر "

بدر
٠٥٠٨٩٤٨٩٤٧

الرياض ـ هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١

المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ـ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

[قصة قصيرة]

فارس الفجر

جميلة بحر

كم ساورتني رغبة جامحة في أن أُبحر في معاني ذاتي كلما نظرت إلى كتاب «تاريخ الحضارة الإسلامية» وقد علاه الغبار وهو في صدارة الرفوف؛ لذلك قررت أن آخذ إجازة من صوت المذياع الصاخب، وغوغائية التلفاز ومهاترات الأصدقاء الجوفاء. وأوليت ظهري لمظاهر المدَنية السطحية، ثم سرت صوب البحر؛ حيث يمتد أمامي فسيحاً بلا حدود، عميقاً بلا نهاية، وهديره المتواصل يتحدى كل البشر أن يوقفوا أمواجه المتلاحقة... معطاء كأمتي.



جلستُ على صخرة قد اتخذت لها مكاناً حميماً في كنف الرمال... فتحت كتابي، وكما أن لكل شيء بداية، فقد بدأت بالفهرس، فالباب الأول: «العرب قبل الإسلام»... جاهلية وشتات، ثم الباب الثاني: «بعثة محمد ﷺ»... نور وضياء أشرق على كل الأرجاء، ثم الباب الثالث: «الخلافة الأموية»... عزٌ ومَنَعة، ثم الباب الرابع: «الخلافة العباسية واتساع رقعة الإسلام»... وها هو هارون الرشيد يقول: (سيري - يا سحابة - وأمطري فينا فأينما أمطرت فخراجك يأتينا)، ثم الباب الخامس: «الأندلس»... بذرة الحضارة الغربية. لقد أخذتني نشوة القراءة والاستمتاع؛ فأخذت أبني قصور بني أمية هنا وأشذب حدائق العباسيين هناك وبالقرب منها القصور الأندلسية بديعة الهندسة المعمارية، لكنني كنت - والبحر بين كرٍ وفرٍ - ما إن أنتهي من تشييد قصوري حتى تأتي أمواجه المرعدة والمزبدة بعد حين فتهدم هذا وتطمس ذاك...

مضى يومي بين قصور الأمجاد وقصور الرمال تصارعها الأمواج حتى ولج الليل في النهار فمحا آية الضياء، ومع ذلك صمَّمت على البقاء لبرهة من الزمن، عَلِّي اسمع صهيل خيل عقبة تأتي به الرياح، حين وقف بعزة المجاهد مقسماً: والله لو كنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لخضته غازياً في سبيلك... نظرت للأفق ولا أكاد أتبينه في حلكة الظلام الدامس.

ازداد هدير البحر اهتياجاً؛ كأن نيراناً عظيمة تصطلي وتتفاقم بداخله. خشيت على كتابي البلل، فضممته لصدري وأوليت ظهري للبحر معاتبة.

يممت وجهي صوب منزلنا، ولكني كلما ظننت أن رحلتي الماتعة شارفت على الانتهاء تغوص أقدامي شيئاً فشيئاً في كثبان الرمال، تُرى كم مضى من الوقت؟ لا أعلم! تحسست معصمي لعلِّي انظر لساعتي، لكن حالها كحال قصور الأمواج؛ لم أجدها! تابعت المسير وأنا أتحدى كثبان الرمال بسعادة وخطىً وئيدة وكُلِّي عزيمةٌ وإصرارٌ أن أقرأ كتابي هذا لأمي وأبي، وأختي وأخي، بل سأجعله ندوة الأصدقاء، لكن ليس كما يقرؤه مدرسو التاريخ؛ بل سأقرؤه بنبض إحساسي، بفيض مشاعري، بهدي إيماني، بالنور يختلج سويداء قلبي... كنت أسير وخيالاتٌ مجيدةٌ قد تلألأتْ بين عينَي وتمازجت مع تلك الأنوار التي تشع أمامي وكأننا في يوم عيد.

وبينما كنت أسير كانت مردفات الأمل تتفاعل داخلي، اصطدمت قدمي بشيء مَّا! ما هذا؟ موت ودمار... جثث وقبور؟ فهذه أشلاء طفلة قد تناثرت! وهنا فتاة قد نُزِع عنها الحجاب ومُزِّقَت الثياب، هُتِك العرض وديست الرقاب... تملَّكني الفزع... أين الطريق؟ أهذه بداية أم نهاية اللانهاية؟ حاولت أن أسيطر على ملكات عقلي وأربط حبل أفكاري لعلِّي أجد مخرجاً لما أنا فيه.. تذكرت كتابي والأمجاد التي بين دفتيه، فتحته بلهفة وسرعة لعلِّي أجد عمرَ على دابته قادماً ليأخذ مفتاح بيت المقدس؛ فمرآه يكفي لأن تفر منه الشياطين وأعوان الشياطين من هؤلاء الكفرة وأذنابهم الذين ما نقموا منا إلا أن آمنَّا بالله رب العالمين!



يا لحسـرتي المُرَّة، لم أجد عمر ولا حتى دابته! وها هو ببيت المقدس يئن وحيداً بأيدي حفدة القردة والخنازير يعيثون فيه فساداً: دنسوه، أحرقوه، وها هو زيتونه قد تفجَّر كبده حُرقَة وأسىً...

أخـذت أقلِّب الصفحات من جديد لعل المعتصم يُقبِل ملبياً من بغداد الشـماء؛ حيث أبرق سـنا الحضارة العباسـية الإسـلامية للكون، وازدهت بأجمل الحُلَل، ولكن آهٍ، ثم آهٍ، على بغداد التي طُمِس نورها، وسلِّمت مفاتحها لأعدائها، فَعَلَت الصلبان في كبد سمائها... آهٍ يا بغداد! متى كان الذئب حارساً للغنم؟ لا، لن أتفوه بالمزيد وَلْندع التاريخ يسـطر بحَنَق شـديد أسماء الذين خذلوكِ وباعوكِ بلا ثمن؛ ليلعنهم اللاعنون صبحاً ومسـاءً؛ كلما غدوا أو راحوا... لا لن يشـرئب لليأس عنق في فؤادي، فديار المسـلمين تمتد من الصين شـرقاً إلى المحيط غرباً، ولن يكون للمغضوب عليهم أو الضالين نجوم أو شُهُب في فضائنا.

فكتابي يشـهد بأنَّا خير الأمم: الدين واحد وإن اختلفت الألوان، القلب واحد وإن تنوعت الألسن، والمصيـر واحد وإن تباعدت الأمصار... لا، لن أمَلَّ سـأبحث في كتابي؛ بين الصفحات والسـطور لعلِّي أجد من سيشـرق الأمـل على يديه، لكن يـا لأمِّ الفـاجعات؛ فقد كُتِبَـت العناوين بمداد الدم القاني: الشيشان، أفغانستان، كشمير، الصومال، السودان... إنها أسماء لا تكاد تنتهي إلا بانتهاء ديار الإسلام... ذل ومهانة، ضغط وتهديد، جوع وتنصير، شتات وفرقة، والموت يحدق من كل مكان، يصوِّب سهامه في كلِّ اتجاه... ازداد قلبي خفقاناً كلما غاصت أقدامي أكثر فأكثر في بحار الدماء!

رفعت بصري للسماء؛ لئلا يكتب الأسى قاموسَ إحساسي، ويا للعجب! ما إن خفضت عيني حتى وقعت على قافلة تسير في إباء وشـمم! عندها سرى الأمل في نفسي سـريعاً كتيار كهربائي، أخذت أركض إليهم سريعاً والسعادة تملأ تجاويف قلبي كلما تراءى لي لمعان السيوف اليمانية بأيديهم.

و كلما ركضت انسـاب صليلها أكثر فأكثر كأعذب لحن وأجمل نغم، أخيراً وصلتُ وأمسـكتُ بتلابيب آخرهم متوسـلة: أرجوكم خذوني لا تتركوني، أعطوني سلاحاً؛ فقد صممت أن أسير معكم إلى نصر أو شهادة... تحسست يديه، أين السلاح؟ صرخت بحرقة حتى كادت روحي تنتفض من بين جنبَي: أين السلاح؟ كيف أمسى سلاسل وأغلالاً؟ كيف تحولت أنشودة العز إلى أنين القيود؟ كيف كُبِّل الجهاد في أمتي وحلَّ مكانه الخزي والضيم والعار؟

هويت على الأرض، تحجَّر الدمع في عيني، تلعثمتْ الكلمات على شـفتي، ألتهب جسـدي بالحمى... لا لم يعد للحياة معنى. سأبقى هنا (لأموت) وليستمر مدرسو التاريخ يقرؤونه بالطريقة نفسها الرتيبة البليدة، لن يشعر أحد بما يحدث في هذا العالم الحيران! سأضم كتابي وأموت، وليأتِ من يأخذُه من جدثي ليقرأه، لن أسير وأبحث عن الحياة؛ فها هي أضواء الموت تتمدد في كل تجاه. نعم! سـأموت هنا! وإن كانت تلك الأضواء التي أمامي تشـبه أنوار حينا! وتلك تبدو كأنها أضواء شـارعنا، وتلك التي بالأعلى تناديني من حجرة أمي وأبي. فركت عينَي علَّ ما أرى يكون حقيقة.

فجأة أخذ منسوب الأمل يتدفق إلى فؤادي، فأخذت أستجمع قواي المتهالكة؛ لأحث قدميَّ على الوقوف.

وبعد عدة محاولات سرت مترنحة، ولا أعلم: أكانت الدموع المهراقة دموع الفرح أم الأسى؟

أخيراً وصلت مع انبلاج الفجر. نظرت حولي وهالني ما رأيت: الصمت يخدر شـارعنا، والسـتائر تُسدَل دون ضوء الفجر، والأنوار تُطفَأ...

هل دب الموت أيضـاً في تيـار الكهـرباء؟ ما للشخير يتفـاقم مـدوياً إبان وقت الصـلاة؟ نظـرت كسـيفةً أسـيفةً إلـى كتابي: آهٍ يا كتابي! كيف لا تزداد جراحك، وتسيل دماؤك رخيصة بين الأمم وما من ملبٍّ للنداء؟ ها هو الموت يدب في أحشائي من جديد تحت نافذتي... آهٍ انظرْ هناك، إنه ملك الموت جاء ليقطع مني الوريد، وينزع الروح؛ ليأتِ مسـرعاً، لم أعد أهابُه؛ فقد سـئمت هذه الحياة، لكن أين جنده؟ ولماذا يبدو صغيراً ضئيلاً؟ هل أرسـل أحدَ جنده بدلاً منه؟ تُرى لماذا يسـير بتؤدة وسكون؟ هل يريد أن ينتزع روحي فزعاً مزعوراً منه؟ لا، لا: إنه طفل صغير، ولكن لماذا يمشي وحيداً، والكون ينعم بالدعة والسكون؛ فهل هو شقي مثلي؟ اسـمع يا كتابي! إنه يتمتم ببعض الكلم، ماذا تُراه يقول؟ أرهِف السمعَ يا كتابي!... ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، آهٍ، آهٍ يا كتابي! إنه فارس الفجر، إنه فارس الفجر قادم...

أهمية إدراك الواقع في قيام النهضة

د. غازي التوبة



ليس من شك بأن معرفة الذات، ووعي الهوية، وتوصيف الواقع شرط أساسي في قيام النهضة ونجاحها، وهو أمر بدهي، وإلا فكيف ستكون هناك نهضة عمران دون معرفة تضاريس الواقع وسلبياته وايجابياته؟ هذا ما تقوله تجارب الأمم، وتؤكّده قيادات الشعوب.

والآن إذا عدنا إلى بداية نهضتنا في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، نجد اضطراباً واسعاً في تحديد هويتنا، وتوصيف واقعنا، وهو أمر غريب ولافت للنظر، لكنه حادث وموجود؛ فنجد أجوبة متعدِّدة على سؤال: من نحن؟ مع أنه يُفتَرَض أن يكون هناك جواب واحد، ينطلق من دراسة الواقع وتحليله، فجاءت الأجوبة كما يلي: نحن أمَّة فرعونية، نحن أمَّة سورية، نحن أمَّة عربية، نحن قطعة من أوروبا، نحن أمَّة فينيقيَّة... إلخ، وكانت معظم الأجوبة - إن لم يكن كلها - لا تنطلق من الواقع بل تنطلق من نظريات ومقولات غربية؛ ففي حال القول: نحن أمة مصرية أو سورية، كان ذلك نقلاً عن النظرية الفرنسية التي تُغلِّب العوامل الجغرافية في إنشاء الأمة، وفي حال القول: نحن أمة عربية، كان ذلك نقلاً عن النظرية الألمانية التي تُغلِّب عاملي: اللغة والتاريخ في تكوين الأمم، وكانت بعض الأقوال تُغلِّب العامل الاقتصادي: كما حدث مع النظرية الستالينية الماركسية التي اعتبرت الدولة القومية في القرن التاسع عشر من صُنْع البورجوازية من أجل الوقوف في وجه طبقة البروليتاريا، وكانت بعض الأقوال تغلِّب المشيئة والإرادة في تكوين الأمم... إلخ.

ومما يؤكِّد أن هذه الأحكام على هويتنا منقولة عن النظريات الغربية نقلاً حرفياً هو عدم قدرتها على تفسير واقع الوحدة الثقافية والشعورية والنفسية والاجتماعية التي تعيشها منطقتنا؛ ففي حال القول بالقومية العربية المستندة إلى النظرية الألمانية التي تُغلِّب عاملي: اللغة والتاريخ، لم يوضح ساطع الحصري - وهو أبرز الآخذين بها - كيفية توحيد هذين العاملين للمشاعر والعواطف في أمتنا، ولا كيفية صياغتهما للعادات والتقاليد الواحدة، ولا كيفية بنائهما للثقافة الواحدة، بل كانت كل أحاديثه منصبَّةً على دور عاملي: اللغة والتاريخ في إنشاء الأمم الأخرى: كالأمة الألمانية واليونانية والفرنسية... إلخ. وقُل الشيء نفسَه عن أنطون (سعادة) في قوله بالقومية السورية التي تغلِّب العوامل الجغرافية؛ فهو قد تحدث عن السلالات والمتَّحدات وتطوُّر المجتمعات وتطوُّر الثقافات ودورها

ومما يؤكِّد أن هذه الأحكام على هويتنا منقولة عن النظريات الغربية نقلاً حرفياً هو عدم قدرتها على تفسير واقع الوحدة الثقافية والشعورية والنفسية والاجتماعية التي تعيشها منطقتنا

في إنشـــاء الأمم، ولم يطبِّق ذلك على أمتنا، ولم يبيِّن ســـعادة كذلك كيفية تكوُّن وحدة المشاعر والعواطف والعادات والتقاليد والثقافـــة والتراث المعنوي في الواقـــع المحيط به. وكذلك دعا أحمد لطفي الســـيد إلى القومية الفرعونية. لكنه لم يبيِّن لنا كيفية ارتباط واقع الشعب المصري وعاداته وتقاليده ومشاعره وثقافته ولغته بالواقع الفرعونـــي، ولا يكفي وجود الأهرامات وبعض الآثـــار الفرعونية للقول بارتباط الشـــعب المصري في القرن العشـــرين بالتراث الفرعوني؛ لأنه ليس هناك أية دلائل علـــى هذا الارتبـــاط، وهذا غير كافٍ لربط الشـــعب المصري بالحضـــارة الفرعونية. ثم جاءت حركـــة القوميين متأخرة في الخمســـينيات من القرن الماضي لتزيـــد من حجم الابتعاد عن الواقع قـــي مقولتها للقومية، وقد حدث ذلـــك عندما أدخلت شـــعوباً وأمماً ســـابقة في نطاق القومية العربيـــة: كالفراعنة والفينيقيين والكلدانيين والآشـــوريين والبرابرة... إلخ. وعلَّلت ذلك بأنها المرحلة غير الواضحة من القومية.

وللإجابة عن السؤال الذي أوردناه قبل قليل وهو: من نحن؟ فنجد أن الجواب عن هذا السؤال سهل ويسير، وهو: نحن أمَّة إســـلامية، ربَّاها القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، وعندما نقول ذلك، ننطلق من واقع الشـــعب والمجتمـــع والنـــاس، ولا ننطلق مـــن خيـــال أو أوهام أو من حكم مســـبق على الواقع، أو من نظريات نـــودُّ تعميمها؛ فالنظر إلى أخـــلاق الناس المحيطين بنا، وعاداتهم وتقاليدهم، وأســـاليب تفكيرهم، ومشـــاعرهم، وعواطفهـــم، وتطلُّعاتهم، وأهدافهم يقودنا إلى وجود وحدة في كل هذه الأمور مرجعها القرآن الكريم والسنَّة المشرفة، ويمكن أن نرى الارتباط واضحاً بين الوحدة في كل المجالات الســـابقة وبين مصادر الوحي الإســـلامي؛ فتوحيد الله صاغ وحدة أفكار المسلمين، وعبادةُ الله صاغت وحدة نفسياتهم، وأحكامُ الحلال والحـــرام صاغت وحدة قيمهم، والخوفُ من النار ورجاء الجنة صاغ وحدة مشـــاعرهم، واســـتهدافُ العمران في الدنيا صاغ وحـــدة تطلعاتهم، والاقتداءُ بأفعال الرســـول ﷺ وأقواله صاغ وحدة عاداتهم وتقاليدهم... إلخ.

إن الخطأ في فهم الواقـــع ومعرفة الذات هو الذي يجعل النهضـــة غير ممكنة، ويمكن أن نضرب مثلاً على ذلك بالحكم الذي شاع منذ مطلع القرن العشرين في معظم الدول العربية، وهو القول بأن الشعوب الموجودة من المحيط إلى الخليج شكَّلت الأمَّة العربية، والمقصود أمَّة عربية بالمعنى القومي، أي أنها أمَّة شـــكَّل عنصرا: اللغة والتاريخ ثقافتَهـــا وعاداتِ ها وتقاليدها وأخلاقها وقيمها ومشاعرها ونفسيَّتها...

لذلك عندما جاءت الدولة القومية واســـتهدفت بناء نهضة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياســـية والعمرانية والحضارية والتربوية والفنية، لم تلتفت إلى دور الدين في بناء هـــذا الواقع، بل نظرت إلى الدين على أنه معوِّق للتقدُّم والبناء كما كان دوره في الغرب؛ لذلك لا بدَّ من العمل على اســـتئصال وجوده من حياة الناس، وفي أحســـن الأحوال لا بدَّ من تهميش دوره؛ لذلك لم تتحقَّـــق النهضة، بل كان هناك سقوط في مختلف المجالات؛ وأحد الأســـباب الرئيســـية في ذلك، هو عدم الانطلاق من الواقع وعدم تمحيص الهوية وعناصر قيامها.

إن الممارسات التي قامت بها قيادات الفكـــر القومي العربي في مواجهة الدين خلال القرن العشـــرين في مصر وسورية والعـــراق والجزائـــر وليبيا والســـودان وغيرهـــا، ومحاولة اســـتئصاله من كيان الأمَّـــة، وبخاصَّـــة عندما ارتبـــط الفكر القومي العربي بالاشتراكية المادية، كانت من أصعب الســـنوات في حيـــاة الأمَّة، وســـبَّبت ضعفاً في الأمَّة خلال قرن كان أشـــدَّ من كل الضعف الذي عرفته خلال القرون السابقة جميعها، ويدل على ذلك نكبة عام ١٩٤٨م ثم نكســـة عام ١٩٦٧م، لكـــن الأمة اســـتطاعت - بفضل الله ثم بفضـــل الحيوية الكامنة في جســـمها - أن تتجـــاوز محاولات الاســـتئصال تلك، وتتغلَّب عليها؛ فكانت الصحوة الإسلامية التي استلمت قيادة الأمة، وأعادت للدين وضعه الطبيعي ومكانته المطلوبة.

ويلحظ المتابع لأوضـــاع المنطقة في المـــدة الأخيرة أن هنـــاك توجُّهاً إلى حلِّ مشـــاكل المنطقة بتطبيـــق الديمقراطية، ويلحظ كذلك أن المتوجهين إلى تطبيق الديمقراطية ربما يقعون فـــي الخطأ الذي وقع فيه الســـابقون؛ وهو عدم الانطلاق من الواقع، وهو ما ســـيؤدي بنا إلى سقوط آخر، وخسارة جديدة نحـــن في غنى عنها؛ لذلك يجب أن يكون أول درس نســـتفيده من التجارب الســـابقة هو أن نعي واقعنا، ونحترم العوامل التي تشكِّله؛ فهذا هو الأساس الأول للنهضة.

يلحظ المتابع لأوضاع المنطقة في المدة الأخيرة أن هناك توجُّهاً إلى حلِّ مشاكل المنطقة بتطبيق الديمقراطية، ويلحظ كذلك أن المتوجهين إلى تطبيق الديمقراطية ربما يقعون في الخطأ الذي وقع فيه السابقون؛ وهو عدم الانطلاق من الواقع وهو ما سيؤدي بنا إلى سقوط آخر، وخسارة جديدة نحن في غنى عنها

جَلَدُ الفَاجِرِ وَعَجْزُ الثِّقَةِ !



حياتنا تمـــوج وتزدحـــم بالأفكار الغريبـــة والرؤى المستوردة. والفجرة يصولون ويجولون، والثقات يُحجِمون ويتقوقعون، يصيح الفاجر فتصمت له الضوضاء وتشرئب إليـــه الأعناق، ويصمت الثقة فيتبدد خائفاً وجلاً؛ كأنما ضربت عليه الذلة والمسكنة.

الفاجر يتربص بالثقة الدوائر ليل نهار ولا يفتر عنه طرفة عين، يحصي عليه حركاته وسكناته، والثقة غافل غير آبه. وبقدر عجز الثقة يكون إقدام الفاجر... يسأم الثقة ويمل ويضجر، فيقوى الفاجر وينشط ويُسَر.

تخلَّـف الثقة عـــن ميادين الحيـــاة؛ فانبرى الغلام الفاجر قاتلاً الســـيد الثقة، واســـتطال الفاجر الوضيع ناطحاً مقام الثقة الشـــريف؛ فلا الأســـد أصبح سيد الغاب، ولا حاكى مِشْية الطاووس الغراب.

الفَجَـــرة يؤسســـون الجمعيات والنـــوادي والمراكز والمعاهد والجرائـــد والمجلات والمعـــارض والمؤتمرات، ويفتحون التخصصات، ويصدِّرون ثقافة واحدة بمناهج فكرية متقاربة تضمن لهم الوصول إلى الهدف، والثقات متفرجون مســـتترون ضاجعون؛ يستدعي حالهم اللمس الرفيق والمســـح الحنـــون على رؤوس يتـــامى التخطيط، أو الربت العنيف على أكتاف من رقد فاسترخى.

وتاريخ الإسلام يرينا دوماً أن القانع قابع، والتواق سبَّاق، والثقة مكانه القيادة والتصـــدر لا التبعية والانقياد. فلْننبذ وساوس السلبية، ولْنبث التفاؤل؛ ليكون الإقدام والاقتحام.

والثقـــات اليوم مدعوون إلى الخـــروج من القوقعة إلى الحيوية، ومن الارتجال إلى المنهجية، ومن الجزافية إلى الهدفيـــة. ولانقداح الزناد لا بد من توفير الظروف المســـاعدة على الانطـــلاق، ووضع خطـــة للهجوم على الفاجر عِوَض الدفاع.

ورغم عمق الجرح؛ فيقيننا جازم أن الانطلاقة ستولد من رحم المعاناة، وعلينا العناية بالتجارب الناجحة؛ للاقتداء بها والوقوف في وجه التجارب الفاشلة؛ لقطع استرسالها.

ولا يجـــوز للثقات أن ينتظروا أن تمطرهم الســـماء ذهباً أو فضة؛ بل لا بد من البذر والإنماء ووضع المناهج والخطط، وقبـــل ذلك يجب أن نتبنَّـــى النقد الإيجابي البنَّـــاء الذي لا يتحرج من تســـمية الخطأ خطأً، بأدب واحترام ودون تجريح واتهام.

والفاجـــر وإن كان لا يســـاوي قُلامة ظُفُر مما يطيِّره الثقـــة بالمقص من أظافر أرجله؛ إلا أنه فاق الثقة وتجاوز في خططه ومكـــره، وكاد يفرض على الثقة الاســـتبطاء واليأس، ومن نظر إلى دنيا الناس ببصيرة تجلَّى له ذلك.

والحمد لله أن جعل الإســـلام أبقى من المســـلمين، والدعوة أقدم وأكبر وأبقى من الدعاة.

وللناشـــئة أهمس: الحمل يزداد؛ فلْنُعِـــدَّ له الزاد، ولْنكن له على أتم استعداد.

وقد آن أوان صحو الثقة من ســـكرته، ونهوضه من ســـباته، وأضعف ما يطالَب به إن لم يضع خطة للنصر: أن يضع خطة للهزيمة.

عبد الكريم القلالي

تعظيم السلف للّه في الفتيا

كان السلف الصالح - رحمهم الله - يحرصون على نشر العلم الشرعي والعمل به ويقولون - إذا سئلوا عمَّا أشكل عليهم -: الله أعلم. قال أحد السلف: كانت المسألة تدور على مائة وعشرين من علماء السلف كل عالم يدفعها إلى الآخر حتى تعود إلى الأول، فيفتي وهو على خوف ووَجَل مراقبةً لله. وقال بعض السلف: إن أحدكم ليفتي بالمسألة لو عُرِضت لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لجمع لها أهل بدر.

وكان الإمام مالك - رحمه الله - إذا سُئل بمسألة في الدين كأنه واقف بين الجنة والنار.

لهذا ينبغي على من استُفتي في مسألة من مسائل الدين أن يجيب إن كان عنده علم فيما سُئل عنه ولا يجوز له أن يكتم العلم، وإن كان ليس عنده علم فيما سُئل عنه أن يقول: الله أعلم.

ولْيحذر من القول على الله بلا علم؛ فإن الإفتاء بغير علم من الجرائم الكبيرة، وفيه إضلال للناس. قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالحذر الحذر من حب الرئاسة والتصدر والإنسان ليس أهلاً لذلك. وعلى من أصبح مشهوراً من أهل العلم أن يتواضع لله ولخلقه ولا يغترَّ بنفسه، وإذا سُئل عمَّا لا يعلم فلْيقل: الله أعلم. وقد كان السلف الصالح يهربون من الشهرة ويخافون منها ومع ذلك تأتيهم وهم لا يريدونها. ويضع الله لهم القبول في الأرض؛ وتلك عاجل بشرى المؤمن. ومن أشكلت عليه مسألة في الدين فلْيسأل من يثق بدينه وعلمه. قال - تعالى -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. ولْيحرص المسلم دائماً على تقوى الله وتجديد التوبة ولْيتذكر قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الله الرومي

الأرض الجدباء

هي تلك الأرض التي لا نبات فيها، والتي عاش فيها أهلها يحتضنون الألم ويعشقون فيها الهم والندم، إنها أرض أسميتها جدباء؛ لأنها في الحقيقة قاحلة لا زرع فيها ولا ماء. نعم! أمست مأوى للهموم، وبيتاً للحزن والغموم.

ما إن ينبت فيها نبات حتى ترى ما يفسدها يعدو إليها سريعاً، وكأنها قد حُكم عليها بالفساد الأبدي: تلك هي القلوب التي نأت عن الخيرات وتركت الهدى والأعمال الصالحات (القلبية)؛ إنها قلوب الأشقياء التي أغلقت على نفسها ينابيع الخير ولم يعد للسعادة إليها طريق، ولم يَعُد للراحة إليها سبيل؛ لأنهم هم الذين أماتوا قلوبهم بإحداث الداء فيها: أتدري ما ذلك الداء؟

إنه بليَّة النجباء ورزية الفقهاء، والمطيح بكل عظيم ورفيع، مهلك الحرث والنسل؛ فكم من نَفْس قتل وكم من عضو خبل!

إن أتى على العالم، جعل علمه ضلالاً وجهله وبالاً، يكسوه الذل بعد أن كان عزيزاً والتواضع بعد أن كان به غنياً؛ إنه العُجْب... صاحِبُه مهما بلغ من منزلة، ومهما اعتلى في رتبة إلا أنه في الحقيقة ضعيفٌ سدُّه، قليل مدُّه، تظلُّه شبهة وتقلُّه شهوة، حكمه مع الله حكم المنقطع، كل ذلك؛ لأنه ركن إلى نفسه وبات فكره في فراش العجب لم يستيقظ حتى نزع الله جذوة العزم من قلبه؛ فأصبح يقلِّب كفيه على ما مضى ويطلب الرجوع، ولكن كبلته قيود الهوى...

ليت شعري ما الذي سيجنيه وما الذي سيعطيه هذا الداء سوى النظرة الفرعونية: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]؟

فنبرأ - اللهم - إليك من حولنا وقوَّتنا.

جمال علي العمري
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة

كسوف العقل



د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)
www.alabdulltif.net

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لو أن أهل الحساب والمشتغلين بالفلك والهيئة اقتصروا في تفسير كسوف الشمس أو خسوف القمر وَفْق ما يعرفونه من أسبابٍ ظاهرةٍ طبعيةٍ لهان الأمر؛ فقيمة المرء ما يحسنه، لكن أن يدَّعوا أن كسوف الشمس ليس سببه ذنوب العباد، ولا أثَر ولا صلة له بمعاصي بني آدم، فذاك ظن بلا علم، وتخرُّص بلا فهم، بل هو جهالة بالعلميات، وقساوة قلب بالعمليات والإرادات، كما هو مبيَّن في السطور التالية:

- مقولة الفلكيين السالفة قد تجد آذاناً صاغية في عصور غابرة، زمن الصراع بين الكنيسة والدين في أوروبا؛ فتأليه العلم التجريبي لا يتحقق إلا بمحاربة إله الكنيسة وخرافة الدين النصراني المحرَّف؛ فإن أردتَ العلم فانسلخ من تلك العبادة، وكذا العكس... وهكذا ظل الصراع قائماً بين الدين المحرَّف والعلم في بلاد الغرب.

وأما دين الإسلام - وعند مذهب أهل السُّنة والجماعة على سبيل الخصوص - فتصريح المعقولات موافق لصحيح المنقولات؛ فلا عداء مفتعلاً بين العلم والدين؛ فما أثبته العلم التجريبي من حقائقَ يستحيل أن تعارض هذا الشرع التامَّ والدين الخاتم؛ فالشرع أنزله الله - تعالى - والعقل خلقه الله، عز وجل. والأدلة الشرعية والبراهين العقلية يصدق بعضها بعضاً[1].

- قررتِ الأدلة النقلية أن للكسوف أسباباً شرعية في وقوعه وارتفاعه؛ فذنوب العباد من أسباب وقوعه وانعقاده، كما أن الصلاة والصدقة والدعاء والتوبة... سبب في زواله وارتفاعه؛ فعن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ فانكسفت الشمس فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه حتى دخل المسجد، فدخلنا، فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس، فقال ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب: ص ٩ - ٨٧، والعلمانية لسفر الحوالي ص ١٢٣ - ٢١٩.

فإذا رأيتموها فصلُّوا وادعوا حتى يُكشف ما بكم»[1].

قال الحافظ ابن حجر: «قوله (آيتان) أي علامتان، (من آيات الله)؛ أي: الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته، أو على تخويف العباد من بأس الله وسطوته، ويؤيده قوله - تعالى -: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]» [2].

وبيَّن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بطلان مزاعم أهل الهيئة (الفلك)، فقال: «قوله ﷺ: (يخوِّف بهما عباده) فيه ردٌّ على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتقدم ولا يتأخر؛ إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف، ويصير بمنزلة الجَزْر والمدِّ في البحر، وقد ردَّ ذلك عليهم ابن العربي وغير واحد من أهل العلم بما في حديث أبي موسى الأشعري؛ حيث قال: «فقام فزعاً يخشى أن تكون الساعة». قالوا: إن ظاهر الأحاديث أن ذلك يفيد التخويف، وأن كل ما ذُكِر من أنواع الطاعة يُرجَى أن يُدفَع به ما يُخشَى من أثر ذلك الكسوف»[3].

وقال العلامة العيني: «لا خلاف في مشروعية صلاة الكسوف والخسوف، وأصل مشروعيتها الكتاب والسُّنة وإجماع الأمة: أما الكتاب فقوله - تعالى -: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]، والكسوف آية من آيات الله المخوِّفة، والله - تعالى - يخوِّف عباده ليتركوا المعاصي ويرجعوا إلى طاعة الله التي فيها فوزهم»[4].

وأخرج الشيخان من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وصَلُّوا وتصدَّقوا. ثم قال: يا أمَّة محمد! والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أَمَته، يا أُمَّة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

قال الحافظ ابن حجر: «قال الطيبي وغيره: لَمَّا أُمِروا باستدفاع البلاء بالذكر والدعاء والصلاة والصدقة، ناسب ردعَهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء، وخصَّ منها الزنا؛ لأنه أعظمها في ذلك. وفي الحديث ترجيح التخويف في الخطبة على التوسع في الترخيص؛ لِمَا في ذكر الرخص من ملاءمة النفوس لما جُبلَت عليه من الشهوة. والطبيب الحاذق يقابل العلة بما يضادها لا بما يزيدها»[5].

- من أعظم الآفات أن يكذِّب أقوام بما لم يحيطوا بعلمه؛ فكون الكسوف والخسوف له أسباب ظاهرة طبعية قد تُعرَف بالحساب؛ فهذا لا ينفي ما سبق تقريره أن ذنوب العباد وتفريطهم من أسباب انعقاد الكسوف وحصوله؛ فلا مانع من ذلك كله، وأمَّا حصر هذه السببية فيما ادَّعاه أهل الهيئة فهذا قصور في العلم، وضيق في الأفق.

فالعلماء المحققون من أهل الإسلام والسُّنة اتسعت عقولهم وأفهامهم؛ فأثبتوا السبب الطبعي والشرعي؛ فابن دقيق العيد يقول: «ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره أهل الحساب ينافي قوله ﷺ: «يخوِّف الله بهما عباده» وليس بشيء؛ لأن لله أفعالاً على حسب العادة، وأفعالاً خارجة عن ذلك، وقدرته حاكمة على كل سبب؛ فله أن يقتطع ما يشاء من الأسباب والمسببات بعضها عن بعض، وإذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة، وأنه يفعل ما يشاء إذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد؛ وذلك لا يمنع أن يكون هناك أسباب تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله خرقَها، وحاصله أن الذي يذكره أهل الحساب إن كان حقاً في نفس الأمر لا ينافي كون ذلك مخوفاً لعباد الله، تعالى»[6].

وتحدث ابن القيم عن سببية الكسوف والخسوف قبل مئات السنين فأثبت السبب الطبعي المعتاد، فقال: «فأما سبب كسوف الشمس فهو توسط القمر بين جرم الشمس وبين أبصارنا، وأما سبب خسوف القمر فهو توسط الأرض بينه وبين الشمس حتى يصير القمر ممنوعاً من اكتساب النور من الشمس...»[7].

كما قرر السبب الشرعي قائلاً: «إن الله - سبحانه - يُحدِث عند الكسوفين من أقضيته وأقداره ما يكون بلاءً لقوم ومصيبة لهم، ويجعل الكسوف سبباً لذلك؛ ولهذا أمر النبي ﷺ عند الكسوف بالفزع إلى ذكر الله والصلاة والعتاقة والصيام؛ لأن هذه الأشياء تدفع موجب الكسوف الذي جعله الله سبباً لما جعله؛ فَلَولا انعقاد سبب التخويف، لما أمر بدفع موجبه بهذه العبادات.

ولله - تعالى - في أيام دهره أوقات يُحْدِث فيها

(١) أخرجه البخاري: (١٠٤٨).
(٢) فتح الباري: ٢/٥٢٨.
(٣) فتح الباري: ٢/٥٣٧.
(٤) عمدة القاري: ٦/٤٧.
(٥) فتح الباري: ٢/٥٣١.
(٦) فتح الباري: ٢/٥٣٧.
(٧) مفتاح دار السعادة: ٢/٢٠٦، ٢٠٧ = باختصار.



لا تناقض بين حساب الكسوف، وبين الفزع إلى الصلاة والدعاء والصدقة، والذي هو أنفع للأمة وأجدى عليهم في دنياهم وأخراهم من اشتغالهم بعلم الهيئة وحساب الكسوف

ما يشاء من البلاء والنعماء، ويقضي من الأسباب بما يدفع موجب تلك الأسباب لمن قام به، أو يقلله أو يخففه؛ فمن فزع إلى تلك الأسباب أو بعضها، اندفع عنه الشر الذي جعل الله الكسوف سبباً له أو بعضه؛ ولهذا قلَّ ما يسلم أطراف الأرض؛ حيث يخفى الإيمان، وما جاءت به الرسل فيها من شر عظيم يحصل بسبب الكسوف، وتسلم منه الأماكن التي يظهر فيها نور النبوة، والقيام بما جاءت به الرسل، أو يقلُّ فيها جداً»[1].

كما قرر أيضاً أنه لا تناقض بين حساب الكسوف، وبين الفزع إلى الصلاة والدعاء والصدقة، والذي هو أنفع للأمة وأجدى عليهم في دنياهم وأخراهم من اشتغالهم بعلم الهيئة وحساب الكسوف[2].

- وإذا تقرر أن للكسوف سبباً يُعرف بالحساب، وحكمةً إلهية في تخويف العباد، فلا يُظَن أن ما جاءت به السنَّة في الكسوف يعارض معرفة وقت الحساب كما حرره ابن تيمية بقوله: «وما أخبر به النبي ﷺ لا ينافي كون الكسوف له وقت محدود يكون فيه؛ حيث لا يكون كسوف الشمس إلا في آخر الشهر ليلة السرار، ولا يكون خسوف القمر إلا وسط الشهر وليالي الأبدار. ومن ادَّعى خلاف ذلك من المتفقهة أو العامة؛ فلعدم علمه بالحساب»[3].

كما أن كسوف الشمس سبب في حوادث أرضية؛ فالكسوف سبب للشر وليس مجرد اقتران كما تقوله الجهمية ولا يسوغ أن يُدَّعى أنه لا أثر لشيء من الكواكب العُلْوِيَّات في السفليات مطلقاً، كما بيَّنه ابن تيمية في غير موطن[4].

وأخيراً: فإن معارضة الرسل - عليهم السلام - توجب فساداً في العقل، وسوءاً في الفهم، وكلما كان الرجل عن أتباع الرسول أبعد، كان عقله أقلَّ وأفسد[5].

فدعوى أن كسوف الشمس مجرد أمر معتاد يُعرف بالحساب، لا تنفك عن جهالة بالعلم، وفظاظة في القلب؛ فما ينشره أهل الفلك من أخبار الكسوف هذه الأيام، قد أعقب بلادةً في الوجدان، وتهويناً لشأن هذه الحوادث العظام.

ولئن كسفت الشمس لحِكَم إلهية، وأسباب قدرية، فلقد اعترى عقولَ أهل الفلك نوع من الكسوف؛ لضعف الاستجابة لله - تعالى - ورسوله ﷺ، وظهور الأهواء، وكما قال الشاعر:

إنارة العقل مكسوفٌ بطوعِ هوى
وعقلُ عاصي الهوى يزدادُ تنويرا

(١) المرجع السابق: ٢/٢٠٩، ٢١٠.
(٢) المرجع السابق: ٢/٢١٢، ٢١٣.
(٣) مجموع الفتاوى: ٣٥/١٧٥.
(٤) انظر منهاج السنة النبوية: ٥/٤٤٢، ٤٤٥، ومجموع الفتاوى: ٣٥/١٦٨.
(٥) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم: ٣/٨٦١، ٨٦٤.



تفاعل معنا إلكترونياً

YouTube

bayan@albayan.co.uk

Badr: 0508948947

مجلة البيان

الآن ..

جديدنا في الأسواق

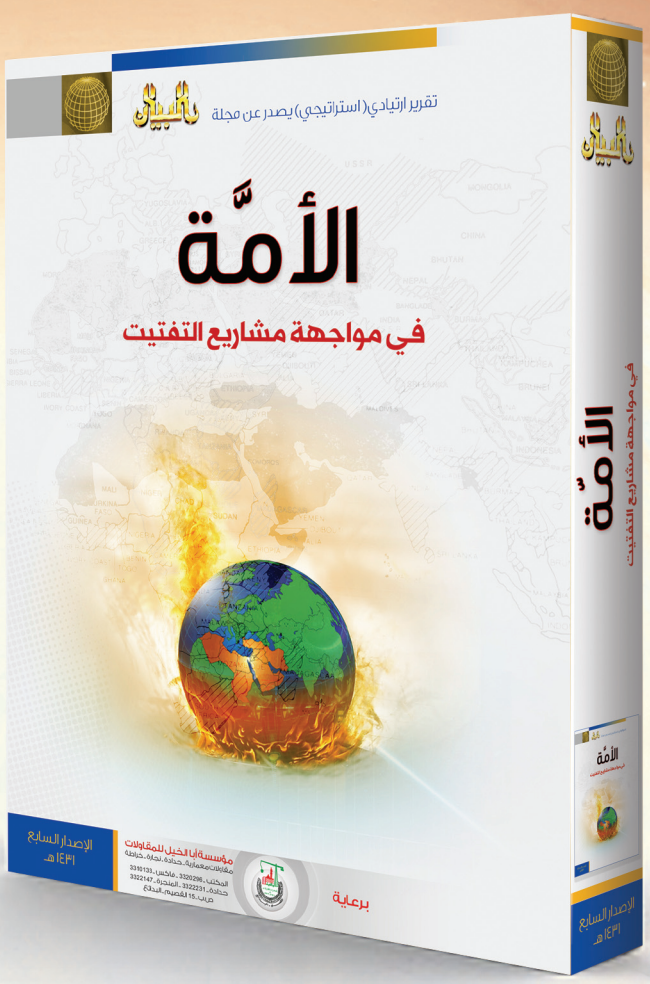

الراعي الرسمي ..

مؤسسة أبا الخيل للمقاولات

مقاولات معمارية .. حدادة .. نجارة .. خراطة

المكتب ـ 3320296 .. فاكس .. 3310133

حدادة .. 3322231 .. المنجرة .. 3322147

ص.ب .. 15 القصيم .. البدائع

بدر 0508948947

www.albayan-magazine.com

الريـــاض: ـ هـــاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـــويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـــاكس: ٤٥٣٢١٢١

التـوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جـدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكـــة والمدينـــة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقـــة الجنوبيـــة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقـــة الشرقيـــة: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقـــة القصيـــم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦